الإمام المجدد

السيد محمد ماضي أبو العزائم

Abul Azayem

www.abulazayem.com

Version 2.5 / May, 2023

مذكرة المرشدين والمسترشدين

الإمام المجدد

السيد محمد ماضي أبو العزائم

١٢٨٦ - ١٣٥٦ هجرية / ١٨٦٩-١٩٣٧ ميلادية

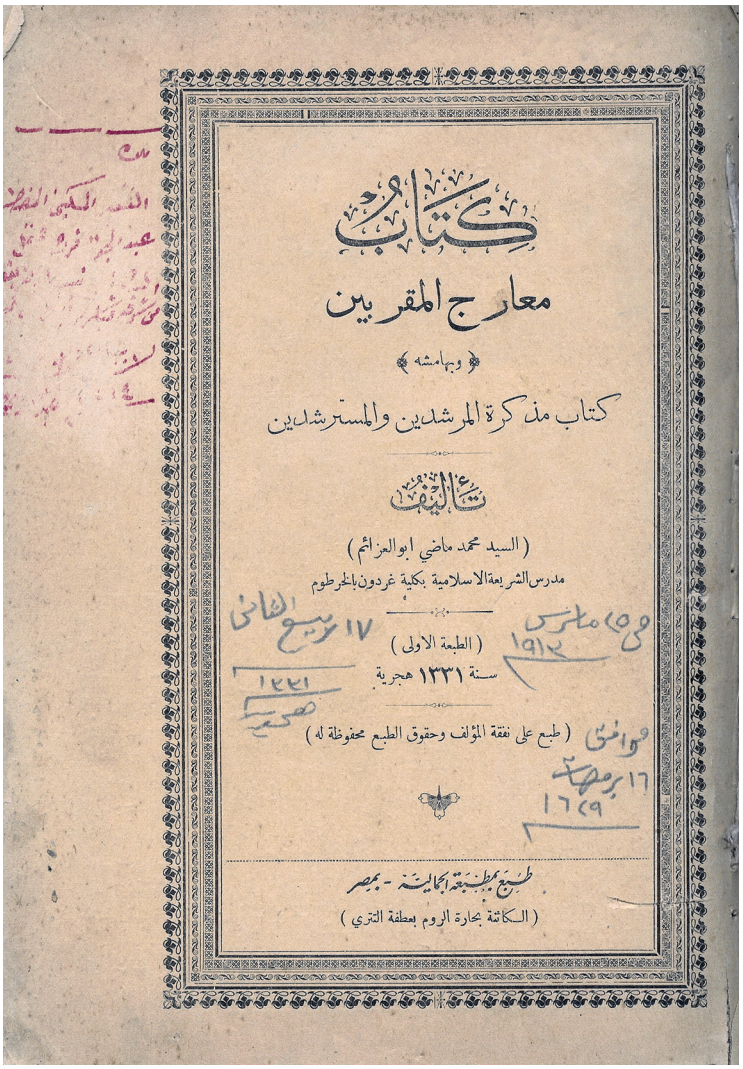

كتاب

معارج المقربين

وبهامشه

كتاب مذكرة المرشدين والمسترشدين

تأليف

(السيد محمد ماضي ابو العزائم)

مدرس الشريعة الاسلامية بكلية غردون بالخرطوم

(الطبعة الاولى)

سنة ١٣٣١ هجرية

(طبع على نفقة المؤلف وحقوق الطبع محفوظة له)

طبع بمطبعة الجمالية - بمصر

(السكاكية بحارة الروم بعطفة التتري)

غلاف الطبعة الأولى ١٩١٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الهادى لأقوم طريق، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وآله وسلم وبعد... فيقول الخويدم المسكين محمد ماضى أبو العزائم:

الحمد لله قد شرح الله صدرى لأن أكتب مذكرة للإخوان، أبين فيها ما لابد منه لمريد طريق الله تعالى إجمالاً، والذكرى تنفع المؤمنين، ملاحظاً فى ذلك التوسط من كل شئ، وأقدم بعض حكم تنبه فكر المريد لقبول الذكرى، مبتهلاً إلى الله تعالى أن يمنحنى التوفيق والهداية، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعنى وينفع إخوتى المؤمنين جميعاً به، على أنى أذكر المطلع أنها وضعت للمريدين السالكين طريق الله تعالى، أهل التسليم. ولذلك فإنى وضعتها سهلة العبارة، خالية من المباحث النظرية، رغبة نفع الخاصة والعامة، والله تعالى وليى عليه توكلت وبه استعنت وإليه أنيب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

شرح الله صدرى لها قياماً بواجب لله سبحانه وتعالى عَلَىَّ، أقوم به لوجهه الكريم فى عشيرتى الأقربين الذين هم أولىَّ الناس بالشفقة عليهم ورحمتهم، يسرنى أن أكون أنا وهم على الصراط المستقيم فى الدنيا، ومع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء فى الآخرة، وعملاً بقوله ﷺ: (خَيْرُكُمْ خيرُكُمْ لأِهْلِهِ وأنا خَيْرُكُمْ لأَهْلِى) ونفعاً عاماً لجميع إخوتى المؤمنين، والله أسأل أن ينفعنى وينفع أهلى وجميع المسلمين إنه مجيب الدعاء.

حكمة

❖ رحمة الله بك أولى من رحمتك بنفسك، فالزم ما أمرك الله به، وارض باختياره تكن أحسنت إلى نفسك.

❖ الصانع أعلم بما به حفظ جمال صنعته، فاسكن إلى مولاك وحافظ على أوامره، تُحفظ فى سعادة.

❖ الغريب الذى يظن أنه سيعود إلى بلده يدخر نفائس الأموال ليرجع بها لأهله، وينتفع بها فى داره. فالمتيقن بالعيان أنه سيرجع إلى ربه، أولى أن يبخل بالنَفَس والحركة أن يصرفها إلا فى طاعة.

❖ كل حى مشغول بما به سعادته فى غد، مهموم فى تدبيره مع شكه فى بقائه لغد، فكيف بمن تيقن بقاءه فى دار سعادته فيها متوقفة على ما يُحَصِّله من هنا.

❖ الوالد الحكيم الرحيم يسعى بلطف وحنانة وترغيب فى سعادة ولده الأحمق، فلا يقبل من والده ويتهكم به وينفر منه. حتى إذا أصابته مصيبة سوء عاقبة المخالفة، ندم ندامتين: ندامة على مخالفة أرحم الناس به والإساءة إليه، وندامة على ما أصابه من المكروه. وهذا أمر مشاهد بالعيان، فالله سبحانه أحن على خلقه، وأرحم بهم من والد رحيم بولد وحيد، فيتنزل سبحانه ويرغب العبد ويحسن إليه ويرسل الرسل وورثتهم بالحكمة والبيان، فيأبى المبعود متكبراً حتى إذا جاء الموت وحشر إلى النار قال: ﴿يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ۝٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا﴾ الفرقان ٢٧-٢٨، فمولاك غنى عنك، لا يضره كفرك ولا تنفعه طاعتك، ولكنه جل وعز رؤوف لطيف حنان رحمن رحيم، يدعوك ليرفع درجتك ويمتعك فى دار البقاء ومنازل السعداء، فضلاً منه إليك وإحساناً عليك، فسبحان المنعم المتفضل المعطى الوهاب الرؤوف الكريم اللطيف الخبير.

❊ ❊ ❊

الباب الأول

مقامات الدين الإسلامى

❖ الإسلام ❖ الإيمان ❖ الإحسان ❖ الإيقان

الإسلام

المسلم

المسلم إنسان آمن بالله وحده وأسلم له سبحانه وجهه، وانقاد لأوامره مؤمناً بكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخر، والقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى، معتقداً أن كل من لم يكن على هذا فهو مشرك ضال. والإيمان هذا يوجب عليه القيام بما أُمر به بقدر الاستطاعة، والتباعد عما نهى عنه جملة واحدة، إلا ما اضطر إليه اضطراراً يُقَدر بهلاك نفس أو ما يساويها. وأوامر الله تعالى تنحصر فى أربعة أمور:

١ العقيدة

أمر بعقيدة لابد وأن تُتَلقى من كلامه سبحانه وكلام رسوله ﷺ، حتى يتحقق المسلم أنه كامل الإيمان، مؤمن بحقيقة ما يجب عليه الإيمان به. على أن العقيدة التى يتلقاها عن الله سبحانه، وعن رسوله ﷺ، هى العقيدة التى يسلمها العقل الكامل، المجرد عن الحظ والهوى والتقليد للأهل والعصبية للجنس، لأنها نور يضئ وحق جلى بمنزلة المحسوسات بالنسبة للعقول السليمة من الأمراض النفسانية والعلل الفكرية، وقد فصلتها فى باب العقيدة من كتاب " أصول الوصول " .

٢ العبادة

وأمر بعبادة للحق جل جلاله، من تعظيم لذاته وذكر له سبحانه، ورياضات للنفس بإمساك عن الطعام بياض النهار، وبذله جزءاً مما يملكه، وهجرة إلى مكان مخصوص وعمل مخصوص، وهى الحج فى آنات مخصوصة، لا يخرج عن تكبير ودعاء وتلاوة كلامه سبحانه

وتعالى بخشوع وخضوع لعظمة هذا الإله العلىِّ الكبير الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين، والأمر بالعبادة من أخص أركان الإسلام، حتى أن المسلم الذى يتهاون بأمر العبادة منزلته كمنزلة من لم يعتقد، لأن تكرار العبادات مذكر للقلب مزيل للغفلة، يُقَوى اليقين ويُزيد الإيمان، ويقرب العبد لمقام القرب وحسن الأخلاق.

فالعبادات هى الصفات التى تجعل المسلم مسلماً فى عين إخوانه، وعند الله تعالى، وهى الواجبة عليه لربه المنعم المتفضل، وبالتهاون فيها يكون المسلم منافقاً كاذباً مدعياً، وسينكشف الأمر ويضطر أن يندم حين لا ينفع الندم، وإن المتساهل أضر على المسلمين من عدوهم، بل من الشيطان، لأنه قد يكون رئيس قوم، أو كبير عائلة، أو والد جماعة، أو محبوباً لخصوصيته، فيقلد فى أعماله وأحواله، فينشر ضرره ويعم الفساد به، والله يحفظ المسلمين بسرعة الانتقام من المتساهل بالعبادة والمتجاهر بالمعصية، ليكون عبرة لغيره، ووقاية من شره، إنه مجيب الدعاء.

٣ المعاملة

المعاملات هى المقام العلىِّ الذى يتفاضل فيه المسلمون، ويتسابق فيه أهل النفوس العالية، لأنه نتيجة اليقين الكامل بالتوحيد الخالص من شوائب الشكوك، وأدران الحظوظ، ورين التقليد والعصبية، حتى أن الإنسان ليكون أقرب من الملائكة عند الله تعالى، وأحب إلى النفس عند العقلاء من إخوانه بحسن معاملته وجميل أخلاقه، حتى يبلغ درجة من السعادة فى الدنيا والآخرة لا يبلغها الشهداء. وقد حصر رسول الله ﷺ الدين فى المعاملة حصراً حقيقياً، لأن الدين هو معاملة دائرة بين حقوق عليك لله تعالى، ولرسوله ﷺ، ولوالديك وأهلك وأرحامك، وخاصة المسلمين وعامتهم، وجميع بنى آدم، وجميع الحيوانات الحية. فما من رتبة فى الوجود إلا وأنت تطالبها بحق، وتطالبك بحق، فإذا حسنت معاملتك مع كل رتبة كنت مسلماً كامل الإسلام. وإذاً فالدين المعاملة لاشك، وبها السعادة فى الدنيا والآخرة.

والمعاملة نتائج العقيدة، فإن العقيدة تحقق لصاحبها بأن له إلهاً متصفاً بجميع الجمالات

والجلالات والكمالات، منفرداً بالإرادة والمشيئة فى إيجاد كل موجود، وإمداده بما به بقاؤه، وهو المقدر لكل شىء، وإليه يرجع كل شئ. فإذا تحقق فى هذا راقبه فى خَلْقِه، وعامله فى عباده، فلا يتحرك حركة ولا يتنفس نَفَساً إلا وهو ملاحظ عظمة هذا الرب الجبار المقتدر، المنفرد بالتقدير، فيجعل كل حركاته وسكناته فيما يرضيه، وبما به يفوز لديه بنعيم جزائه، فتحسن معاملته لكل كائن حى، ومراقبته للخالق.

نموذج من حسن المعاملة

وإليك نموذجاً من حسن المعاملة، إذا تحققت أنك تساء إذا اغتابك آخر أو سعى فى مضرتك: مالاً أو جاهاً أو منزلةً، أو استهان بك فى حضورك أو غيبتك، وأنك بهذا تميل إلى الانتقام منه بحولك وقوتك بأكثر مما بلغك عنه، وتتلذذ بمضرته وينشرح صدرك لذلك وتستحسنه، ولا تقبل نصيحة من ناصح فيه؛ فأحرى بك أن تمتنع عن أن تعمل فى أخيك ما به يحصل له ما كان حاصلاً لك. فإذا وقعت فى مثل هذا فاعتقد أن أخاك له العذر، وبادر إليه معتذراً لتزيل ما به من نار الغيظ، واسْع فى معاملة الناس بما تحب أن يعاملوك به، مع المحافظة على النصيحة لهم بطريقتها الشرعية المألوفة للعقل والمروءة، واضعاً نفسك موضع من تنصحه وأنه هو الناصح لك، فتستعمل الدواء الذى تحب أن تستعمله لنفسك عند انحراف مزاجك. ولا تنس مراقبة الحق، والإخلاص لذاته سبحانه وتعالى فى كل ذلك، حتى تفوز برضاء الله تعالى، ورضاء إخوانك، ورضاء الفضيلة.

وليس كل من صلى وصام وزكَّى وحج يكون كامل الإسلام، حتى تكمل أخلاقه، وتطهر صفاته وتزكو نفسه، فإن تلك الأعمال تنهى عن الفحشاء والمنكر لمن قام بها عاملاً بحقائقها، مراقباً فى عملها مكانته من العبودية، ومكانة من قام بها لذاته العلية، من الألوهية والعظمة والقدرة والعزة والقوة، مُنزهاً جنابه العلى عن العلة والغرض والشريك والمعاون، حتى يتحقق بمقام الخوف والخشية والرهبة من جلاله وكبريائه، وبذلك تتزكى نفسه وتتهذب أخلاقه، وتحسن معاملته لجميع إخوانه والناس أجمعين. وإذا كانت المقدمات لا تنتج، فهى على غير وجهها الذى وضعت له، وإذاً لا تنتج فى الآخرة.

وإن كثيراً من المسلمين فى هذا الزمان يتساهل فى القيام بأركان الدين، مادام فى عافية من الأمراض والفقر والخوف. بل تأخذه العزة بالإثم فيعتقد عقيدة قارون ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ سورة القصص ٧٨، فيتكبر ويستهين بأعمال البر ومكارم الأخلاق ومعاملة ربه، ويزدرى بالقربات وبأهل التمسك بالدين، ويفتخر بأعمال الفُجار والمتهتكين وغيرهم، حتى إذا نزلت به نازلة المصائب، وفاجأته فاجئة البلايا ﴿نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ الزمر ٨، وندم على ما فرط، وسعى لأهل الصلاح تائباً مبتهلاً، وأقبل على الله سبحانه، ولكن قل أن ينفعه إقباله، لأنه مخادع كاذب فى دعواه، وما رجع به إلى الله سبحانه إلا سوط النقمة وبادرة البلية.

فالعاقل من تقرب إلى الله فى الرخاء، حتى يتقرب الله إليه فى الشدائد، هذا وإن لم تبادره المصائب فى حياته، واستدرجه الله سبحانه حتى غادرته منيته، وفاجأته المنون ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ غافر ٥٢، وكثير منهم من يكثر الصلاة والصيام وغيرهما مع قيامه بمضرة إخوانه المسلمين، وانتقادهم وإساءتهم وإظهار عيوبهم بغير أسلوب النصيحة، ويبيت الليل والنهار بين غيبة ونميمة، وتنقيص المسلمين وسعى فى مضرة أفرادهم، ويحسب أنه يحسن عملاً، مع أنه والعياذ بالله تعالى أشبه بإبليس فى علمه وعمله. وبحقك متى يكون المشابه لإبليس مسلماً حقيقة؟!

فيا أيها المسلم تحقق من أن المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه، أتحسب أن الإسلام طهارة بالماء! الماء لا يُطهر الخبائث النفسانية ولا يزكى النفوس الشيطانية، ولا يكون المسلم مسلماً إلا إذا أحب لأخيه ما يحبه لنفسه، وبذلك يُحْسَبُ مسلماً حقاً، عدلاً عند الله وعند عباده.

٤ أخلاق المسلم

١ الصدق وهو تأدية الخبر كما شاهده، بشرط أن لا يقصد بذلك مضرة مسلم، ولا إفشاء عورة ولا كشفاً لقبيح ولا إشاعة لفاحشة، وأن يكون مخبراً بالخبر لفائدة المسلم وعدم مضرة المسلم الآخر، مجرداً عن الحظوظ والغايات والتعريض. فإن كان صادقاً فى خبره وخالط

خبره عيب من تلك العيوب، كان قد ارتكب كبيرة أكبر من الكذب، فإن الكذاب قد يرتكب مع الكذب كبائر أخرى بحسب مقاصده فى كذبه، كما يرتكبها مع النية فى نقله الخبر صادقاً. وإن العبد ليتحرى الصدق حتى يكتب صدِيقاً، وإنه ليتحرى الكذب حتى يُكتب منافقاً. وأضر من صفة الكذب على المسلمين تصديق السامع للخبر وعمله به، فيكون الكاذب أهلك نفسه وأهلك معه كثيرين من المسلمين.

وصفة الصدق هى التى تحقق الإنسان بمقامات اليقين، وتقربه من رب العالمين ومن جميع العالمين. وليس للكذاب عند الله تعالى ولا عند الناس عهد، وهى من أكبر الكبائر. والكاذب مسقوط العدالة فى الرواية والدراية. وكفاه أنه ناقص فى عين نفسه، لاعتقاده فى نفسه أنه كذاب يختلق ما يقول. وتقبيح الكذب لا يحتاج إلى بيان، لأنه أمر محسوس بديهى القباحة والبشاعة. من الحكمة أن السامع لابُد وأن يتحرى عن كل ما يسمعه، ولا ينقله ولا يعمل بمقتضاه حتى يتحقق من صدقه، والله ولى التوفيق.

٢ ومن أخلاقه الأمانة والوفاء بالعهد ومعاونة إخوانه، وإكرام الضيف وإكرام الجار، وإغاثة الملهوف، ونصيحة إخوانه، وعيادة المريض، وصلة رحمه، والإحسان إلى الجليس، وحفظ لسانه وحفظ بطنه وفرجه، والتباعد عن البدعة، والسعى فى محو الفتن، والسعى فى الصلح بين إخوانه، وقضاء حاجة السائل، وإدخال السرور على قلوب المسلمين، وستر عوراتهم، وعدم الخروج على أُمرائهم، والإمساك عن الوقوع فيمن مات مسلماً، والاجتهاد فى تأليف قلوبهم على الحق. وإذا رأى قبيحاً ستره ونصح من وقع منه فى خلوة، ولو كان ذا سلطان عند القدرة.

٣ ومن أجمل أخلاق المؤمن الصبر على الشدائد، والثقة بالله تعالى والاعتماد عليه، وشكر النعمة، وعدم المكافأة بالسيئة، والعفو عمن ظلمه، وإخفاء النقمة، والإحسان إليه وعدم أذيته كما آذاه، بل يحترس من شره، وإظهار النعمة والشكر عليها.

٤ ومن أخلاقه عزة النفس بالثقة واليقين بالله تعالى، وبأنه سبحانه قادر على أن يفعل ما يشاء.

٥ ومن أخلاقه الود فى الله والزيارة فى الله، والإكرام فى الله تعالى، بدون أن يقصد مكافأة إلا من الله تعالى.

٦ ومن أخلاقه الرحمة بجميع المسلمين كل بحسبه، والشفقة عليهم ومعاملته الكبير كالوالد والمساوى كالأخ والصغير كالولد، وغير مؤاخذ لهم على سوئهم ولا يظن بهم السوء، ولكن يحترس بنفسه من أن يقع فى سوء، ويجعل المكافأة على حسن المعاملة من وجه الله تعالى بحسن اليقين وصدق وعزم. المسلم يحب من أحبهم الله ورسوله ﷺ، ويكره من كرههم الله ورسوله ﷺ، وهم معلومون لكل إنسان. ولكن قد يغفل المسلم فيحب من أُمِرَ بكراهيتهم، ويتودد إليهم بصدق وإخلاص ويعينهم، غافلاً أنه بذلك صار منهم وحشر معهم.

فإذا كان المسلم يعتقد أنه مسلم بقوله دون عمله فقد أخطأ، ونص القرآن مؤيد: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ المنافقون ١، مع قولهم: ﴿نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ المنافقون ١، فمن لم يباشر قلبه نور اليقين، ويُملأ خشية من الله تعالى، ومحافظة على ملاحظته سبحانه وتعالى فى كل أعماله، حتى لا يحدث أمراً إلا بعد وزنه بموازين الشرع، ومحاسبة نفسه عليه، فهو كاذب فى دعوى الإسلام، وربما كان ضرره على المسلمين أشد من ضرر عدوهم. فالله سبحانه يمنحنا هدايته ويوفقنا لعمل الخير واتباع الشرع، إنه مجيب الدعاء.

الإيمان

المؤمن

المؤمن هو من جمله الله تعالى بخصال المؤمنين، وتوفرت فيه شروط الإيمان، وإنما يعرف الإيمان من علم شرائطه، ويعرف المؤمنين من عرف خصالهم، إذا تقرر ذلك، ظهر لنا أن الإيمان مقول على نوعين، ظاهر وباطن:

١ الإيمان الظاهر

فالإيمان الظاهر هو الإقرار باللسان بخمسة أشياء:

١ هو الإقرار بأن للعالم صانعاً واحداً حياً قادراً حكيماً أحداً صمداً عالماً مريداً مدبراً، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، غنياً بذاته عن المكان والزمان، منزهاً عن الكم والكيف والنظير والند والضد. عَلِياً عن الإدراك؛ إذ لا يعلم حقيقته إلا هو وحده سبحانه وهو الله خالق الخلق كلهم ومدبرهم لا أحد شريك له فى ذلك.

٢ هو الإقرار بأن له ملائكة صفوة الله من خلقه، أقامهم لعبادته وطاعته، وجعلهم حفظة لخلقه، ووكَّلَ كل طائفة بالقيام بشأن مما قدره ودبره وأراده من شئونه التى يبديها فى خلقه، ولا يبتديها فى عالم سماواته وأرضه ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ التحريم ٦.

٣ الإقرار بأنه قد اصطفى صفوة من بنى آدم، هم رسُله وأمناؤه، الذين يبلغون الناس كلامه سبحانه المُنزل عليهم، ويدعونهم إلى توحيده سبحانه والعمل بما أمر.

٤ الإقرار بأن هذه الأشياء التى جاءت بها الأنبياء عليهم السلام من الوصايا والأنباء باللغات المختلفة، مُنزلة من الله سبحانه وتعالى وحياً أوحى الله به إليهم بطرق الوحى المعلومة شرعاً وثبتت عقلاً.

٥ الإقرار بأن القيامة لا محالة كائنة وهى النشأة الآخرة، وأن الخلق كلهم يبعثون ويحشرون ويحاسبون، ويثابون بما عملوا من خير ومعروف، ويجازون بما عملوا من شر

ومنكر، أو يغفر الله وهو الغفور الرحيم، وذلك قول الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ البقرة ٢٨٥، وقال: ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ الطلاق ٢.

٦ ويكمل الإيمان الظاهر بإقرار سادس وهو أن يقر المؤمن بأن سيدنا ومولانا محمداً ﷺ خاتم الرسل وخيرهم، وأن كتابه مهيمن على جميع الكتب، وأن الدلائل والبراهين التى أقامها الله تعالى فى القرآن تكفى لمن سلم قلبه من العناد، وطهرت نفسه من الخبث أن يتحقق أنه رسول الله، وأن القرآن كلام الله، وأن من لم يؤمن به ﷺ كافر، وأن القضاء والقدر خيره وشره من الله تقديراً وإرادةً وإيجاداً، وأن التكلم فيه بدون علم وتسليم ربما أدى إلى سلب الإيمان.

ولا يكمل الإيمان الظاهر إلا بالعمل على قدر الاستطاعة بما أمر الله به، والنهى مطلقاً عما نهى الله عنه إلا لضرورة شرعية، ومجموع هذا هو الإيمان الظاهر الذى دعت الأنبياء عليهم السلام الأمم المُنكرة لهذه الأشياء إلى الإقرار بها، وهو يؤخذ تلقيناً كما يتلقن الصغار من الكبار، والجُهَّال من العلماء.

٢ الإيمان الباطن

عقد القلب على اليقين الحق بما أقر به لسانه، فهذا هو حقيقة الإيمان بحيث يكون عقد القلب كعقد قلب من شهد بعينى رأسه عقداً لا يعتريه شك ولا ريب.

المؤمن ظاهراً

هو المقر بهذه الأشياء بلسانه، والمتميز من اليهود ومن النصارى والصابئين والمجوس والذين أشركوا، وبهذا الإقرار يجرى عليه أحكام المسلمين من الصلاة والزكاة والحج والصوم وما شاكلها من مفروضات شريعة الإسلام وسنة المؤمنين.

المؤمن ظاهراً وباطناً

أما الذين مدحهم الله فى كتبه ووعدهم بالجنة، فهم الذين يتيقنون بضمائر قلوبهم حقائق هذه الأشياء المقر بها. وأما الطريق إليه سبحانه فهو بالتفكير والاعتبار والقيام بشرائطها

وواجب حقها كما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ البقرة ٢١٤.

* * *

الإحسان

المُحسن

لما كان المحسن هو من أحسن العمل والحال والقول، وكانت الأعمال إما قلبية أو بدنية، ولا يتحقق الإحسان إلا إذا تحقق الإنسان بإحسان عمل القلوب، ولما كانت أعمال القلوب لا تكون إلا عن العلم والمعرفة، لأنها عبارة عن اليقين والخشية والرهبة والخوف والحب والوله والتأله والرضا والصبر والتوكل والتفويض والإنابة والتسليم والإسلام لله، والإخلاص والصدق، والتوجه والمراقبة والمشاهدة، والحضور والقرب والوصول، والتحقق بالمعية والعندية، وغير ذلك من المقامات التى يترقى إليها الإنسان فى سيره وسلوكه، والدرجات التى يرفعه الله إليها فى وصوله وقربه، كما قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾ المجادلة ١١، وكما قال تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ﴾ آل عمران ١٦٣، وكما قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ﴾ يونس ٢٦، وقال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة ١٩٥، وكما قال ﷺ: (الإِحْسَانُ أن تَعْبُدَ اللهَ كَأنكَ تَراهُ فَإِنْ لَمْ تكُنْ تَراهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ).

إذا تقرر هذا يظهر لنا أن محبة الله تعالى ثابتة للمحسن، وأن إحسان الله تعالى والمزيد عليه من الله تعالى ثابت للمحسن، وأن المحسن يعبد الله حاضر القلب بيقين حق، حتى كأنه يرى الله تعالى، وهو مقام كُمَّل المحسنين، وأقل منه أن يعبد الله متيقناً أن الله سبحانه وتعالى يراه فيحسن عمله لتحققه أن الحق ناظر إليه، وهو بداية المحسنين، وتلك المشاهد العلية والمقامات الموهوبة بفضل الله تعالى، قد سبق الإلماع إلى ما يمكن كشفه بالعبارة فى كتاب " شراب الأرواح "، ولكنى فى هذا أذكر ما ينبغى أن يكون عليه السالك من مشاهد الإحسان.

ما ينبغى أن يكون عليه السالك من مشاهد الإحسان

١ أن يعمل الأعمال الموافقة للأحكام الشرعية

يجب عليه أن يعمل جميع الأعمال الواجبة عليه، متحرياً موافقتها للأحكام الشرعية، بحيث لا يعمل عملاً إلا بعد علم شروطه وفرائضه وسُننه ومبطلاته، سواء كان هذا العمل عبادات أو معاملات، وهذا هو الإحسان فى العمل، فإذا قَصَّر بَطُل عمله أو نقص، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ الكهف ٣٠.

٢ أن يحسن نيته فى العمل

يتحرى أن يحسن نيته فى العمل، وأن يلاحظ النية من بداية العمل إلى نهايته حتى لا تحصل له غفلة.

٣ أن يجتهد فى إخلاص العمل لوجه الله

يجتهد فى إخلاص العمل لوجه الله حتى لا يشوبه رياء مفسد، أو غرض آخر مُبطل للعمل بأن يعمل كمن يعبد الله على حرف.

٤ أن يستحضر مقام من يعمل العمل له سبحانه

أن يستحضر مقام من يعمل العمل له سبحانه عظمةً وغنىً وعزةً، ويستحضر نفسه عالماً بقدرها من الذلة والمهانة والاضطرار لتحصل المواجهة والأُنس.

٥ أن يعتقد أن العمل بتوفيق الله ومعونته

يستحضر أن العمل بتوفيق الله ومعونته وبأمر الله ولله، فيشتغل بالموفق الآمر المُعين على العمل حال العمل وبعده، لينسى عمله بذكر ربه.

٦ أن يقصد بالعمل القيام بحقوق العبودة

يقصد بالعمل القيام بحقوق العبودة لسيده الآمر له، رغبة فى نوال رضوانه.

وكل هذه خصال المحسن، ومراتب رقيه ومبادئ عروجه. وهناك أسرار عزت عن أن تفى بها العبارة ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ الإسراء ٨٥.

* * *

الإيقان

الموقن

الموقن هو من كوشف من أسرار الغيوب والآيات وغريب تصريف القدرة وبديع أسرار الحكمة، بما جعل قلبه مطمئناً لا تحوم حواليه الشكوك، ولا تهجس فيه الريب لأنه تجمل بسراج يزهر، وهو النور الذى يجعله الله تعالى فى القلب ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٖ﴾ النور ٤٠.

فاليقين مزيد من الله تعالى للعبد، به تسكن النفس إلى مبدعها، ويفر الموقن بكمال يقينه إلى الولى الوكيل الحسيب، قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ الأنعام ٧٥، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وقال سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ الصافات ٩٩.

أمثلة من أعمال اليقين

انظر بعين بصيرتك فى هذا المقام العلىّ، كيف بلغ بأهله من الأنبياء والصديقين والشهداء مبلغاً من المقامات سجد العقل على أعتابها حسيراً.

هذا الخليل عليه الصلاة والسلام أُلقى فى النار ثابت القلب مطمئنه، ساكن النفس إلى ربه، وهذا مقام فى اليقين. وأرقى من هذا المقام أن جبريل عليه السلام أدركه فى هذا الوقت الحرج وعرض عليه أن يفعل ما يأمره بقوله: ألك حاجة؟ فكان اليقين الحق ماحياً لما سوى التوحيد من قلب الخليل والإخلاص الكامل، سالباً لكل حظ وهوى فى غير ذات الله. والصدق الحقيقى، مبعداً كل ثقة وأمل وتوكل واعتماد على غير ذات الله. ومُثُل اليقين فى سِيَر الرسل عليهم الصلاة والسلام لا تحصى.

انظر فى الصديقين ترى مبدأها حادثة هابيل وقابيل، كيف بلغ اليقين بهابيل مبلغاً جعله يرضى بقتل نفسه من غير أن يحرك يده، لأنه مشاهد حق يقين عظمة عظيم وجلال جليل ومقام علىٍّ كبير فقال: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ المائدة ٢٨.

وانظر إلى يوسف الصديق كيف قال: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ﴾ يوسف ٣٣، وكيف قال لإخوته ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ يوسف ٩٢.

ثم تأمل فى حادثة سحرة فرعون كيف امتلأت قلوبهم يقيناً بانبلاج الآية حتى قالوا لفرعون: ﴿لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ۝ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ طه ٧٢-٧٣.

ثم اعتبر بغرائب المواهب التى مَنَّ الله تعالى بها على أصحاب رسول الله ﷺ، لعلك تعجب إذا قيل لك: إن سيدنا علىٍّ بن أبى طالب نام على فراش رسول الله ﷺ ليلة الهجرة ليُقتل، وإن سيدنا أبا بكر الصديق وضع عقبه على الجحر الذى رأى فيه الحية ورسول الله نائم على فخذه فى الغار. وأمثال تلك الحوادث كثير لا يحصى من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، ليس هذا المختصر محلاً لبسطها.

فكأن اليقين شهود أسرار الآيات، وسر القدرة السارى فى الكائنات، ونور الحكمة المنبلج للبصائر فى كل الموجودات. وليس اليقين مما يدعيه المدعى لأن دلائله حسية تدهش العقول وتحير الألباب، حتى أن العاقل لا يعرف لها سبباً عند شهود رضا العبد وصبره، وحسن توكله وتفويضه وتحمله عظائم الأمور. وفى ذلك فليتنافس المتنافسون. فالمريد الذى تفرحه الدنيا إن أقبلت وتحزنه إن أدبرت، ويخشى أن يعمل الخير خوفاً على زوال الدنيا، ربما فعل المعصية لجلبها، ويجهل ويقنط عند الفتن، ليس من أهل اليقين ولو ادعى أنه منهم.

وفيما تقدم من أمثلة أعمال أهل اليقين بيان لمشاهد ومشارب أهل اليقين، أسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل الإحسان واليقين، وأن يهب لنا مواهب إحسانه، وموارد أهل محبته، وأن يمن علينا سبحانه وتعالى بالعفو والعافية والمغفرة والوسعة والخير إنه مجيب الدعاء.

الزاهد والعابد والعارف

الزاهد هو من أعرض عن متاع الدنيا وطيباتها لمقصد. والعابد هو المواظب على العبادات بجميع أنواعها لمقصد. والعارف هو المقبل بفكره وقواه النفسية على قدس الجبروت، مستدياً لشروق نور الحق لسره بعد تركه للمُلك وإشرافه على الملكوت، ومواجهة نفسه للعزة.

العابد إذا كان غير عارف تكون عبادته معاملة خاصة، يعملها فى الدنيا لأجرة يأخذها فى الآخرة هى الثواب والنعيم.

الزاهد إذا كان غير عارف فزهده معاملة خاصة، لأنه يشترى بمتاع الدنيا متاع الآخرة.

العارف زهده تنزيه سره عما يشغله عن الحق، وتحقيره لكل شئ غير الحق. العبادة عند العارف رياضة خاصة لتزكية النفس وتطهيرها وصقل القوى المتوهمة والمتخيلة، لتصفو النفس من الرعونات وتطهر من لقسها، وتميل عن جانب الغرور إلى جانب الحق، وبذلك تصير مسالمة للنفس الملكية والقدسية، فلا تحصل منازعة للسر عند مواجهته للنور الساطع عليه من جناب الحق سبحانه.

فمقصد الزاهد غير العارف متاع الآخرة، ومقصد العابد غير العارف نعيم الآخرة مقابل عبادته. ولا مقصد للعارف إلا الحق الأول لا لشئ غيره، ولا يؤثر شيئاً على عرفانه، وتعبده له فقط ولأنه مستحق للعبادة، ولأنها نسبة شريفة إليه، لا لرغبة أو رهبة، وإن كانتا فيكون المرغوب فيه والمرهوب عنه هو الداعى وفيه المطلوب، ويكون الحق ليس هو الغاية بل الواسطة إلى شئ غيره، وهذا الغير يكون هو الغاية والمقصد، ويكون الحق عند هذا العامل وسيلة ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ الصافات ١٦٤. أسأل الله تعالى أن يزكى أنفسنا، وأن يجعلنا من المقربين المحبوبين، وأن يمن علينا بجماله وإحسانه وفضله الواسع وتوفيقه ورضوانه ومغفرته، إنه مجيب الدعاء، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

الورع

تعريف الورع

الورع هو ترك الشبهات، قال الله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ المدثر ٤، وقال ﷺ: (من حُسْنِ إِسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَالاَ يُعْنِيه) وقال عليه الصلاة والسلام: (دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لا يَرِيبُك) وقال ﷺ: (لاَ يَكُونُ العَبْدُ مِنَ المُتَّقِينَ حتى يَدَعَ مَا لاَ بأْسَ بِه حَذراً مِمَّا بِه بَأْسٌ) وقال ﷺ لأبى هريرة: (كُنْ وَرِعاً تَكُنْ أَعْبَدَ الناس) وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (كُنَّا نَدعُ سَبْعِينَ بَاباً مِنَ الْحَلالِ مَخَافَةَ أَنْ نَقَعَ فِى بَابٍ مِنَ الْحَرَامِ) وقال الضحاك: (أَدْرَكْتُهمْ وما يتعلمون إلا الورعَ، وأنتم تتعلمون الكلام) وقال يحيى بن معاذ: (الورع الوقوف على حَدِّ الْعلمِ مِنْ غَيْرِ تَأويلٍ وَلا قِياس) وهو أيضاً راجع إلى معانى الأحاديث المتقدمة، وهو آخر زهد العامة وأول زهد الخاصة.

درجات الورع

وهو على ثلاث درجات:

١ تجنب القبائح لصون النفس وتوفير الحسنات، فإن من خلط العمل الصالح بشئ من السيئات فما وفر حسناته ولا صان إيمانه.

٢ حفظ حدود الشريعة بترك ما لا بأس به إبقاءً على الصيانة والتقوى، كما أشار إليها الحديث.

٣ التورع عن كل داعية تدعو إلى سيئات الوقت، وعن كل عارض يُعْرض حال جمعك على الله تعالى.

❊ ❊ ❊

أنواع الورع

الورع على أربعة أضرب

١ الورع الذى يشترط فى الشهادة والرواية، وهو الذى يخرج الإنسان بتركه عن أهلية الشهادة والرواية والقضاء والولاية، ويحصل بالتجرد عن الحرام الظاهر.

٢ ورع الصالحين: وهو يحصل بالتوقى عن الشبهات التى تتقابل فيها الاحتمالات، وقد حَرَّض النبى ﷺ على ترك الشبهات، فقال: (مَنْ تَرَكَ الشُّبهاتِ فَقَدْ اسْتَبرأَ لِعِرْضِه وَدِينِه).

٣ ورع المتقين: وهو ترك الحلال المحض تحفظاً من الوقوع فى المشتبهات. وقال ﷺ: (لَا يَكُونُ الرَّجُلُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ حتَّى يَدَعَ مَا لا بأْسَ بِهِ مَخَافَةً مِمَّا بِهِ بَأْسٌ).

٤ ورع الصديقين: وهو الإعراض عما سوى الله تعالى، خوفاً من صرف ساعة من العمر فيما لا يفيد زيادة قرب عند الله تعالى.

ودخل الحسن البصرى مكة فرأى غلاماً من أولاد سيدنا على بن أبى طالب قد أسند ظهره إلى الكعبة يعظ الناس، فوقف عليه الحسن فقال: ما مِلاكُ الدين؟ فقال: الورع. فقال: ما آفة الدين؟ فقال: الطمع. فتعجب منه.

ومن رغب فى الجنة تورع عن الشبهات، ومن رغب فى معية النبيين والصديقين والشهداء تورع عن بعض المباحات، ومن رغب فى الله سبحانه فر إليه عما سواه. أسأله سبحانه وتعالى أن يمن علىَّ وعلى أهلى وإخوانى بالحب الخالص لذاته، والرضا عن جنابه العلى، والإخلاص والصدق، وأن يتفضل علينا جميعاً بالحب منه سبحانه والرضا والقبول، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباب الثانى

فى الذكر وأهل الطريق

وآدابهم واصطلاحاتهم ومعارفهم

الفصل الأول

الذكر

الذكر هو من أفضل العبادات، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ سورة الأحزاب ٤١، وقال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ البقرة ١٥٢، وقال جل ثناؤه: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ العنكبوت ٤٥، وفى الحديث: (مَنْ ذَكَرنى فِى نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِى نَفْسِى، وَمَنْ ذَكَرنى فِى مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِى مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُ) وقيل لبعض العلماء: متى تقرب القلوب من الله تعالى؟ فقال: إذا كانت قائمة بذكره غير لاهية عنه. فلا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر، والذكر يكون باللسان ويكون بالقلب، فذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب، وذكر القلب عليه المعول. فإذا كان العبد ذاكراً بلسانه وقلبه فهو الكامل فى وصفه حال سلوكه.

من خصائص الذكر

ومن خصائص الذكر أنه غير مؤقت، بل هو مطلوب فى عموم الأوقات وجميع الأحوال، إما على جهة الفريضة وإما على جهة النفلية، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ آل عمران ١٩١ الآية. وقال سهل بن عبد الله: (ما أعرف معصية أقبح من نسيان هذا الرب عز وجل).

واعلم أن الذكر الذى يقابله النسيان هو ذكر القلب لا ذكر اللسان، وهو أفضل الذكرين، والذاكر إذا استغرق فى ذكر الله تعالى نسى كل شئ سوى الله تعالى، فمن ذكر شيئاً آخر مع الله تعالى فقد أشرك بين الذكرين، لأنه التفت وهو مع الله تعالى إلى غيره، قال ﷺ: (سبق الْمُفْرِدُونَ، قيل وما الْمُفْرِدُونَ يا رسول الله؟ قال: الذَّاكرُون اللهَ كثيراً والذَّاكراتُ)

رواه الترمذى، والمفردون بتشديد الراء وتخفيفها، وهم الذين تفردوا بذكر الله تعالى، أو أفردوا الله تعالى بالذكر. والذكر عند المحققين طرد الغفلة، فإذا ارتفعت الغفلة حصل الذكر، واللسان ترجمان عن ذلك.

واعلم أن الذكر يدل على المحبة، فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره، فالذكر يستلزم المحبة، وهى تستلزم الشوق، وهو يستلزم الذكر، وهلم جرا، والذكر والمحبة والشوق وإن كانت أحوالاً شريفة، لكنها تدل على بقاء حجاب ما، إذ الشوق إنما يكون إلى غائب حتى ينكشف للذاكر الغيب الذى فى نفسه، وتظهر له الآيات التى هى دلائل اليقين الحق، فتحصل له البهجة والأُنس والسكون، بعد لواعج الشوق وهيجان الوله، ولديها يحسن للسالك الأُنس، ويزج به فى حضرة الفكر فيكون ذاكراً فاكراً، أسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل الذكر الأكبر، ويمِن علينا بالرضوان الأكبر إنه مجيب الدعاء، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

❊ ❊ ❊

الفكر

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ الروم ٨ الآية، وقال ﷺ: (اَللهُمَّ اجعَلْ صَمْتِى فِكْراً، وَنُطقى ذِكْراً، وَنَظرى عِبراً).

أنواع الفكر

وهو ثلاثة أنواع

١ فكرة فى عين التوحيد وفى صفات الكمال ونعوت العظمة والجلال، وذلك بحر لا ساحل له، ولا ينجى من الغرق فى هذا البحر إلا الاعتصام بحبل الله تعالى، والتمسك بالعلم الظاهر.

٢ الفكرة فى لطائف الصنعة، وفى أسرار الحكمة، وعجائب الإبداع.

٣ الفكرة فى معانى الأعمال والأحوال.

أقسام الفكر

قال بعضهم: خالص الفكر يوصل إلى استقامة القلوب، واستقامة القلوب توصل إلى الصدق والإخلاص، وقال بعضهم: الفكر على خمسة أقسام:

١ تفكر فى آيات الله يتولد منه المعرفة.

٢ تفكر فى آلاء الله ونعمائه يتولد منه المحبة.

٣ تفكر فى وعد الله وثوابه يتولد منه الرجاء والرغبة.

٤ تفكر فى وعيده وعذابه يتولد منه الخوف والرهبة.

٥ تفكر فى صفاء النفس مع إحسان الله تعالى إليها يتولد منه الحياء من الله تعالى.

حصننى الله وإخوانى بالحفظ من سوء الفكر، ومنحنى وإياهم حقيقة الحضور معه سبحانه، وأشهدنا من آياته الكبرى ما يكمل به يقيننا، ونذوق به حلاوة الإيمان ولذة التقوى، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

❊ ❊ ❊

آداب الذكر فى الخلوة والمجتمعات

الذكر إما أن يكون بالقلب واللسان، أو بالقلب فقط، أو باللسان فقط.

١ ذكر القلب واللسان

فالذكر بالقلب واللسان هو أن يشرق على القلب نور معنى من معانى الحق، يتحقق بها القلب بحال من أحوال الحضور مع الرغبة أو الرهبة أو الفرح أو البهجة أو الخوف أو القبض أو البسط أو الجمال أو الطمع والرجاء، وقد يقوى الحال حتى يستغرق القلب فى أسرار تلك المعانى المجلوة له حتى يترجم بلسانه عن حقيقة وجده، فإذا نطق بلسانه باللفظ

الدال على نور المعنى المشرق فى القلب كان ذاكراً بقلبه ولسانه، وفى هذا المقام ينبغى للذاكر ولمن معه أن يكونوا فى خلوة خاصة، ويجب عليهم أن يخفوا أسرار هذا المجلس، ويطووا بساطه حتى كأنه لم يكن، خصوصاً إذا غلب على الذاكر الوجد حتى انحلت عقدة اللسان، فأباح بمكنون وجده عن مشاهد سريرته، فإن السامع له إذا نقل عبارته أفسد وخان أمانة أخيه، كما قال ﷺ: (المَجالسُ بالأَمَاناتِ) فإن للبصيرة عيوناً تَشهدُ إذا صَفَا القلب ما لا تشهده الأبصار، كما قال العارف بالله:

فإنا إذا طِبْنَا وَطَابَتْ نُفُوسُنا ... وخَامَرَنا خَمْرُ الغرَامِ تَهَتَّكْنَا
فَلا تَلُم السكْرَانَ فى حَالِ سُكْرِهِ ... فَقْد رُفعَ التكْلِيفُ فى سُكْرِنا عَنَا

٢ ذكر القلب

ومن الآداب فى ذكر القلب، أن المريد يلزمه أن يقف عند ما أُمر به، وأن يحافظ على الاقتداء بإمامه، بحيث لو لاح له مشهد من المشاهد التى تخالف ما ورد فى السُنة أو ما عليه المرشد فيلزمه أن يخالف كشفه وشهوده، ويسئ الظن بنفسه، لأن ذلك ربما كان من رعوناتها، أو من وسوسة الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس.

وليعلم المريد أن ذكر القلب هو الذكر حقيقة، لأنه تفكر فى آيات الله، واعتبار بما فى الآثار من أسرار الحكمة وعجائب القدرة، حتى يبلغ به الفكر والاعتبار والتدبر إلى حال يكون فيها كأنه حاضر مع ربه وربه معه، ويبلغ به الحضور إلى حال لا يقع نظره على شئ إلا ويلحظ أنوار البديع الحكيم القادر المريد الحى القيوم، بل ولا يسمع ولا يحس ولا يمس إلا ويلحظ معانى القدس، كأنها جليَّة أمام سره، نعم هو الذكر، وإنما ذكر اللسان باب له، أو ترجمان عنه، ومن حضر قلبه وكان فى مراقى الوجد، وانزعاج السر ووله الطمع، فالواجب عليه أن يلزم الخلوة أو يجالس أمثاله، أو يلازم المرشد حتى تحصل السكينة، لأن اجتماعه على الخلق سلب لحاله وقطيعة لهم، إلا إذا قصدوا وجه الله فى حجزه عن الناس خوفاً على العامة، والواجب على نائب المرشد إذا حصل لأحد الإخوان انزعاج سره إلى الملكوت الأعلى، أن يلطف حاله بالأعمال البدنية من الصلاة والصيام، أو تكليفه بخدمة

خاصة، ويلزمه أن يبعده عن مجالس الذكر، وعن المجتمعات ومجالس المذاكرات وسماع الأناشيد الحكمية، ليحصل له التوسط.

وقد خص بعض أهل الطرق ذكر القلب باستحضار نقش اسم "الله" على القلب، أو استحضار أن القلب يذكر "الله"، وجعلوا لذلك خمس لطائف وهى: لطيفة البرزخ، ولطيفة القلب، ولطيفة الروح، ولطيفة الخفا، ولطيفة الأخفى، وجعلوا لكل لطيفة آداباً مخصوصة ونقشاً مخصوصاً، وهى طريقة تصلح لبداية طريق الصامتين ولحفظ اللسان، إلا أنها تحتاج إلى الختم الحقيقى المجمل بالصورة المحمدية، الذى علم أمراض النفوس ودسائسها، وخفى مكائدها، وطرق نجاتها وشفائها، والغريق كيف يُنجى غيره؟! وقد بينت أسرار تلك اللطائف الخمس، وضوابط الإذن والتلقين، ومشرب الختم، ومشهد المجتمعين معه فى "المكنون".

❊ ❊ ❊

امتحانات السالكين

قد يغلب على المريد الواجد حال حتى يخرج عن حد الاعتدال ويجاهر بذلك فيعاقب بتسليط الخلق عليه وأذيتهم له حتى يشغلوه عن وارداته فيشتغل بهم فيسلب حاله والعياذ بالله من السلب بعد العطا، وقد يبعثه الوجد إلى عمل النوافل وترك الواجبات لأن الواجبات تجعله وسطاً فيرى نفسه بعملها غير واجد ما يجده فى حال النوافل، فيترك الفرض ويسارع إلى النفل لجهله بحصون الأمن وبمراقى القرب، فما يلبث إلا وقد خرج عن الاعتدال الشرعى، فإن كان محمولاً مجذوباً مفقود القوة التى بها التكليف فهو ممن يرحمه الناس ويحفظه الله من أن يضر غيره، وهو المجذوب بعامل العناية وإن كان يشعر بالأشياء ويميز بين الفقر والغنى والعز والذل، فذلك مسكين غلبه هواه وهو هالك إن لم يكن له مرشد كامل يتداركه الله به، وقد يبلغ الحال بأهل القلوب حتى تحصل لهم عزيمة على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ودعوة الخلق إلى الحق، فإن كان صاحب هذا الحال منح السكينة بعد الحب والحكمة بعد العلم، كان النفع به أكمل وإلا فالضرر به أكثر من النفع، لأنه تكون له صولة لما يلوح له من أنوار غيوب المعانى، فيجاهر بها بدون حكمة ولا موعظة حسنة، قال الله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ﴾ النحل ١٢٥، هذا وإن

أهل القلوب الذين هم أصحاب المرشد ربما أباحوا ببعض أسرار المكنون لأهل الجهالة فينتج عن ذلك سوء ظن الناس بالمرشد واتهامهم له ورميهم إياه بالكفر وترك من تكلموا، ولم يكن ذلك إلا من جهل الناقلين، كما قال ﷺ: (إنَّ مِن العلْمِ كهيئةِ المكنونِ لا يعلَمَه إلا العلماءُ باللهِ، فإذا ذَكَروه أنكرهُ أهلُ الغِرَّةِ باللهِ).

٣ ذكر اللسان فقط

هو أن ينطق الذاكر بجملة مفيدة ككلمة التهليل، أو ينطق باسم مفرد ملاحظاً تمام الجملة بقلبه، كما إذا قال: "**الله**" بلسانه، ويلاحظ بقلبه: خلاق أو رزاق أو ربى أو شافى، وهذا أقل مراتب الذكر، وتركه الغفلة إذا كان الإنسان غافلاً بقلبه وجوارحه.

❊ ❊ ❊

آداب الذكر باللسان

١ إذا كان فى خلوة منفرداً

فالأولى أن يكون على طهارة، وأن يكون مستقبل القبلة، وأن يكون له راتب معلوم، والأولى أن يكون تلقينه من مرشد عالم، وأحب أن يكون على مزيد فى كل ليلة ولو بزيادة كلمة، وأن يفتتح بالقرآن ويختتم بالقرآن، وبعد تمامه يغمض عينيه، ويستحضر أنه مأذون بهذا الراتب من المرشد المتصل سنده برسول الله ﷺ ليحصل له اتصال بوجه ما بالمعية المحمدية، فترد على قلبه لطائف الذكر، من فهم لمعانى الكلمات، أو فقه لأسرار الآيات، أو شهود لغيب المعانى وبيان أسرار المغانى، أو ذوق مقامات المرشد، أو التجمل ببعض أحواله. وهذا كله دليل على حضور القلب وعلى ابتداء يقظته، ويكون ذكر اللسان فى هذا الوقت مفتاحاً لذكر القلب.

٢ الذكر باللسان فى المجتمع

يلزم أن يكون المكان طاهراً، وأن يكون بعيداً عن الغوغاء والأسواق وأماكن اللهو، والأولى أن تفتتح مجالس الذكر أولاً بقراءة القرآن ثم بالتهليل، بشرط المحافظة على اللفظ

الوارد شرعاً، والتوسط فى الصوت، ويكون المفتتح للذكر أخشعهم قلباً، شديد الملاحظة لمعانى المذكور، حتى يمدهم بروحانية الذكر، وأن يكون شديد الحضور والمراقبة، فإذا ظهر أن الذكر نبه القلب يكتفى بالتنبيه فيغير اللفظ، ويلزمه أن يتوسط فلا يطيل الذكر إطالة تخرج السالك عن حد الاعتدال، ولا يقصر تقصيراً لا يبلغ به تنبيه القلب، لأن المراد من الذكر فى المجتمع الخروج من الغفلة وتنبيه القلب، ويجب أن يراقب حفظ نظام المجلس، وتوحيد الكلمة، ومساواة الصوت والحركة، فإذا رأى أن أحد الإخوان وجد، يلزمه أن يغير الذكر لفظاً أو حركة، وإن وجد الجميع يلزمه أن يجلسهم حفظاً لحالة التوسط، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ البقرة ١٤٣.

* * *

من آداب الذكر مراعاة المعانى القلبية

ومن آداب الذكر أن يعتقد الذاكرون أنهم إخوان فى الله، وأنهم اجتمعوا لله، وأنهم ذكروا الله إما لفقرهم إليه سبحانه ليغنيهم، أو بتوبةٍ ليغفر لهم، أو باضطرار إليه ليجيبهم، أو بشكر لنعماه ليزيدهم، ولا تظهر تلك المعانى للقلوب إلا إذا نزع الله ما فى صدورهم من غلٍ لبعضهم، وقد يُحجب الإمداد عن الذاكرين لوجود رجل منهم سئ السريرة أو حسود أو مفسد، قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ﴾ الأنفال ٢٥.

وعلى الإخوان فى وقت الذكر وبعده أن يتناسوا حظوظهم وأغراضهم، لأن الذاكر جليس الله، قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ البقرة ١٥٢، ويجب أن يكون الأخ الذى قدمه المرشد منظوراً بعين التعظيم، لأن المراد منه اجتماع الكلمة، فتقبل نصيحته ويطاع أمره فيما هو واجب أو مندوب أو مستحب، وتُقبل معذرته إذا أخطأ واعتذر، ويُنَبَّه إذا نسى، وَيُذَكَّر إذا سها، ويُنصح إذا غفل بحالة مقبولة، والواجب عليه أن يكون حسن الكلام، بشوش الوجه، محترماً لجميع إخوانه معظماً لهم، مسارعاً إلى خيرهم، أرحم بالواحد منهم من نفسه، يغض بصره عن عيوبهم التى لا تضر شرعاً، ويقبل اعتذارهم، ويجتهد فى دوام الألفة والمحبة.

ويلزم أن يكون الذكر لغير غرضٍ عاجل من مال أو شهرة أو عناد أو تفرقة أو إرضاء للخلق أو طلب للدنيا، أو لإشهار عمل من أعمال الناس غير الذكر، فإن الذكر أفضل العبادات على الإطلاق إذا كان كاملاً بمعناه، قال الله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ العنكبوت ٤٥، وإنما يذكر العبد ليتقرب إلى المذكور سبحانه فكيف يعصاه بذكره ويبعد عنه بما يتقرب به إليه؟ قال رسول الله ﷺ: (مَلْعُونٌ مَلْعونٌ مَنْ طلب الدُّنيا بعمَلِ الآخرة)، وإنما هى النيات ولكل امرئٍ ما نوى.

❊ ❊ ❊

الغرض من الذكر فى الأماكن العامة

إخوانى منحنى الله وإياكم حسن الاقتداء برسوله ﷺ، وحقيقة الاتباع له ﷺ، حتى نفوز بمحبة الله تعالى لنا. اعلموا – منحنى الله وإياكم العلم والفقه والعمل – أن مجالس الذكر فى الأماكن العامة كالمساجد والزوايا وفى الأماكن المشهورة، إنما قررها العارفون لغرضين عظيمين:

١ صرف الوقت فى ذكر الله تعالى، ابتغاء فضله سبحانه ورضوانه بإخلاص.

٢ أن يلاحظ الإخوان – ودنى الله وإياهم – أن الناظرين لهم، والسامعين لذكرهم، إما أن يميلوا بقلوبهم ويُقبلوا على الله لما رأوه من الخشوع والآداب، وحسن الحال والزى، وما سمعوه من صحة اللفظ وتوسط الصوت. فيكون الذكر فى الأماكن العامة إعلاناً بما عليه أهل الطريق من اتباع الشرع الشريف، ومن التجمل بصفات العلماء التى هى الخشية والخوف ودوام الذكر، والخشوع والتواضع والانكسار، والألفة فى الله، والتعاون على طاعة الله والاجتماع للخير، فيكونون بذكرهم جمعوا الخلق على الله، وكأنهم بذكرهم دعاة إلى الخير.

وإما أن يكون السامعون لهم والناظرون إليهم ألسن تقبيح وذم، وأيدى أذية وشر، إذا رأوا مالا يألفونه من حركات الأجسام، وما ينكرونه من المزاحمة بين الإخوان، وما يكرهونه فى تحريف الأسماء الحسنى والنطق بها على غير ضوابطها الشرعية، وما تكرهه أسماعهم مما

يكرره بعض الذاكرين من عبارات المدح لشيخهم، أو من الإشارات القدسية العالية التى لا يفهمونها، فيسبب ذلك نفورهم وتنفير غيرهم، وفتح باب المعارضة على الطريق وأهله ويكونوا بذكرهم خالفوا الطريق وفتحوا على أنفسهم باب شر، وفتحوا على المسلمين باب فتنة.

❊ ❊ ❊

الحاضرون مجالس الذكر العامة

إخوانى جملنى الله وإياكم بجميل الأخلاق والأحوال، أوصيكم أن تجعلوا مجالس الذكر العامة قاصرة على من لا يغلبهم الحال، وأن تكون العبارات التى يقولها القوال قاصرة على فضائل الذكر والصلاة والصيام والحج، وعلى التشويق إلى الجنة والتخويف من النار، وعلى الاستعداد للموت وترك الظلم، والحث على التوبة، فإذا خلوتم فى مجالسكم الخاصة وأغلقتم الأبواب بينكم وبين العامة، فعندها يطيب لكم الحضور، ويحسن الذكر والحال وسماع أسرار الحكمة.

إخوانى ليس كل من اتصل بكم وذكر معكم يؤمن على مجالس الجلوة ولا يُقبل فى الخلوة، بل يلازم الرواتب والأذكار العامة ومجالس المذاكرات فى الأحكام الشرعية، حتى تتهذب نفسه وتطهر أخلاقه ويُؤمَنَ على أسرار الشريعة وأنوار علومها، ولديها يُتخذ أخاً فصاحباً فرفيقاً فصديقاً فبدلاً.

الفصل الثانى

أهل الطريق

الواجب على أهل الطريق

إخوانى إنما تآخينا لنجاة أنفسنا ونجاة إخواننا المسلمين، فالواجب علينا أن نتباعد عن ما يريبنا أو يوقعنا فى الريبة عند الناس بأن نتحصن بالحصون الشرعية، فلا نتكلم أمام الناس بخصوصياتنا ولا بخصوصيات المرشد ولا نفضل طريقتنا أو أستاذنا على الطرق الأخرى وعلى الرجال، لأن ذلك يوقع المسلمين فى فتنة وشغل فى غير الحق، وأن نحافظ على إخواننا المسلمين من الوقوع فى غيبتنا وظن السوء بنا، بترك الأعمال التى لو عملناها لا تضرنا ولكنها تلفت المسلمين إلى زَمِّنا، مثل أن نترك الصلاة فى المساجد بالتلذذ بها فى الخلوة ومثل أن نترك الكلام مع الناس اشتغالاً بالأُنس بالله، ومثل أن نترك العمل فى الدنيا توكلاً على الله تعالى ومثل الخلوة بالأجنبيات تحصناً بمراقبة الله تعالى واعتقاداً أنه لن يضره ولن يضرها ذلك لعلمه بنفسه ومعرفته بالكبائر المحرمة شرعاً، فإن ذلك موجب لوقوع الناس فى الشر وفساد اعتقادهم فى الطريق وأهله، ومثل ترك الملابس أو تكلف لبس المرقعات مما يجعل الناس يقعون فيه، فإن ذلك مخالف لطريقنا ومبدئنا، لأننا نحب إقبال الخلق على الله ودعوتهم جميعاً على الحق ومن كان هذا طريقه وحاله فالواجب عليه أن يؤلف الخلق أجمعين لا فرق بين المسلم وغيره من المجوسى واليهودى والنصرانى، وإنما تأليفهم يكون بالمحافظة على وصايا القرآن الشريف وكمال الاقتداء بسيدنا ومولانا محمد ﷺ فى السر والعلن وبأن يخفى مواجيده وأحواله وأسراره عن العامة حتى يكون مع الخاصة، وإلا فإذا كان أهل الطريق ينفرون أخوانهم المسلمين بأعمالهم وأقوالهم وأحوالهم فمن الذى يؤلفهم ويذكرهم بأيام الله وأحكام الله والعمل بسُنة رسول الله، إذا كان أهل الطريق يفسدون فمن يصلح؟ وإذا كان أهل الطريق يفرقون فمن يجمع على الله؟ هذا ظاهر.

إخوانى منحنا الله العمل بالكتاب والسُنة وأشهدنا مشاهد المقربين وأنزلنا منازل المحبوبين، إنما جعل الطريق ليحصل الوصول بقرب المسافة وليسير آمناً من التيه والوحشة

والقطيعة، وأهله هم بقية الله الوارثون علوم الرسل عليهم السلام وأحوالهم وأنوارهم والنائبون عنهم فى تجدد سُننهم وإقامة حججهم وبيان سبلهم.

صفات أهل الطريق

إخوانى إنما أهل الطريق هم العلماء بسُنن الله ورسوله، العارفون بأسرار الله سبحانه وأسرار رسول الله ﷺ، الذين فقههم الله فى دينه، وواجه سرائرهم بجماله، وكاشفهم ببديع حكمته وغرائب قدرته، جملهم بأخلاقه الربانية وأقامهم مقام رسله، فقلوبهم خاشعة، وعقائدهم حقَّة، وآراؤهم صحيحة، وعلومهم لَدُنية، عُقِدت على حق اليقين قلوبهم، وانشرحت لعمل القربات صدروهم، وحَنَّت إلى جناب القدس الأعلى أرواحهم، هانت الدنيا عليهم وصغرت فى أعينهم فلم تشغلهم عن مرادهم وعن مقصدهم، يطلبون الجنة لا لنعيمها ويخافون النار لا لعذابها، بل لأن الجنة محل مشاهدة جمال الجميل وهم مشتاقون إليه، ولأن النار مكان غضب القهار وهم فارون من غضبه، ملأ الله قلوبهم رحمة بعباده، هذه صفاتهم التى يمكن أن يعبر عنها اللسان، وتسطرها الأقلام. فمن كانت هذه صفته، هل يكره أخاه فى الطريق؟ أو يخالف الرفيق؟ أو يرى نفسه أفضل من أخيه؟ أو يهتم بتفرقة الإخوان؟ حاشا... ما يفعل ذلك أخ فى طريقنا، إنما يفعل ذلك الأدعياء المغرورون والجهلاء المبعودون، أعاذنا الله منهم ومن أعمالهم.

كيفية التقرب إلى الله

إخوانى – هدانا الله سبله، ونعمنا بمشاهد ملكوته الأعلى – كل أخ منا مكلف بأن يتقرب إلى الله بنفسه وماله والله غنى عن العالمين، فتقرب بنفسك ومالك إلى الله فى الفقراء والمعوزين من إخوانك، وفى دفع الضرر وكشف الآلام وتخفيف المصائب عنهم، وفى تأليف القلوب، لأن كل واحد منا مُكلف بأن يتقرب إلى الله بما وهبه سبحانه من العلم والجاه والعافية والمال، فمن وهبه الله العافية والمال والجاه والعلم فعليه أن ينفق مما وهب الله له، وأن يكمل نفسه بطلب ما بقى من إخوانه، بأن يسعى لطلب العلم وغيره ليكون عاملاً من عمال الله، نافعاً لنفسه ولإخوانه.

طريقنا هو طريق السلف الصالح

إخوانى هذا الطريق هو طريق السلف الصالح، الذى هو السعى فى تزكية النفس وتطهيرها، والعمل بالكتاب والسُنة، والحمد لله قد وفقنى الله تعالى بأن جمعت لكم فى كتاب "أصول الوصول" أحكام العقيدة وشرح العبادات والمعاملات والزواج وعلوم اليقين، وفى كتاب "شراب الأرواح" علوم الحكمة التى تلزم من تزكى، ثم كتبت ما لابد منه من العلوم والأسرار فى غيرهما، وأحب يا إخوانى أن تجعلوا لكم فى كل يوم وقتاً تتدارسون فيه كلام الله وكلام رسوله، وتقرأون فيه ما لابد لكم منه فى كتبكم هذه، ويلزم أن يُقدَّمَ هذا على النوافل لأنه أول واجب، كما قرر بعض العلماء أن أول ما أوجب الله تعالى على العبد: العلم، حتى إذا عمل عمل بعلمه فيورثه الله علم ما لم يعلم.

ترك الكشف عند مخالفته للسُنة

إخوانى من كُشِفَ له الحجاب، فشهد مشهداً يخالف السُنة وما عليه المرشد فليتهم نفسه، وليستعذ بالله منها ومن الشيطان، وليقل: ﴿رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ﴾ سورة المؤمنين ٩٧-٩٨، فإن للشيطان لمة بالسالك يتجمل له ليخرجه من جنة المعرفة والشهود كما أخرج أبانا آدم، وإنما حصون الطريق هى حصون الأمن.

خصوصيات المرشد التى لا يقلده فيها المريد

إخوانى أسعدنا الله بحقيقة السعادة ومنحنا عميم الخير، اعلموا أن للمرشد أحوالاً خاصة به، ينبغى أن لا يقلد فيها إلا بعد الإذن منه بعملها للأخ فى الله، مثل الصولة عند الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ومثل اشتغاله بالعلم والمذاكرة عن بعض النوافل، ومثل مداراته للخلق وتأليفه لأهل المنازل والشرف، ومثل تركه للذكر باللسان واشتغاله بذكر القلب، وبذل جميع ما فى يده غير خائف من الفقر، ومثل تكليف بعض الإخوان بما يناسبهم من الأعمال البدنية أو الصدقات أو الرياضات، ومثل أن يسأله النساء عن أحكام الدين فيجيبهن، ومثل أن يعمل أعمالاً يقتضيها الوقت هى سُنة بالنسبة له تخفى على غيره

حكمتها، ومثل أن يحب الجميل من كل شئ فى المأكل والمشرب واللباس والفراش، ومثل سكوته على أمور يلزم المبادرة بمحوها مما هو مكروه أو مخالف للسنة، فإن الرجل إنما يسعى ليزيل المرض المنتج للآلام لا ليسكن الآلام، فقد يسكت عن المكروه أو المخالف حتى يعلم حقيقة المرض فيعالجه بالعلاج الشرعى والشافى هو الله، وربما كان سكوته على المكروه سداً لباب من أبواب الفتنة والتفرقة. فالمريد لا يقلد الرجل فى كل تلك الخصوصيات حتى يظهر له سر حكمتها، وعلى المريد أن يسلم له، ويعلم أنه لم يؤت من العلم إلا القليل، ويتشوف إلى فضل الله والمزيد من العلم، إذا تقرر ذلك فالمريد الذى يقلد المرشد ليس بمريد، ولكنه حيوان يحاكى كالقردة والنسانيس، أو رضيع يحاكى أعمال والده.

❊ ❊ ❊

هيئة الذكر والأسماء التى تُذكر فى المجتمعات والخلوات

معلوم أنه ورد كثيراً كلمة حلق الذكر وصفوف الصلاة. فيظهر أن الأكمل أن يكون الذاكرون حلقاً، ومعلوم أنه ورد أن الأولى للمصلين أن يتقاربوا حتى يتماسوا، وورد أن ذلك أصفى لقلوبهم وأبعد لعدوهم الشيطان. من ذلك رأى بعض أئمة الطريق أن يكون الذاكرون حلقة، وأن يضع الذاكر يده فى يد أخيه واضعاً أصابعه بين أصابع أخيه برفق، إظهاراً لصفاء القلوب، وتحصُّناً من وسوسة الشيطان الرجيم. وقد روى أبو طالب المكى فى كتابه " قوت القلوب" أن سيدنا عبد الله بن عمر بعد أن صلى العيد فى مُصَلاه جلس يذكر الله هو ومن معه من الصحابة، فجاء مصعب بن الزبير فقال: يا عبد الله، خالفت كلام الله، يقول الله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡ﴾ النساء ١٠٣، وأنت تذكر قاعداً، فقام عبد الله بن عمر هو ومن معه فذكروا قياماً بعد أن ذكروا قعوداً.

هذا ما ورد عن الصحابة فى الذكر قياماً وقعوداً فى مصلى العيد خارج المدينة، وقد صح أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يجلسون فى المسجد حلقاً، حلقة يذكرون الله وحلقة يتدارسون القرآن وحلقة يتعلمون، وكان يدخل رسول الله ﷺ المسجد فيراهم، فيتوجه إلى حلقة العلم ويجلس معهم ويقول:(إنما بُعثت معلماً) ويقر الذاكرين.

أما حركات الجسم فى الذكر فمعلوم أن الركوع والرفع من الركوع ركنان فى الصلاة، ولذلك فإن بعض أئمة الطريق استحسنوا أن تكون حركات الجسم فى الذكر من قيام وقعود كركوع ورفع، والأولى المحافظة عليها، ما لم يقو وجد الذاكر فإنه يباح له ما لا يباح لغيره.

❊ ❊ ❊

العمل فى الذكر

النجيب

من المقرر أنه لابد أن يكون لكل جماعة فى بلد أو قرية أو مدينة أخ مقدم عليهم يلاحظ أن يكون:

١ عالماً بالسُنة حتى يردهم إليها إن سهوا أو خالفوا.

٢ عالماً بأسرار الطريق ليبين لهم مقامات السير والسلوك، وطرق تزكية النفوس وحقيقة الآداب، وهما الأصلان العظيمان اللذان بهما يقدَّم الأخ، فإن جمله الله بعدها بشرف النسب وبالوسعة فى الرزق وبالجاه بين الخلق فهو النجيب، وله أخ متصف بتلك الصفات إلا أنه أقل منه فيها، يسمى النقيب.

أعمال النجيب فى الذكر

١ المحافظة على رواتب الطريق

المحافظة على رواتب الطريق من الصلوات والأدعية والأذكار، ويفتتح مجالس الذكر أولاً بقراءة بعض سور القرآن مما يحفظه الجماعة، ولو الفاتحة والصمدية والمعوذتين، ثم يقرأ قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ سورة محمد ١٩، ملاحظاً النطق بها بحسب رواية القرآن الشريف، حتى يكون تالياً للقرآن ذاكراً الله تعالى. ويلزمه أن يبين للإخوان تلك الملاحظة، فيكونوا مرتلين للقرآن ذاكرين الله تعالى. ويشرح لهم معنى "لا إله إلا الله" إجمالاً، بأن يفهمهم أن الإله هو الغنى عما سواه، المفتقر إليه كل من عداه، وأن الإله الحق المتصف بتلك الصفات هو الله سبحانه وتعالى الذى لا شريك له، وأنه هو المعبود بحق دون غيره.

٢ أن يرفع صوته بالتهليل

ثم إذا علم أن القلوب أشرقت عليها أنوار التوحيد، وأنست بالواحد وتركت الأغيار، يرفع صوته بالتهليل، ويقرأ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ الأنعام ٩١، مستحضراً الأمر من الله تعالى لرسوله ﷺ، ووجوب الاقتداء به صلوات الله وسلامه عليه، ويكون قد ذكر الإخوان بتلك المعانى، ويقول: "**الله**" بالتفخيم ويقول معه الجماعة، ويلاحظ ما يرد على قلبه من أنوار الأسماء الحسنى، فقد يقولون بألسنتهم: "**الله**" ولقلوبهم مشاهدة تتم بها الجملة، فإن القلوب تشهد بعد نطق: "**الله**" ربى أو شافى أو بديع أو عزيز أو رؤوف أو غفار أو تواب، مما يرد من الغيوب على القلوب.

٣ أن يُروِّح الذاكرين باسم من أسماء التفصيل

وقد يقوى الوجد على الذاكر حتى ربما غلبه، فيجب على النجيب فى هذا الحال أن يروحه بذكر اسم من أسماء التفصيل، فإن اسم الذات حيطة الأسماء كلها. فالأولى أن يرفع صوته بالاسم الشريف وينبههم للإصغاء، ثم يقرأ: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ البقرة ١٦٣، وينطق بالاسم "**هُوْ**" مضموم الهاء ساكن الواو، ملاحظاً فى قلبه عظمة الهوية، مستحضراً أن يتم الجملة بمعنى اسم من الأسماء مثل "هو" باللسان، وبالقلب "الأول" أو "الآخر" أو "الحى" أو "القيوم" ... إلخ.

٤ أن ينقل الذاكرين إلى اسم آخر

فإذا حصل الوجد وغلب الحال نقلهم إلى اسم آخر مثل "الحق"، بأن يقرأ قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ﴾ فصلت ٥٣، ويذكر الاسم، أو يذكر "**حى قيوم**" بشرط أن يلاحظ معنى هذين الاسمين، ويستحضر بقلبه الاسم الشريف بأن يكون قلبه يذكر "**الله**" ولسانه يذكر "**حى قيوم**" لتتم الجملة، إلا إذا استغرق القلب فى معنى الاسم المفرد وأشرق على السر نور معناه، ففى هذا الحال يكون اللسان ناطقاً بلفظ الاسم المقدس، والقلب ذاكر معناه، والسر آنساً بوميض الأنوار، وهذا حال تطيب فيه

النفس بعد تزكيتها، وتصفو فتصافى بقبس الأنوار القدسية، فلا يكون هذا الحال إلا لأهل خاصة الخاصة فى خلوتهم.

* * *

آداب ختم الذكر

فإذا ختم الذكر فينبغى أن تلاحظ تلك الآداب

١ يتحفظ الإخوان بملابسهم تحصناً من الهواء، لأنه إذا مر بأجسامهم وثيابهم المبللة بماء العرق ربما حصل منه ضرر.

٢ يترك الإخوان شرب الماء البارد عقب الذكر مباشرة حتى تستريح أبدانهم، فإنه مضر عقب الذكر.

٣ يغمض الإخوان عيونهم توجهاً إلى الله تعالى، لترد على قلوبهم منح الملكوت وأنوار الذكر.

٤ يقرأ أحدهم ما تيسر من القران الكريم، والأفضل أن يقرأ الآيات الدالة على التوحيد أو الذكر أو الفكر أو البشائر، ليتدبر الإخوان معانيها وتنشرح صدورهم.

٥ إن شرح الله صدر النجيب لشئ من المذاكرة ذاكر، أو عرض على الإخوان أن أحدهم إن أحب أن يتكلم بوارد ورد له أو فهم فهمه أو حكمة نقلها أو سيرة من سير السلف، رواها فليتفضل لإلقائها. وإن أحب أن يروحهم بسماع الحكمة المنظومة من أخ حسن الصوت أمر بذلك، بشرط أن يقول ما يناسب الأكثرية من الحكم والعلوم، ثم ذكر التهليل ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً، ورفع يده وصلى على النبى ﷺ، وترضى عن الصحابة وعن جميع إخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ودعا بالمغفرة للذين سبقونا بالإيمان، وسأل الله لإخواننا المعاصرين الحاضرين والغائبين، ثم يأذن بالانصراف.

* * *

الرجال خمسة

❖ إمام ❖ بدل ❖ نجيب ❖ نقيب ❖ وتد

١ الإمام

الإمام مطوى سره مجهول مقامه خفى حاله، وغاية ما يعرف منه أنه الفرد الوارث لأسرار النبوة وعلوم الرسالة، العالم الربانى والإنسان الروحانى الراسخ فى العلم، لا يظهر سره ولا يعلم حاله إلا لأهل الصفوة، الذين جعل لهم الله نوراً، وقد أشرت إلى صفاته الظاهرة فى " المكنون" ، والسعيد من وفقه الله لمعرفته وتلقى علومه عنه، ولا يخلو زمان من قائم لله بحجة، إما ظاهراً مشهوراً أو باطناً مغموراً، حتى لا تبطل حجج الله وبيناته، والإمام هو الذى وهبه الله الحكمة والفقه فى دينه ولسان العبارة، وهو الحجة لله والنجم الذى يهتدى به المؤمنون.

٢ البدل

البدل إما أن يكون خزانة علم الأحكام الشرعية، وهو أعلم أهل عصره بأحكام الشريعة الذى يرجع إليه العلماء، فيكون بدلاً من أبدال الأئمة، أو خزانة علم بالله وبأيام الله وبأمراض النفوس وتزكيتها، وهو يكون أعلم أهل زمانه بطريق الله وسير السلف الصالح وأحوال أهل اليقين، ويكون مرجع السالكين، ويسمى البدل الروحانى، لأنه يطهر النفوس من رعوناتها ولقسها، ويعين على المحافظة على الواجبات والنوافل.

والبدل صورة الإمام المرشد، أعماله التأثير على الإخوان بالأعمال الموافقة للشرع، وأحواله التى تعلو بها همم النفوس عن الميل إلى الفانيات، بالمسارعة إلى ما به نوال السعادة الباقية، والعبارات المشوقة للنفوس إلى محبة الله تعالى، والرغبة فى الخير الحقيقى الأبدى، والفرار مما يوجب غضبه. فعمله إصلاح الناس والصلح بينهم، وتأليف النافرين والكافرين لتميل قلوبهم إلى الحق فيتبعوا سبيله، وهو صاحب وقت، والإمام صاحب نَفَس، والنجيب صاحب حال، والنقيب صاحب عمل، والوتد مأمور.

وقد يقوم النجيب مقام البدل إذا أنس من نفسه نجاح العمل فى الصلح والإصلاح، وإلا لزم رتبته، وحافظ على الإخوان من التفرقة إن حصل خلاف لا يزيله إلا البدل، وسعى بين الإخوان بما يوجب الصفاء والألفة.

٣ النجيب

من المقرر أنه لابد أن يكون لكل جماعة فى بلد أو قرية أو مدينة أخ مقدم عليهم يلاحظ أن يكون:

أ ـ عالماً بالسُنة حتى يردهم إليها إن سهوا أو خالفوا.

ب ـ عالماً بأسرار الطريق ليبين لهم مقامات السير والسلوك، وطرق تزكية النفوس وحقيقة الآداب، وهما الأصلان العظيمان اللذان بهما يقدم الأخ، فإن جمله الله بعدها بشرف النسب وبالوسعة فى الرزق وبالجاه بين الخلق فهو النجيب، وله أخ متصف بتلك الصفات إلا أنه أقل منه فيها يسمى النقيب.

وقد يقوم النجيب مقام البدل إذا أنس من نفسه نجاح العمل فى الصلح والإصلاح وإلا لزم رتبته، وحافظ على الإخوان من التفرقة إن حصل خلاف لا يزيله إلا البدل، وسعى بين الإخوان بما يوجب الصفاء والألفة.

٤ النقيب

أعمال النقيب خدمة النجيب والإخوان، وقضاء لوازمهم وقت المذاكرة والأذكار والرواتب، وإعداد ما يلزم لذلك، وينوب عن النجيب عند غيابه، ويلزم أن يكون النقيب حسن الأخلاق هيناً ليناً جميل المجالسة بشوش الوجه حسن الإجابة حتى يألفه الإخوان، ويكون متحملاً جفوتهم وشديد عبارتهم، يحسن إلى مسيئهم ويلين عند قسوتهم، ويقدمهم على نفسه خصوصاً عند الاجتماع لطعام أو فاكهة، فإن النقيب هو الباب للمستجدين، وبقدر جمال أخلاقه يكون تهذيب نفوسهم وتزكيتها، إلا أنه لا يغفل عن تنبيههم بلطف ورقة على ترك ما يشين وعمل ما يزين.

والنقيب يلزم أن يحب إخوانه جميعاً كمحبته لنفسه، وأن يكون زاهداً، فإذا قدم أحد إخوانه له هدية أو تحفة مما يأكله الواحد أو ينتفع به الواحد انتفع به، وإلا قدمه لمصلحة الإخوان بأن يضعه فى الزاوية أو فى بيت النجيب أو البدل إذا كان محلاً جامعاً للإخوان، أو قسمه بين إخوانه إن كان مما يستعمل فى الحال، ملاحظاً فى ذلك مراقبة الله فى الغيب والشهود، وحباً لإدخال السرور على إخوانه، ولتطمئن قلوب الإخوان العاكفين على طاعة الله، الذين تركوا الأسباب توكلاً على مسبب الأسباب، وللنقيب رواتب من الصلوات الليلية والنهارية والأذكار اللسانية والقلبية وقراءة القران أكثر من رواتب الإخوان.

٥ الوتد

الوتد هو الأخ الذى بلغ من درجة التهذيب والحب إلى أن رأى نفسه أقل من جميع إخوانه، وصغرت نفسه فى عينه حتى صار يتولى الأعمال المحتقرة، كخدمة النعال ونقل الماء للإخوان وحمل الطعام لهم وخدمتهم فى الأكل والشرب، والوضوء والكنس والرش، وإرساله بين الإخوان لقضاء المصالح ولإعلانهم لما يلزم. ولا يكون وتداً حقيقياً إلا إذا استوى فى عينه الشريف والغنى من الإخوان والفقير والدنئ والجاهل منهم، فى تلبية كل منهم وقضاء مصلحة الجميع. فإنه قد يتكمل فى مقامه هذا وهو وتد إلى أن يُجَمَل بحُلَل الأبدال، لأنه يستمد من كل أخ من الإخوان بمدد خاص فيكون مُمَداً من الجميع، والأقطاب أصلهم أوتاد، والوتد لا يشعر بوجوده لصغره فى عينه، ولا تسمع منه فى ليله ونهاره بعد قضاء رواتبه إلا "لبيك لبيك" لمن طلبه، وقد يبلغ درجة يكون له فيها الجاه العظيم عند الله، وعندها يسأله الناس أن يدعو لهم فيجيب الله دعاءه.

الفصل الثالث

آداب أهل الطريق

١ فى حضور البدل

إذا حضر البدل كان النجيب نقيباً والنقيب وتداً والوتد مساعداً.

٢ الأخ فى الله يخدم لينتفع إخوانه

الإخوان كثيرون إلا أنهم جسد واحد، كل واحد منهم عضو لهذا الجسد، وروح واحدة سارية فى كل عضو من أعضاء الجسد، وكل عضو متصل بالجسد فعمله لنفع الجسد كله، فإذا انفصل من الجسد، لا ينفع الجسد ولا ينتفع، وكذلك الأخ مادام يسعى لنفع جميع الإخوان فهو متصل بالله تعالى ورسوله ﷺ، فإذا سعى فى منفعة نفسه دل ذلك على أنه قُطع وبَعُد، وإلا فمتى رأيت اليد تأخذ الطعام فتنتفع به من دون الفم؟ ومتى رأيت الفم ينتفع بالطعام بدون أن يدخله إلى المعدة؟ ومتى رأيت المعدة تنتفع بالطعام من غير أن تهضمه ويصير دماً ويسرى فى جميع الجسم وتنتفع منه الجملة؟ فالأخ فى الله يخدم لينتفع إخوانه وينتفع بمنفعتهم، ومتى أحب نفسه فليس منهم.

٣ كيف تكون النصيحة وأين؟

إذا خالف أحد الإخوان حكماً من أحكام الشرع، أو خرج عن الاعتدال وأسرع أحد الإخوان فى لومه فى المجتمع، فالأفضل لجميع الإخوان أن ينصتوا جميعاً، فإن قبل الأخ نصيحة أخيه بشروه بالخير، وأثنوا عليه خيراً لأنه صار من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ﴾ الزمر ١٧-١٨.

وعلى البدل أو النجيب أن يحضر الذى أسرع بالنصيحة فى المجتمع، ويعلمه آداب النصيحة، وأنها لا تكون إلا فى خلوة، لأن النصيحة فى المجتمع لا تكون إلا من المقبول

المعتقد فيه، وتكون عامة لا يُخصص بها واحد بعينه، فإذا لم يقبل الأخ نصيحة أخيه فى المجتمع وقابله بقسوة، فالأولى للإخوان أن يصمتوا، وليتكلم المقدم قائلاً: إن أخاك يحب لك الخير، ويريد لك السعادة، ولم يدفعه إلى هذا إلا الغيرة عليك، فاحمل كلامه هذا على حسن الظن وسلامة الضمير، ويقول للأخ الناصح: يا أخى جزاك الله خيراً، ارفق بأخيك، ولا تدفعك محبتك له ورغبة الخير له، إلى أن تنصح أخاك فى هذا المجتمع. ثم يأمر بقراءة قرآن أو بمدائح منظومة ليسد باب الشر عن إخوانه.

وفى هذا كله يجب على الإخوان جميعاً أن يكونوا منصتين، لأن واحداً منهم لو تكلم ارتفع صوت الجميع، ودخل ما بين كل أخ وأخيه شيطان مارد لإفساد القلوب ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ المؤمنين ٩٧-٩٨.

٤ إصلاح ذات البين

إذا عاتب أخ أخاه أو خاصمه، وكان لأحدهما أقارب أو أصدقاء من الإخوان، أو كان بين أحدهما وبين بعض الإخوان شئ فى النفس، فالواجب على الإخوان أن يجعلوا الحق أكبر من أن يميلوا عنه إلى القرابة، وعلى من فى نفوسهم شئ أن يروا الحق أجل وأعظم من أن يخالفوه لحظ نفسانى، ويكونوا مع الحق ولو على أنفسهم، سعياً وراء الإصلاح والصلح، حتى تسلم صدور الإخوان لبعضهم، وتصفو قلوبهم من الحقد والضغائن.

والمؤمن ليس حقوداً ولا حسوداً، ولا يقابل السيئة بالسيئة، والأجمل بالإخوان إذا تخاصم أخَوَان، أن يجتهدوا فى الإصلاح بينهما ومحو سبب الخصومة، والله الموفق.

٥ النصيحة بالحكمة

إذا رأيت من الأخ هفوة أو زلة فلا تفشها لأحد، ولكن اجتهد فى تقبيحها أمامه بالحكمة حتى يتحقق قبحها ويتوب، واحذر أن تشيعها عنه فربما سمعها منك جاهل بالنصيحة فبلغها له أو زجره عنها بحالة تنفره فتقطعه عن الله وتكون سبب ذلك.

٦ النصيحة لمن يخالف الشرع أو المرشد

إذا جاهر أحد الإخوان بما يخالف الشرع أو ما يخالف المرشد، فالواجب على جميع الإخوان أن ينصحوه، فإن قبل وإلا هجروه، فإن تاب فبها وإلا قطعوه من نسب الأخوة، وأعلنوا ذلك لجميع الإخوان حتى يشاع عند الناس جميعاً فلا تنسب عيوبه للإخوان، والتساهل بالمخالف المجاهر من أكبر المصائب على الطريق وأهله، نعوذ بالله من حال قوم يضيع الحق بينهم فلا يجد له نصيراً.

٧ الإيثار

من أكمل صفات الإخوان أن يُؤْثِر كل واحد منهم أخاه على نفسه، ولو فيما هو محتاج إليه، كما قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ الحشر ٩، والمتحقق بهذه الصفة كيف يرى نفسه أحق بحاجة أخيه من أخيه؟ اللهم إلا إذا بذلها له وتحقق سروره فى قبولها منه. ومن خصالهم أن يحب الأخ أن يطعم الأخ من خير طعامه فيرسله له أو يدعوه إليه، والأولى أن كل أخ يختار له أخاً يشاكله ويجانسه، يأنس به يجعله كنفسه، يعرض عليه أحواله، ويستشيره فى جميع أحواله، يعينه إذا ذكر ويذكره إذا نسى، ومثل هذا الأخ إذا وجد كان من أكمل النعم على المريد.

٨ الشفقة والرحمة والعطف بالفقير

لما كان الحب إنما هو فى الله لمعانٍ يحبها الله تعالى ويحبها رسوله ويحبها الإخوان المؤمنون، أهمها أن يكون الأخ يعتقد عقيدة إخوانه المؤمنين ويرى رأيهم، ويعمل أعمالهم بحيث لا يخالفهم فى معروف من الدين، ثم يكون ميزانه فى الحب بقدر أخلاقه وإيثاره إخوانه على نفسه بأن يرى أنه أقل منهم.

إذا تحققت تلك الصفات فى الأخ وجب حبه واحترامه وتعظيمه، وتقديمه على الوالد والوالدة والزوجة والأبناء، لأنه يُعينك على السعادة الأبدية، ولو كان فقيراً لا يملك قوت يومه، ولا يزيد حبه عندك إذا أصبح كنزاً من كنوز الله فبذل لك جميع ماله، لأن بذل المال

أقل من بذل النفس. إياك أن تحب أخاك لأنه ذو مال أو ذو جاه، وتقدمه لذلك وتحترمه، فإن ذلك يقدح فى الحب فى الله.

ولكنى أستحسن لك أن تُنْزل أخاك الفقير المتصف بالمعانى المتقدمة من قلبك فى أرفع مراتب المحبة والتعظيم، وتجعله خيراً من نفسك عندك متى كملت فيه تلك المعانى، وتدارى من لم تكمل فيهم تلك المعانى من إخوانك من أهل المال والجاه تأليفاً لهم. واحفظ قلبك من أن تحتقر أخاك الفقير المتجمل بتلك المعانى، أو تصغره فى قلبك، وتعظم ذا المال والجاه لجاهه وماله، فإن ذلك كالشرك فى طريقنا، قال الله تعالى: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ الحشر ٩، وقال الله تعالى فى وصف أهل الطريق الذين منحوا حقيقة المعية المحمدية: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ الفتح ٢٩، وقال ﷺ: (تَرَى الْمُؤْمِنِين فِى تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِم وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الجَسدِ الوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوٌ تَدَاعَى لهُ سَائرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ والْحمَّى) وقال ﷺ: (المؤمنون كرجلٍ واحدٍ إن اشتكى عينُه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسُه اشتكى كلُّه) وعن النبى ﷺ أنه قال: (الْمُؤْمنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالبنْيانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً، ثم شبَّك بين أصابعه).

وإن الإخوان إنما اجتمعوا ليتعاونوا على البر والتقوى، وليسارعوا إلى مغفرة من ربهم ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم، وكان خيرهم محصوراً فى مزيد اليقين والعلم والحب فى الله، والبذل فى الله والزيارة فى الله، وكانت تلك المعانى لا تتحقق إلا فى الضعفاء المساكين الفقراء، حتى كأن الفقراء مع الإخوان هم مفاتيح الخير لهم وأبواب السعادة، بهم تكون النصرة للإخوان وتتنزل الأنوار وتظهر الأسرار وتتسع الأرزاق، فعلى الإخوان أن يجعلوا الفقير الضعيف المسكين محل الشفقة والرحمة والعاطفة، حُباً فى الله وتقرباً إلى رسول الله ﷺ، لمن اتصفوا بالصفات التى يحبها.

٩ البذل والبشاشة وإدخال السرور على الإخوان

معلوم أن الأخ فى الله إذا رآه أخوه فى الله، ذُكر الله لرؤية الأخ فى الله تعالى، لأن نسبه نسب إلهى، ورؤيته تذكر برسول الله ﷺ، فالفرح بلقائه فرح بالله تعالى وبرسوله، وإدخال

السرور على قلبه بالقول أو بالعمل أو بالمساعدة من أعظم القربات إلى الله تعالى.

ولما كانت الكلفة ساقطة بين الإخوان، والتكلف مذموم فى الطريق ومرذول بين المؤمنين، كان الأكمل لإخواننا – ودهم الله بالخير فى الدنيا والآخرة – أن يبذل الأخ منهم لأخيه ما لا كلفة فيه من البشاشة والعلم والطعام والشراب والمساعدة عند اللزوم، أو عند طلبه للضرورة، وعلى من قدم شيئاً من ذلك أن يعتقد أنه أخذ بما أعطاه، لأنه بتلك القُربة كأنه أنفق فى سبيل الله، قال الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ البقرة ٢٦١، فمن تقرب بدرهم فأخذ سبعمائة أخذ ولم يعط.

١٠ غض البصر

إذا اجتمع الإخوان فى بيت أخيهم لطعام أو لزيارة أو لمشورة، فعلى كل أخ أن يَغُض بصره عن عورات أخيه، وأن يعينه على شكر الله، بأن يحسن له ما هو فيه من المعيشة، وأن يظهر الفرح بما تقدم من الطعام ولو لم يكن جيداً إدخالاً للسرور على قلب أخيه، وإذا رأى عند أخيه شيئاً مُستحسناً من كتب أو ملابس أو أوانى أو غيرها فلا ينظر إليها، ولا يمد يده عليها، لأن ذلك يدل على جهل بآداب الزيارة، فربما كان للأخ فيه سر يخفيه عنك، أو كان ذلك الشئ وديعة عنده، أو أثراً من حبيبه أو شيخه أو والده أو جده، وإذا زارك أخ فرأيت منه أنه يحب نفسه أكثر مما يحبك، ويقدم لنفسه ما لا يحب أن يقدمه لك، فاعلم أنه لم يذق حلاوة المحبة ولم ينل منها ولا حبة.

١١ القيام بالواجب

معلوم أن الإخوان – جملنى الله وإياهم بالسعادة والعلم – بعضهم عامل لخير بعض كأعضاء الجسد، فمنهم كنوز علم، ومنهم عمال لجلب الخير ودفع الضرر، ومنهم كنوز مال، ومنهم السائحون فى الأرض لتذكير عباد الله وإقامة حجج الله وتجديد سُنن رسول الله، ومنهم العاكفون على العبادة الزاهدون فى الدنيا الراغبون فى الآخرة، ومنهم ألسنة الخير،

ومنهم الأيدى العاملة لخدمة الإخوان، ومنهم الأيادى المفاضة بالبر والصلة، وكل واحد من الإخوان أقامه الله فى إقامة بها وصوله ومنها فوزه، وكل فرد منهم عليه واجب للجميع حتى يكون عضواً عاملاً لجميع الجسد، وليس بخافٍ على كل أخ واجبه، فإن العالم واجبه التعليم والإرشاد، والسائح واجبه التذكير والإصلاح وهكذا، والغنى واجبه بذل حق الله تعالى والفضل لإخوانه المشغولين بعمل الآخرة والدعاة إلى الله تعالى، فكما أن العالم يبذل علمه لإخوانه، مسروراً مخلصاً لله، فكذلك كل عامل من الإخوان يبذل ما وجب عليه فرحاً مخلصاً لله.

١٢ المذاكرة والتأليف بين المسلمين

المذاكرة أيها الأخ أيدنى الله وإياك لاتباع الكتاب والسنة، اعلم إنك إذا جلست تذاكر من يخالفك فى طريقك بذكر خصوصيات شيخك أو أنوار طريقك، أو بيان أن طريقتك هى الطريق القويم والصراط المستقيم الذى كان عليه رسول الله وأصحابه، فإنك تنفره منك، وأنت مكلف أن تدعو النصرانى واليهودى إلى الله تعالى، فإذا كنت لا تحسن أن تدعو أخاك المسلم إلى ما علمت من الحق، فكيف تكون داعياً لله تعالى؟! لا تقل إذا لم تحسن أن تؤلف إخوانك المسلمين إنك داع ولكنك مُنفر.

إذا جلست يا أخى وفقك الله فى مجالس إخوانك المسلمين، فبين لهم ما يألفونه من كمالات رسول الله ﷺ وسعة رحمة الله، والنعيم الأبدى الذى يناله من تمسك بسُنة رسول الله، ثم حاذر أن تخالفهم فيما تعودوا عليه، فإن ذكروا الأولياء فترض عنهم، وان ذكروا مشايخهم فامدحهم وأثنى عليهم، حتى يألفوك ويأنسوا بك، فإذا أنسوا بك فتكلم معهم بشىءٍ من الحكمة على قدر عقولهم، فإن قبلوا وأقبلوا فزد، وإن أنكر منهم أحد فاحذر أن يكون شيطانهم فَلِنْ له ولا تعارضه حتى يأنس، أو انتظر بعده عنهم، ولا تذمه فى غيبته، ودع ذكره مرة واحدة مع الناس، إلا ما تعلم فيه من الخير خشية أن يكون شيطاناً من شياطين الإنس، ولا تذكر محاسن المرشد وخصوصياته إلا بعد أن تعلم منهم أنهم ممن يصلحون للأخوة، فبين لهم عند ذلك صفات المرشد على قدر عقولهم، ليسعوا إليه ويتلقوا عنه علومه وأحواله، ليسعدوا بذلك.

وإن بعض إخواننا غفر الله لنا ولهم، يجهلون طريقنا فى الدعوة إلى الله تعالى، فتكون دعوتهم تنفيراً للخلق عن الله بما يظهرونه من الأحوال المنكرة عند الغافلين، والأسرار المجهولة عند اللاهين، وما يتكلمون به أمام العامة من خصوصياتهم وخصوصيات المرشد، مما لا يسلم به إلا أهل الخصوصية، ولا يقبله إلا من سبقت له العناية، فيسبب ذلك إنكار الخلق على أهل الطريق واحتقارهم.

١٣ البعد عن الجدل وأبوابه

فيا إخوانى منحنا الله الحكمة والحب والسكينة، اعلموا أن المراد من الدعوة إلى الله تعالى نجاة العامة من نومة الجهالة وظلمة الغفلة وحجاب الغرور بالدنيا، ولا يكون ذلك إلا بالشفقة والحكمة والرحمة، والمحافظة على عباد الله من وقوعهم فى عداوة أولياء الله، وإنكار الحق وإذلال أهله، وعلى الأخ أنه إذا رأى من نفسه انزعاجاً من شدة المحبة وقهر الحال، أن لا يجتمع إلا على خاصة إخوانه، ويتباعد عن المبتدئين، وعن من لم يسلك الطريق، لأنه فى هذا الحال ينفع الخواص ويضر غيرهم، ويفتح باب الجدل والإنكار، والأخ الذى يحب أن يفتح باب الجدل والإنكار على الإخوان ليس بأخ ولكنه عدو.

١٤ المحبة لأهل "لا إله إلا الله"

إخوانى منحنا الله الحلم والتأنى، اعلموا أنه من أشر الشرور أن يكره المسلم أخاه المسلم لغير معصية الله، وينفر منه ويعاديه كما يحصل بين أهل المذاهب وأهل الطرق، فإن كل أهل طريق يبغضون من لم يسلك طريقهم، ويعتقدون أنهم على الحق، وأن غيرهم على الباطل، وقد يبلغ بهم العناد إلى أن يلعن بعضهم بعضاً، ويكفر بعضهم بعضاً من غير بينة ولا حجة من كتاب ولا سُنة، بل للحمية الجاهلية والعصبية الجهنمية، ولو أنهم تأملوا قليلاً لتبين لهم أنهم جميعاً إخوان فى الله، الإمام لنا القرآن، والنبى سيدنا ومولانا محمد ﷺ، وربنا جميعاً الله تعالى، وأنه لا خلاف بيننا فى عقيدتنا ولا فى عبادتنا ولا فى معاملاتنا، ولكن الشيطان نعوذ بالله منه، ينزغ بين الأخ وأخيه ليوقعه فى عداوة من أوجب الله تعالى محبته، ومحاربة من أوجب الله عليه مسالمته، وقطيعة من أوجب الله عليه صلته ويا ليت ذلك يكون لله أو فى الله،

بل لحظ متبع وهوى مطاع، وتعصب لرأى قد يكون فاسداً، حتى أصبح أهل الطريق كأنهم وحوش متنافرة، يسعى كل فريق فى ضرر الآخر، خروجاً من السُنة ومخالفة للكتاب العزيز، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ الحجرات ١٠.

فيا إخوانى جعلنى الله وإياكم نوراً للقلوب وانشراحاً للصدور، كونوا رحماء حلماء حكماء، وأحبوا كل أهل "لا إله إلا الله محمد رسول الله" حباً للكلمة وحباً لله ولرسوله ﷺ، وإياكم أن تتهاونوا بسُنة من السُنن الخفيفة أو المؤكدة، أو بركن من أركان الدين، أو يدفعكم عدوكم الشيطان إلى عداوة أخ من إخوانكم المسلمين، فإن ذلك كله مروق من أخوة الإيمان ومخالفة للجماعة، إنما النسبة إلى المرشد نسبة تلقى العلم والأسرار وليست نسبة تخرجكم عن الأخوة فى الله لكل مسلم، وإنما النسبة للمرشد تؤكد لكم روابط الأخوة، وتكشف لكم واجباتها، وتوضح لكم حقيقة المحبة فى الله تعالى كما يجب على كل مسلم لإخوانه، نعم يجب عليك أن تقول: تلقيت عن العالم فلان واسترشدت عليه، ونفعنى الله بعلمه، وأسعدنى الله بصحبته ورويت عنه، وتسعى فى أن تدل عليه جميع إخوانك المسلمين ليتفقهوا فى دينهم بالحكمة والموعظة الحسنة، فإذا جهلت ونسيت فمدحته وذممت غيره، وعظمته وصغرت غيره، وأحببته وكرهت غيره، فقد خالفت طريق المتقين.

كما أنك إذا تلقيت علومه واسترشدت على يده، وأسعدك الله بحاله، ثم لم تنتسب إليه لتظهر نفسك وتخفى المرشد كنت مدلساً، ربما أوقع هذا التدليس صاحبه فى نفاق به يكون فى الدرك الأسفل من النار، وخير الأمور الوسط، والخير كل الخير أن ينجى الله على يديك عباده، ويجمعهم من التفرقة، ويبين لهم الطريق المستقيم ليسلكوا عليه.

١٥ الغضب لما يُغضب الله

إن بعض الإخوان ممن يجهل المراد من الطريق قد يفتح أبواب الجدل والعناد، حتى يتظاهر بعمل المنكر أو ترك المعروف عناداً، ويجهل المسكين أنه بذلك أغضب الله ورسوله، وخالف محجة الطريق.

فيا إخوانى حفظنا الله وإياكم من البدعة وحصننا بحصون الشريعة، إذا رأيتم أخاً من الإخوان يفعل ذلك، فعليكم جميعاً أن تردوه إلى الحق، وأن تكلفوه أن يقتدى بالمرشد حقيقة الاقتداء، فإن أبىَّ إلا العناد، فالواجب على الإخوان اتخاذه عدواً لهم، وكيف لا يتخذونه عدواً وقد عمل ما يغضب الله ورسوله وخالف المرشد؟ فكل أخ لم يتخذه عدواً فكأنه رضى بأخوته، والراضى بعمل الكبيرة مرتكب لها، قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ الأنفال ٢٥، وقال ﷺ: (إذَا عَصَانِى مَنْ عَرَفَنِى سلَّطْتُ عَلَيْهِ مَنْ لَمْ يَعْرِفْنى).

الفصل الرابع

اصطلاحات أهل الطريق

قبل أن نتكلم على بيان الطريق المستقيم، وما يجب أن يكون عليه السالك، نبتدئ بشرح الألفاظ المصطلح عليها فى الطريق، مما لابد منه للسالك المسترشد، حتى إذا قرأ فى كتب الطريق يسهل عليه فهم معانى الألفاظ التى وضعوها لمعان اصطلاحية بينهم.

أما الألفاظ التى اصطلح عليها المواجهون لقدس الجبروت الأعلى، أو لحضرة العزة، فمما لا يرسم فى كتاب، وإنما تفهم من أفواه العارفين كالمجلى والتأله والاصطلام والمواجهة والمنازلة والاتحاد والطمث والمحق والأخفى، وغير ذلك مما يشيرون به إلى درجات القرب وحقيقة الحب، قال الله تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ آل عمران ١٦٤، وقال سبحانه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ المجادلة ١١، وقال جلّ ذكره: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ الصافات ١٦٤، وقال عليه الصلاة والسلام فى آخر الحديث الصحيح: (لَا يَزَالُ عَبْدِى يَتَقَرَّبُ إِلَىَّ بالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإذا أَحْبَبْتُهُ كُنتُ سَمْعَهُ الذِى يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِى يُبْصِرُ به...) إلى آخر الحديث، وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة أو الحسنة، مما يدل على علو مشاهد الرجال وعلى مقاماتهم رضى الله عنهم، منها:

الوقت. قال الجنيد: (الوقت لفظة بين عدمين فيه شركاء متشاكسون) ولهذا المعنى قيل: الفقير لا يهمه ماضى وقته ومستقبله، بل يهمه الوقت الذى هو فيه، لأن الاشتغال بالماضى والآتى اشتغال بمعدوم. وعن هذا قيل: الفقير ابن وقته، وكل وقت خلا عن خدمة الله تعالى فهو باطل، قال ﷺ: (لِى مَعَ اللهِ وَقْتٌ لَا يَسعُنِى فيه مَلَكٌ مُقَرَّب وَلا نَبىٌّ مُرْسَلٌ).

السفر. والمراد سفر القلب فى طريق الحقائق، ويطلق السفر أيضاً على الترقى فى المقامات وقطع المنازل طلباً للوصول إلى الله تعالى.

المريد. وهو الذى صح له الابتداء، أو حُصل فى جملة المنقطعين إلى الله تعالى.

المقام. وهو مقام العبد بين يدى الله تعالى فى العبادات، أى الآداب والطاعات التى نازلها العبد، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ النازعات ٤٠-٤١، فمقام كل سالك موضع إقامته من الآداب والطاعات، كالتوبة والإنابة والورع والزهد والتوكل والتسليم والتفويض. وأهل المقامات ثلاثة:

١ رجل يعمل على الرجاء والخوف مع اتصافه بالحياء، وهذا يسمى مريداً، وهذا يُعَد فى وادى التفرقة لأنه عامل لخصوص نفسه، وهو رجاؤه وخوفه.

٢ ورجل مجذوب من وادى التفرقة إلى وادى الجمع، ويقال له مُراد. لأنه عامل لا لشئ من خصوص نفسه، بل لمجرد المحبة وشهود الكمال، فهذا قلبه مع الله دون غيره.

٣ ورجل مسلوب بالمعارف عند المقامات والأحوال، وما سوى هؤلاء فهو مدع مفتون أو مخدوع.

والمقامات على جهات ثلاث:

١ أخذ السالك فى السفر والسير.

٢ الدخول فى القربة.

٣ الحصول على المشاهدة الجاذبة إلى غير التوجه إلى منهج الفناء.

الحال. وهو معنى يرد على القلب من غير تعهد ولا تكسب من صاحبه، وهى مواهب ربانية ومنح إلهية، من حكمها الطرب أو الحزن أو القبض أو البسط أو الشوق أو القلق أو الهيبة أو الابتهاج، والأحوال كالبروق فى الظهور والأفول.

الفرق بين المقام والحال

والفرق بين المقام والحال أن المقام مكسوب والحال موهوب، والأحوال لا تنتفى بخلاف المقامات فإن بقيت بتوالى أمثالها فهى حديث النفس.

قال الأئمة: والأحوال تحصل عن مقامات، الحزن والقبض يحصلان عن مقام الخوف، والبسط يحصل عن مقام الرجاء، والطرب يحصل عن المحبة الحاصلة عن مشاهدة الجمال.

الكشف. وهو عبارة عن بيان ما يستتر عن الفهم، فيكشف للعبد عنه حتى كأنه يراه رأى العين، ومن هذا قوله ﷺ: (إِنِّى رَأَيْتُ الجَنَّةَ والنَّارَ فِى عَرْضِ هَذَا الحائِط).

الذهاب. وهو بمعنى الغيبة، ويراد بذلك غيبة القلب عن المحسوسات بمشاهدة ما شهده من الوعيد أو الوعد والجلال أو الجمال، أو غير ذلك، ورؤية القلوب ترجع إلى الكشف.

الشطح وهو كلام يترجمه اللسان عن وجد، ظاهره يخالف الشريعة، ويصدر منهم فى حال غيبتهم بما يرد عليهم، وحال سُكرهم بالمحبة، وحكمه فى ذلك حكم المغمى عليه أو من زال عقله، ويحصل ذلك أيضاً لداهش العقل عند مطالعة عجائب الحقيقة والإشراف على الملكوت الأعظم.

الصولة. وهى أن يبادر إلى الحق، لا يرى أحداً إلا الله تعالى، فإذا شاهد منكراً بادر إلى إنكاره مستهزئاً بفاعله كائناً من كان ملكاً أو سوقياً، لا يكترث به ولا يهابه ولا يخشاه، إنما يخشى الله تعالى ولا يخشى غيره، وهى تكُون لأصحاب المقامات العالية، قال ﷺ: (بكَ أصُولُ وبك أجُولُ).

الالتجاء. وهو توجه القلب إلى الله تعالى بصدق الفاقة إليه.

التجلى. وهو إشراق النور على قلوب العارفين عند إقبال الحق عليهم.

الاصطلام. وهو نعت وَلَه يرد على القلب فيسكن تحت سلطانه.

الجلال. وهو نعت القهر من الحضرة الإلهية.

الطوالع. وهى أنوار التوحيد تطلع على قلوب العارفين بشعاعها، فيطمس سلطان نورها سائر الأنور، كما أن نور الشمس يمحو أنوار الكواكب.

المشاهدة. وهى ثلاثة:

١ مشاهدة بالحق: وهى رؤية الأشياء بدلائل التوحيد.

٢ مشاهدة للحق: وهى رؤية الحق بالأشياء.

٣ مشاهدة الحق: وهى حقيقة اليقين بلا ارتياب.

الحرية. وهى إقامة حقوق العبودية، فيكون عبداً لله، ومن غيره حراً.

الفصل الخامس

من معارف أهل الطريق

معرفة العقل والنفس والروح وما يتبع ذلك

١ العقل

هو نور القلب، وبنور القلب ينظر العبد إلى الآخرة فى ظلم الهوى، فيبقى العبد حيراناً، فعند ذلك تنشرح الجوارح وتلتذ، وتبادر إلى مجاوزة المهلكات، فإذا أشرق العقل فى القلب أضاء نوره وقوى ضوءه، وطفئت عند ذلك نيران الهوى وزالت ظلمته، ودل العلم حينئذ على الهوى والتمييز، وانفتحت له سداد السلوك، فعمل عند ذلك لطريق الآخرة.

ومن شأن العقل أن يُؤْثر الأفضل، ويختار ما هو الأوْلَى والأصلح فى العواقب، والهوى على الضد من ذلك، فإنه يُؤْثر ما يدفع ضرر مكابدة الشهوة فى الحال، ويقدم العاجل على الآجل، قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾ القيامة ٢٠-٢١، وقال ﷺ: (حُفَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وحُفَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ) فالعقل يُرِى صَاحِبَهُ ما له وما عليه. والهوى لا يُريه إلا ما له دون ما عليه، ويعميه عن رؤية العواقب، قال ﷺ: (حُبُّكَ لِلشَّيءِ يُعْمِى ويُصِمُّ).

منازعة الهوى للعقل

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ص ٢٦، وقال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ الأعراف ١٧٦، وقال تعالى فى مدح من عصى هواه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ النازعات ٤٠-٤١، واعلم أن العقل والهوى كملَكين أحدهما يريد الفساد وهو الهوى، والآخر يريد الخير والإصلاح وهو العقل، وجنود العقل هى قواه من الفكر والخيال والحواس، والأعضاء والجوارح رعيته، وجنود الهوى من الشهوات والغضب.

٢ النفس

وهى تنقسم إلى ثلاثة أقسام: نفس أمارة ونفس لوامة ونفس مطمئنة.

النفس الأمارة

هى التى تطيع الشيطان، وتستولى عليها القوى الحيوانية، وتتبع شهواتها وهواها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ يوسف ٥٣، وقال ﷺ: (أعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ التِى بَيْنَ جَنْبَيْكَ) وسئل ﷺ: (أىُّ ٱلْجِهادِ أفضلُ؟ قال: جِهَادُ الْمَرْءِ نَفْسَهُ) ومجاهدة النفس أمر بمعروف ونهى عن منكر، وتختلف أسماؤها باختلاف أحوالها العارضة عليها.

النفس المطمئنة

فإن اتجهَتْ إلى جهة الصواب، ونزلت عليها السكينة الإلهية تواترت عليها نفحات الجود والخير من قِبَلِ الله، واطمأنت إلى معرفة الله تعالى وطاعته، فهى النفس المطمئنة، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ۝ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ الفجر ٢٧—٣٠.

النفس اللوامة

وإن كانت مع قواها وجنودها فى تشاجر ومحاربة وقتال، وكانت الحرب بينهما سجالاً، فتارة لها اليد على القُوَى، وتارة للقُوى اليد عليها، فلا يكون حالها مستقيماً، فتارة تنزع إلى جناب الحق فتقبل أوامر الله تعالى ونواهيه وتخاف سطوته، وتستحى من جوده وإحسانه وجلاله وعظمته، وتثبت على الطاعات، وتارة تستولى عليها القوى، فتهبط إلى حضيض منازل البهائم، وهذه هى النفس اللوامة وهى حالة كثير من الخلق.

فيجب على الإنسان أن يهتم بأمر النفس، فيتوقى آفاتها، ويسعى فى إصلاحها وتطهيرها وتهذيبها، ويسعى فى دفع مكايد العدو، ويصرف النفس عن التعلق بالشهوات، والتجنب عن فتنة الدنيا. فإذا قهر العبد نفسه، وحفظ جوارحه عما منع الله تعالى، وداوم على ذلك،

صار له ذلك ملكة، وسهل عليه حينئذ رد نفسه وردعها إذا جمحت إلى الانحراف عن طريق الصواب.

٣ الروح

الروح تُطْلَق، ويراد بها الروح الإنسانى المتحمل لأمانة الله تعالى، المتحلى بالمعرفة والإيمان، المركوز فيه العلم بالفطرة، وهو الذى عناه الله تعالى بقوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ الإسراء ٨٥.

٤ الخواطر

الخواطر هى عبارة عما يعرض فى القلب من الأذكار والأفكار وهى المحركات للإرادة، فإن النية والعزم والإرادة إنما تكون بعد خطور المَنْوِى بالبال، فمبدأ الأفعال الخواطر، ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والنية تحرك الأعضاء، والخواطر التى تحرك الرغبة إن كانت تدعو إلى الخير – وهو ما ينفع فى الآخرة – فإنها تسمى إلهاماً، وإن كانت تدعو إلى الشر – وهو ما يضره فى الآخرة – فإنها تسمى وسواساً، وخاطر الخير سببه المَلَك، وخاطر الشر سببه الشيطان، واللطف الذى يتهيأ به للقلب قبول إلهام الملك يسمى توفيقاً، والذى يتهيأ به لقبول وسواس الشيطان يسمى إغواءً وخذلاناً.

والخواطر تحدث فى قلب الإنسان تبعثه على الأفعال والتروك وتدعوه إليها، وهى آثار تحصل فى القلب بدعوة الملك، ودعوة النفس الأمارة، ودعوة الشيطان، وهناك خاطر ليس معلولاً بشئ، بل خلقه الله تعالى ابتداءً فى قلب العبد، إما بخير إكراماً، وإما بشر امتحاناً. قال بعضهم: أول ما يعرض فى القلب السائح ثم الخاطر، وإلى هذا أشار النبى ﷺ بقوله: (إن لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بابْنِ آدَمَ كَمَا لِلْمَلَكِ لَمَّةً، فأمَّا لمَّةُ الْمَلَكِ فَوَعْدٌ بالخَيْرِ، وأمَّا لمَّةُ الشَّيْطانِ فإيعادٌ بالشَّرِّ وَتكْذِيبٌ بالْحَقِّ) ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة ٢٦٨.

ثم بعد الخاطر الإرادة، والإرادة هى الهِمة وهى علة العزم، والسائح والخاطر يُعَبر عنهما

بالهاجس فحق على الإنسان إذا خطر له خاطر أن يستبرئه عاجلاً، فإن وجده خيراً رَبَّاه حتى يجعله فعلاً، وإن وجده شراً بادر إلى قلعه وقمعه قبل أن يصير إرادة بالاستعاذة بالله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ سورة فصلت ٣٦، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ سورة الأعراف ٢٠١.

الباب الثالث

فى الطريقة المستقيمة وحصون الأمن والمرشد والمسترشد

الفصل الأول

الطريقة المستقيمة

جلى أن لفظة طريق وصراط وسبيل ومنهج وشارع وشريعة والشرعة ومحجة وسُنة، ألفاظ مترادفة لمدلول واحد هو ما يوصل إلى المقصود بسهولة وأمن من قريب، وقد تقدم حكمة اصطلاح الجماعة فى اختيار لفظة طريق فى رسالة " أساس الطريق " .

من هذا يظهر لنا أن الطريق هو اعتقاد حق، واقتداء برسول الله ﷺ فى أعماله وأحواله وأخلاقه ومعاملاته، فى صغير الأمر وعظيمه، ومن وهبه الله تلك المواهب فهو من أهل هذا الطريق، السالكين على التحقيق.

من هم أهل الطريق؟

وعلى هذا فأهل الطريق هم الذين اجتباهم الله فورثهم علوم أهل اليقين، وفقههم فى الدين، ووفقهم للعمل بالعزائم، وزهدهم فى الدنيا ورغبهم فى الآخرة، فهم أئمة الهدى وقادة المتقين، العلماء بالله وبأيامه وبأحكامه، نورهم الذى يهتدون به فى سبل الوصول، والعمل بإخلاص وصدق المطابق لحقيقة العلم سُلَمهم الذى يصعدون عليه، فارين من كل شاغل يشغل سريرتهم، أو يلفتهم عن ما هم موجهون وجوههم نحوه، طهرت قلوبهم عن أن تطمئن بغير الله، وتزكت نفوسهم فلا تسكن إلى غير الله، هم أنجم الهدى ومصابيح الدجى، حل الله العقدة عن ألسنتهم فنطقوا بالحكمة، وجعل لهم نوراً فى قلوبهم ففقهوا أسرار كتابه بسر الفطنة، هم حجة الله القائمة على حقيقة توحيده، ودلائله الساطعة على حقيقة كمال عنايته وإيجاده وإمداده، أعمالهم هدى للقلوب وعباراتهم نور للنفوس وإشاراتهم طهور للأرواح، بخلوا بنَفَس أن يصرفوه فى غير نوال الفضل والرضوان، وبذلوا النفائس خشية أن

تشغلهم عن حقيقة الإحسان، القرآن إمامهم والسُنة حصونهم والخشية قوامهم والرغبة مزاجهم، هذه صفاتهم ولكن أين هم؟

لم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وهم فى التجارة والبيع، كان الرجل منهم يقوم فيدعوا إلى الله دعوة عامة، فيصغى إليه النصرانى واليهودى والمجوسى، فلا يقوم من مجلسه إلا وقد مال إليه أهل الملل أو أسلموا على يده.

لزوم البحث عن الرجل الحى

من هذا يظهر أنه يلزم لمن أراد أن يسلك طريق الله تعالى لتحصل له النجاة والفوز والسعادة والوصول، أن يبدأ أولاً بالبحث عن الرجل الحى، العالم بكتاب الله تعالى وبسُنة رسول الله ﷺ، والعالم بتزكية النفوس وتخليصها من أمراضها ورعوناتها، والعالم بالأخلاق المحمدية المتجمل بها، الممنوح الحال الذى به يجرد النفوس من أوحال التوحيد، العالم بعلوم اليقين ومشارب الأبرار ومشاهد المقربين، العالم بحقيقة التوحيد الخالص من الشرك الخفى والأخفى.

فإذا وجد هذا الرجل، فهو إمام أهل عصره جميعهم، والواجب عليهم جميعاً أن يتركوا الحظ والهوى، والعلو فى الأرض، والتعصب للآباء والأجداد، إقبالاً على الله تعالى، وتحقيراً لكل لذة يعقبها العذاب، وكل سيادة تنتج الشقاء، وكل شهرة تؤدى إلى حرمان الرحمة والغفران، وكل وظيفة تبعد عن دار الكرامة والإحسان الأبدى، حتى لو أن العاقل رأى أن عضواً من أعضائه يمنعه عن الاقتداء بالرجل الذى جعل الله له النور ومنحه الحكمة لقطع العضو وفر إلى المرشد، خشيةً من الشقاء الأبدى.

الطريق المستقيم واحد وإن تعددت أنواع السير عليه

يا إخوانى أنا أخوكم المسلم، وكلنا والحمد لله نشعر من أنفسنا ونحس من قلوبنا بمحبة الله تعالى ومحبة رسوله، وبكمال التصديق لله ورسوله، وبالرغبة الحقيقية فى نوال السعادة الأبدية والفوز بالنعيم المقيم، ومَا مِنا واحد إلا ويسأل الله فى أوقاته السلامة من عذاب

النار والفوز بالجنة، ويعتقد أنه سالك طريق النجاة وسبيل الله، يُصلى لذلك، ويحج لذلك ويتصدق لذلك ويصوم لذلك، ويزور ويبذل ويجالس فى ذلك، وليس أحد منا يعلم أنه على باطل ويدوم عليه، أو أنه على شرك خفى ويرضى به، أو أن هذا الطريق الذى يمشى فيه يوصله إلى النار ويمشى عليه، كلنا ذلك الرجل.

وإن الطريق المستقيم يا إخوانى واحد لا يتعدد وإن تعددت أنواع السير عليه سرعة وبطئاً وتأنياً وإقبالاً، والسالكون عليه وإن تفاوتت هممهم وتنوعت عزائمهم، إلا أنهم لا خلاف بينهم، لأنهم كلهم على اعتقاد واحد ورأى واحد ومذهب واحد، سارعوا إلى وجهة واحدة، وتعاونوا على مقصد واحد، وتنافسوا فى مراد واحد، إنما الخلاف بينهم أن هذا على الطريق الحق إلا أنه توسط وعمل بالقلب والجسم بحالة وسط، وأخوه معه على الطريق الحق إلا أنه عمل الواجب البدنى ووقف عنده وزاد فى عمل القلوب على الواجب القلبى، والآخر على الطريق الحق إلا أنه يجاهد نفسه ليتخلى، وأخوه معه إلا أنه ينافس ليتحلى، والكل فى حيطة واحدة وهى المدينة التى أشار إليها ﷺ بقوله: (المَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)، وتلك الأنواع التى تظهر لمن لم يذق حلاوة الطريق أنها مختلفة هى ليست مختلفة، وقد أشار الله سبحانه بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ العنكبوت ٦٩، وإنما هى قُربات وحقائق معان، يصير بها السالك عبداً متجملاً بما به يفوز بالوصول إلى المقصود، وبالحظوة بالمحبوب، وكلهم مقتدون بالرجل المرشد الحى، حجة ذلك ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ من تفاوت الهمم وتباين العزائم، وتفاوتهم فى فهم كلام الله وكلام رسوله، وعمل كل واحد منهم بقدر ما فقه، فكان منهم التارك للأسباب والمتسبب، ومنهم ومنهم مما لا يخفى على مطلع.

علامات أهل الطريق

وهكذا أهل الطريق، قوم صفت قلوبهم فلم يحقد أحدهم على الآخر، لأن كل واحد منهم عون للآخر على مقصوده، قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ المائدة ٢، وكل واحد منهم مرآة لأخيه يشهد فيها ما مَنَّ الله به عليه من المنن فيشكر، أو ما أَلَمَّ بنفسه من العيوب

فيتطهر منها، أو من الأمراض فيتداوى منها، فالأخ منهم يحن إلى أخيه أكثر من حنينه إلى الماء البارد فى اليوم الصائف، لأن لقاء أخيه إما مزيد من المواهب، وإما تخلص من الأمراض والقطيعة والبعد. لم تقع أبصارهم إلا على محاسن إخوانهم وفضائل أصحابهم، لاشتغال كل واحد منهم بعيوب نفسه عن عيوب أخيه، إذا أغضبتهم اجتهدوا فى أن يرضوا الله فيك، وسعوا فى أن يداووك من فساد أخلاقك ويرغبوك فى ربك، فهم يدرأون السيئة بالحسنة، وإن أرضيتهم اجتهدوا فى أن يرضوا الله فيك، فلا أذيتك لهم تخرجهم عن مراقبة ربهم، ولا إرضاؤك لهم يلفتهم عن مواجهة مولاهم سبحانه. اجتمعت قلوبهم وإن تفرقت أبدانهم، وتآلفت أرواحهم لأنها بـ "ألست" تعارفت، قد بلغ بهم الحب فى الله حتى منحهم الله من المواهب ما غبطتهم عليه الملائكة والأنبياء، هذه علاماتهم وتلك صفاتهم، فأين هم... ومن هم؟

فيا إخوانى ليس الطريق لنكون فرقاً مختلفين وعصباً متنافرين وشيعاً متباغضين، قلوب على الحظ والهوى عُقدت، وبالدنيا وما فيها اطمأنت، وللشهرة والسمعة طلبت، حتى أصبح المسلمون وهم كثيرون قليلاً، قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ آل عمران ١٠٣ الآية، إذا كان المراد من الطريق النجاة والفوز بالسعادة الأبدية، فهل النجاة أن يبغض المسلم أخاه؟! وأن يذم كل فريق من خالفه؟! وأن يقوم كل قادر أن يتكلم بالذم والتكفير واللعن فيتكلم؟! هل كان رسول الله ﷺ يحب المنفرين؟! هل كان ﷺ سباباً لعاناً صخاباً فى الأسواق؟! تنزه ﷺ وقد مدحه الله تعالى بقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ القلم ٤، وقوله سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡ﴾ آل عمران ١٥٩، وقد نبهنا الله سبحانه بقوله: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾ الأحزاب ٢١.

الشفقى بمرضى النفوس

يا إخوانى علمنى الله وإياكم الحكمة، مالكم إذا رأيتم إنساناً مريضاً أو حيواناً مريضاً أشفقتم عليه وسعيتم فى معالجته وزوال آلامه؟ ويكون منكم المتأسف والحزين والباكى لهذا المنظر، فلو كنتم إخواناً حقيقة، ورأيتم أخاً من إخوانكم حصل له مرض فى نفسه فأخطأ أو

سها أو تهاون أو خالف من الأمراض التى تحصل فى النفوس، لِمَ لا تشفقون عليه كشفقتكم على المريض بجسمه؟ ولم لا تجتهدون فى معالجته بالتى هى أحسن حتى تخلصوه من هذا المرض الذى هو أشد وأسوأ من مرض الأجسام؟ لأن هذا المرض يخلد صاحبه فى النار، ولكن مرض الأجساد أخف ضرراً.

الأخ المؤمن تكون شفقته على الأخ عند المخالفة والتهاون والخطيئة أكمل، ورحمته أتم وعاطفته أقرب، وقد يبذل ما فى وسعه من الحيلة والإحسان واللطف وتحمل الشدائد من الأخ حتى يخلصه مما ألم به.

أما من يدعى أنه سالك طريق الله على زعمه، و يقع نظره على قبيح من قبائح إخوانه فينشرها لم يكن أخاً، لأنه إنما يريد بذلك إسقاط شهرته ليشتهر، أو ضياع جاهه ليكون له الجاه، أو محو منزلته لينال المنزلة، أو صرف وجوه الناس عنه ليقبلوا عليه، وهذا لأن يكون قاطع طريق عندى أولى من أن يكون بعيداً عن الطريق وأهله.

وجوب السعى لتحصيل ما به القيام بالواجبات الشرعية

كل مسلم مطالب شرعاً بواجبات شرعية من اعتقاد به النجاة إذا كان مطابقاً لما جاء به الكتاب والسُنة، وبعبادات ومعاملات وأخلاق، وبتزكية نفسه وطهارتها كما قال الله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ الأعلى ١٤، وقال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ الشمس ٩، وبالتفكر فى آيات الله وآلائه، وكل تلك الواجبات لابد وأن تُتَلقى من عالم حى تقى، عامل من عمال الله تعالى، متحقق بوراثة العلوم المحمدية، يطمئن القلب به أو مِمَن تلقى منه، فإذا لم يسع كل مسلم ليتحصل على ما به القيام بتلك الواجبات فهو مقصر، وربما ابتلى بدعى مغرور يبث فيه سم الفساد بالأخلاق والاعتقاد والأعمال، فيعادى إخوانه المسلمين، ويتهاون بما أوجبه الله عليه من العلم والعمل والسعى وراء النفع العام لجميع إخوانه تقرباً إلى الله تعالى واقتداء برسوله ﷺ. المسلم والحمد لله يترك أباه إذا بلغ الحلم، ويسعى فى أن يتبع العالم ويعتقد أن أباه جاهل، ويكره أن يكون مثله وأن يقتدى به، هذا هو المسلم حقاً.

❊ ❊ ❊

تلقى الأسرار والأنوار عن الحى الممنوح

بينما أنك ترى بعض الناس يقتدون برجل جاهل يدعوهم إلى عالم ميت ويتعصبون له، فإذا حضر العالم الربانى بينهم نفروا منه، ورموه بما يوحيه إليهم هذا الجاهل وتعصبوا عليه، وحرموا تلقى أسرار القرآن وأسرار السُنة، وما به تزكية أنفسهم وتمكينهم فى التوحيد ونوالهم السعادة الباقية، فاعجب يا أخى من إنسان لا يتعصب لوالده الذى رباه ويتركه، ويتبنى للعالم ولا يخجل من ذلك، وربما أنكر على والده وأمره ونهاه و يفتخر بذلك، وانظر إلى من يتعصبون لجاهل ليس له عليهم أبوة ولا فضل تعليم، ويتركون العالم الذى به سعادة الدنيا والآخرة.

فيا أهل الطريق أنتم الذين منحكم الله منة التسليم، ووهب لكم الرغبة فيما عنده سبحانه، والتلذذ بذكره سبحانه، وصرف الوقت فيما يرضيه، أنتم إخوانى وأنا أخوكم، خلصوا أنفسكم بالسير على الطريق المستقيم الذى سار عليه أئمة الطريق والعلماء الربانيون الراسخون فى العلم، وهو العمل بكتاب الله وسُنة رسوله، وتهذيب النفس، وتلقين العلوم على يد عالم عارف بالله أو بَدَل عنه، واعلموا أن الناجى حقيقة الذى ينجو الإنسان باتباعه والاقتداء به هو رسول الله فحسب، وأنه لا يخلو أى زمان من الأزمنة من عارف بالله وبأيام الله وبأحكام الله، تجتمع تلك الصفات فى فرد واحد، أو يقوم بها جماعة من المسلمين، كل على قدر ما وهبه الله، فعلينا جميعاً أن نتعلم كتاب الله تعالى لنعمل به، ونتعلم سُنة رسول الله ﷺ لنتحصن بها، ونتلقى تلك الأسرار والأنوار عن الحى الممنوح، نرفض ما عدا ذلك من التشيع والتفرقة، والانتساب إلى من ربما كان انتسابنا له هلاكاً لنا، ونحن والحمد لله تعالى قد سمانا الله المسلمين، ورضى لنا أخوة الإيمان فقال تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ الحج ٧٨، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ الحجرات ١٠، وقال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ آل عمران ١٠٣.

والشكر عمل وهو قيام كل عضو بما خلقه الله له، فقيام القلب بما خلق له من استحضار

عظمة الله تعالى وخشوع من جنابه العلى، ورغبة فيه ورهبة منه وخوف منه ورجاء لفضله ورضوانه، ومراقبة له سبحانه وحب فيه، وغير ذلك من أعمال القلوب، وهى شكر القلب، ولكل عضو شكر، وقد بسطنا ذلك فى كتاب "أصول الوصول" عند التكلم عن مقامات اليقين، وفى كتاب "شراب الأرواح".

البحث عن الرفيق العالم بالطريق

إخوانى طهر الله قلوبنا من وسوسة الشيطان، اعلموا أن كل مسافر إلى جهة لا يخرج من بيته إلا بعد إعداد الزاد، والتحقق من استقامة الطريق، وأنه أقرب الطرق الموصلة لمقصوده، وطمأنينة قلبه بأنه آمن، ولا يكمل اطمئنانه إلا برفيق عالم بالطريق يسلم له قياد نفسه، ينزله متى شاء و يسير به متى شاء، يطيعه فى كل أمره، ويعتقد أنه لو خالفه هلك أو ضاع ماله، ولكنه لا يختار الدليل إلا إذا تحقق أنه عالم بالطريق وبأماكن الخوف فيه وأماكن الأمن وجهات المياه، ويعلم أنه له معرفة بالقاطنين بتلك الجهات، كل ذلك يعده المريد للسفر خوفاً على حياته الفانية، ولكنا نرى المسلم المسافر إلى الدار الآخرة، المتحقق أنه سيرجع إلى ربه، لا يُعِد الزاد لهذا الطريق، ولا يجتهد فى البحث عن الرفيق، ولا يخطر على قلبه أنه مسافر إما إلى جنة وإما إلى نار، فيهمل أمر الرفيق الذى يذكره بأيام الله، ويبين له سبل الله، ويسلك به على أقرب الطرق المستقيمة، ويزكى نفسه ويطهرها من أدرانها، وبإهماله فى هذا الأمر يقع فى هوة الغفلة فينسى اليوم الآخر، فينساه الله تعالى من أن يمنحه العناية والتوفيق، والنور والهداية، والعلم والإيمان، والرحمة والشفقة والإنابة، قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ الجاثية ٣٤، فيكون بإهماله فى طلب الرفيق المرشد الشفيق، سار على الطريق المعوج المهلك البعيد عن الوصول، وهو طريق الحظ والهوى والغرور والأمل ويحسب أنه يحسن عملاً.

السُنة العملية أن يكون لكل سالك رفيق

كيف يتهاون فى اتخاذ الرفيق وقد جعل رسول الله ﷺ لكل رجل من الصحابة أخاً يأنس به فى خلوته، ويستعين به إذا ذكر، ويتنبه به إذا نسى، ويعلمه ما تلقاه عن رسول الله

ﷺ إذا غاب، مع أن شمس ذاته المحمدية كانت مشرقة، فإذا كانت السُنة العملية أن يكون لكل سالك رفيقاً يزداد بعلمه علماً، وبمكارم أخلاقه كرماً، وذلك بأمر رسول الله ﷺ وبعمله، فكيف بنا ونحن فى هذا الزمان المظلم نتساهل بالرفيق ونتهاون بالدليل؟

إنما يتساهل بالرفيق من لم يؤمن بيوم الحساب، ويتهاون بالدليل من جهل المبدأ والمآل، أبعدهم الله عن الطريقة المستقيمة لانحراف قلوبهم عن الحق، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ الصف ٥، طمس الله بصيرتهم عن مشاهدة جمال الآخرة ونعيمها لما فرحوا بالحياة الدنيا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾ يونس ٧، صُمَّتْ آذانهم عن سماع الذكرى، لأن الله سبحانه وتعالى لم يمنحهم العناية فى ﴿أَلَسۡتُ﴾ الأعراف ١٧٢، فصمت عندها، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ﴾ الصافات ١٣، هذا حال الغافلين عن الآخرة، والجاهلين بجمالها ونعيمها، وبما فيها من أليم العذاب وشديد العقاب، فهم كما قال الله تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡ﴾ الحشر ١٩، ومن جهل نفسه ونسيها كان الشرك أقرب إليه من الإيمان، وكيف يكون من جهل نفسه مؤمناً كامل الإيمان وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ يوسف ١٠٦.

حال من منحوا التسليم والانقياد

أما حال من منحوا التسليم والانقياد للطريق وأهله، فإن التسليم بلغ ببعضهم إلى درجة حتى أخرجهم عن الحالة الوسط التى هى السعادة والفوز والفلاح، فإن بعضهم قد يسلم لأهل الجهل المدعين تسليماً يجعلهم يكرهون الاستقامة، ويفرون من العارفين بالله تعالى العالمين بأيامه وأحكامه، و يظنون فى أنفسهم أنهم خير من غيرهم، وذلك ظن الشيطان بنفسه.

وبعضهم يسلم لأهل الجذب الذين أفناهم الحب عن سوى المحبوب، و بلغت بهم الرياضة والتزكية مبلغاً جعلهم روحانيين، حتى صاروا بحيث يعملون أعمالاً لا تقبلها العقول كترك الأكل زمناً، وكبغض الدنيا وما فيها، وكتحمل البرد والحر، وكالفرار إلى الصحارى وغير ذلك، فسلموا لهم معتقدين أنهم مرشدون، وتركوا أهل العلم بالله والمعرفة، وهؤلاء

المنجذبون بكليتهم إلى الجناب العلى ليسوا أئمة للمتقين ولا هُداة للمسلمين، ولكنهم منحوا الحب والوجد والمعرفة لأنفسهم خاصة، وهم أبدال الأنبياء وليسوا أبدالاً للرسل، وإنى ليسرنى أن المسلم يعامل هؤلاء معاملة الأطفال الرضع، فيرحمهم ويشفق عليهم إكراماً لله ورسوله، ولا يقتدى بهم، فإن اقتداءه بهم يصير به هالكاً، لأن لهم مواجيد ومشاهد ملكوتية، ومكاشفات عن حضرة العزة والجبروت بها سكروا، وإليها جذبوا وفيها فنوا وعن سواها غابوا، فمن اقتدى بهم وقلدهم مع ما هو فيه من طمس البصيرة وفساد السريرة والحجاب عن مشاهد القدس فقد هلك وأهلك غيره.

وجوب الاقتداء بإمام المتقين

وإنما إمام المتقين من وصل إلى جناب القدس، ثم ورثه الله علوم الرسالة والنبوة، فقام داعياً للحق بالحق، دالاً على الحق بالحق، مُجدداً للسُنة، مبيناً لسيرة السلف الصالح، هذا هو الإمام المقتدى به، وإذا أظهره الله فى عصر من العصور وجب على كل طالب أن يقتدى به، أو بمن اقتدى به، أو بمن اقتدى بمن اقتضى به فإن هؤلاء فى الجنة ما داموا محافظين على تلك الأسرار، ومن تلقى تلك الأسرار، عمن تلقى عمن تلقى عمن تلقى عن الممنوح الذى جعل الله له نوراً، الذى مات فأحياه الله، قال الله تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ النور ٤٠، وكما قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ الأنعام ١٢٢، فهو على الصراط المستقيم، ومن صح له التلقى وأعانه الله على العمل، كان ممن أخبر الله عنهم بأنه ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ النساء ٦٩، وشرط التلقى أن يكون المتلقى عنه تحصل على العلوم النافعة، وفهم حِكم الأحكام، وعرف أمراض النفوس، فقام يرشد عباد الله بالقول والعمل والحال على طِبق العلم، والمحافظة على ما علمه من المرشد أو ما علمه من تلقى عنه من أبدال المرشد أو نوابه، بذلك يتحقق لمن تلقى العلم والعمل والحال والقول أنه سالك على الطريق المستقيم، ناهج مناهج المؤمنين، مؤهل للفوز والرضوان من رب العالمين.

هذا، وبعض أهل الطريق إذا مات المرشد أو مات الشيخ المأذون بالطريق يسلمون

لأحد أولاده أو أقاربه، وهذا أمر حسن لو أن من سلموا له يكون على شئ من العلم والعمل والحال، واجتهد فى تحصيل ما به كمال نفسه ونفع غيره، وحافظ على الاقتداء بالمرشد محافظة حقيقية فى القول والعمل والحال.

أما إذا سلموا لابن المرشد أو لأحد أقاربه وكان صبياً لم يبلغ الحلم، أو كبيراً على غير استقامة بعيداً عن معرفة الطريق وأهله، فإنهم بذلك يكونون قد عرضوا من اقتدوا به للهلاك وأهلكوا أنفسهم، لأنهم بذلك يجعلوه يغتر بنفسه ويتكبر على العلم ويحتقر العلماء، ولا يزيده الإقبال عليه إلا غروراً وبعداً عن الله، وكأنهم بذلك أساءوا إلى مرشدهم، فإنه جملهم بالعلم والعمل والحال، وهم لم يحسنوا إليه فى أولاده وأهله، وكان الواجب عليهم أن يجتهدوا فى تربية ابن الأستاذ أو من يكون من أهله تربية حقيقية، علماً وتهذيباً وعملاً، حتى يكون لسان صدق لوالده ووارثاً لعلومه وأحواله، وإنى لأعجب من رجل لا يرضى أن يجعل الحصرم من العنب زبيباً، ويرضى أن يجعل الطفل الصغير المؤهل للتربية والتهذيب والتعليم مرشداً عظيماً ويظن أنه يحسن صنعاً!

فيا إخوانى دلنا الله على الخير لنعمل به وأعاننا على عمله، وأعاذنا الله تعالى من أن نعمل الشر ونعتقد أنه خير، فكم رحمة هى عين العذاب، وكم تعظيم هو عين الاحتقار. إن الله سبحانه وتعالى حكم فى كتابه العزيز فى ميراث الأرض خاصاً لمخصوصين، وحكم فى ميراث السماء أنه فضله يؤتيه لمن يشاء، فحكم سبحانه وتعالى فى خير الدنيا بما هو واضح، وحكم فى ميراث الأنبياء والمرسلين والفضل العظيم بأنه لمن يشاء: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ الحديد ٢١.

فيم ينافس أهل الطريق؟

إخوانى – حفظنى الله وإياكم من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا – اعلموا أن المزاحمة والمنافسة إنما تكون فى الفرار من الدنيا إلى الآخرة، وفى التخلى عن الرذائل النفسانية للتجمل بالفضائل الروحانية، فى عمل الخير النافع لجميع الإخوان، وفى السبق فى عمل القربات، والمسارعة إلى المنافسة فى رفعة الدرجات عند الله لا عند الخلق، وفى احتقار نفسه

ليعظمه الله، وفى الرضا بالفقر ليغنيه الله، وفى التواضع لعباد الله ليرفعه الله، وفى بغض الشهرة والسمعة والرياسة خوفاً من القطيعة عن الله، وفى اعتقادى أن الدار الدنيا فانية زائلة ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ غافر ٤٣.

فى ذلك تكون المنافسة والمزاحمة، ينافس فى ذلك أهل الله الصالحون، وأحباب الله المقربون: ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ المطففين ٢٦، وليست المنافسة والمزاحمة فى جمع ما يفنى من المال، وما لا ينفع فى الشهرة والسيادة، وما لا يدوم من ملاذ المأكل والمشرب والمنكح والملبس والمسكن، هذه هى منافسة البهائم الرتع، فإن النمل يدخر ويعتنى بمسكنه، والخنازير والديكة تعتنى بالمنكح، والسبع تفتخر بالجرأة والسيادة، وليس للمتقين ولا للأبرار بل ولا لعامة المؤمنين حرص على ما يزول، ولا رغبة شديدة فيما يفنى، ولكن يطلبونه بقدر الحاجة، خصوصاً إذا كان المؤمن ذا أهل وعيال، فإنه يهتم لطلب الرزق على قدر الحاجة واثقاً بالله متوكلاً على الله، عاملاً بأحكام الله، متباعداً عن مخالفة السُنة، فإذا كان المؤمن العامى الذى صدق بقلبه وأقر بلسانه وعمل بجوارحه من غير علم ولا كشف، لا ينافس إلا فيما يبقى نعيمه وتدوم بهجته، فكيف بمن يدعى أنه من أهل الطريق؟

وإنما أهل الطريق من منحوا اليقين بعد الإيمان والحب والشوق والعلم بالآخرة، فكيف يتجملون بتلك المعانى ويتنافسون فى الفانى؟ أو يسعى بعضهم فى أذية بعض؟ ويقوم بعضهم ينقص البعض؟ هؤلاء ليسوا أهل طريق الآخرة، ولكنهم أهل طريق الدنيا. جعلوا طريق الله حبائل وشباكاً، فيتوجه الرجل منهم ويبذل المال ويأخذ ورقة تشهد له بأنه خليفة أو أنه مرشد، وهو يجهل الضرورى من الدين، فيقوم ليصرف الوجوه إليه، وينفر الخلق بعضهم من بعض، حتى أصبح اسم الطريق بعد أن كان أهله الأئمة العلماء والقادة الحكماء، كالإمام سيدنا أبى بكر الصديق، والخلفاء الراشدين عليهم رضوان الله، وسلمان وأبى ذر وسعيد ابن جذيم وعبد الله بن عمر وأبى هريرة، وجميع أهل الصُفَّة بل وجميع الصحابة، وقام بعدهم التابعون كالحسن البصرى وابن سيرين وابن جبير، والأئمة من أهل البيت كسيدنا على زين العابدين والإمام زيد بن على رضى الله عنهم جميعاً، ثم فضيل بن عياض وحبيب البلخى وابن أدهم ورابعة وابن جريج والثورى والزهرى، والأئمة من أهل البيت كالكاظم والباقر رضى الله عنهم جميعاً.

ماكان عليه أهل الطريق

وهكذا كان الرجل من أهل الطريق يمشى فيجتمع الناس عليه، فيردهم الناس عنه بالسياط فلا يرتدون، ويمر بعده أمير المؤمنين فى كل عصر، والناس يضربون الناس بالسياط ليجتمعوا عليه فلا يجتمعون. كان أمير المؤمنين يزور أهل الطريق فى بيوتهم فيسمع منهم القوارص من الوعظ حتى يبكى، وفى زيارة أمير المؤمنين هارون لفضيل، وما واجه به ابن جريج أبا جعفر المنصور، وما كتبه بعض الصحابة لأمير المؤمنين عمر، كل هذا دليل على أن أهل الطريق كانوا أئمة للأمراء وسادة للخلفاء، لأنهم خافوا الله فأخاف منهم كل شئ، وأقبلوا على الله فأقبل بقلوب الخلق عليهم، وجملوا سرائرهم لله فجمل الله علانيتهم لعباده، أنت تسمع من أسرارهم وكراماتهم ما دونه أهل التاريخ عنهم، خصوصاً من ترجموا لأهل الطريق واعتنوا بآثارهم.كانوا إذا جلسوا فى مجلس لاحت أنوار الحكمة، وظهرت أسرار المعرفة، وامتلأت القلوب إيماناً وذُكِر الله لرؤيتهم، وكره الناس الدنيا بما فيها، ورغبوا فى الآخرة وما فيها، وكم أسلم يهودى ونصرانى ومجوسى عند سماع عباراتهم وعلم أحوالهم، وبيان أخبارهم. هكذا كان الطريق وكان أهل الطريق، حتى بلغ من التعظيم فى القلوب أن الناس كانوا إذا أقسموا يقولون: (وحياة أهل الطريق).

الطريق وأهله الآن

أما الآن ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم أصبح اسم الطريق مرذولاً، وأهل الطريق محقرين، وأقوالهم مردودة، وأحوالهم منكرة، وأعمالهم مقبحة عند أهل الغرة وأهل الدنيا، لم ذلك وكيف كان ذلك؟ لم يكن ذلك إلا لأن رجالاً اتخذوا الطريق مغنماً ومكسباً، فزينوا ظاهرهم للناس لخراب سرائرهم، وباعوا الدين بالدنيا، وعملوا أعمال الآخرة للدنيا، فذهبت أنوار الطريق ومحيت أسراره وانطمست معالمه، وجهلت أحوال أهله، وحجبت الإمدادات السماوية، والفيوضات الربانية التى كانت تفاض على القلوب العامرة باليقين، والأبدان العاملة بسنة سيد المرسلين، والعقول الجائلة فى الفكر فى آيات السماوات والأرضين، والأنفس السابحة فى ملكوت السماوات والأرض، والأرواح المواجهة لقدس الجبروت، أما الآن فأصبحت أجسامهم بلا أرواح كل ذلك للاشتغال بالدنيا عن الآخرة، وترك البحث

عن الرجل المرشد العامل الدال على الله بقوله وعمله وحاله.

كثر الحفاظ والمرشدون، وقل الراغبون والطالبون، يقرأون القرآن لا يتجاوز حناجرهم، ويجلسون مجالس الأنبياء والقلوب قلوب شياطين.

❊ ❊ ❊

مآل من نسى يوم الحساب

فيا إخوانى لا تشغلكم الدنيا عن الآخرة، ولا الحظ الفانى عن النعيم الأبدى، ولا الخلق عن الحق، واعلموا أن الإنسان لو عاش الف سنة فى أوفر الملاذ وأكبر الحظوظ ثم انتقل إلى النار كان كأنه لم ينعم، ولو أنه عاش الف سنة فى فقر وعناء وذل وهوان، ثم انتقل منها إلى الجنة كان كأنه لم يتألم، وشقاء عاقبته الجنة نعيم، ونعيم عاقبته النار شقاء، هلموا إخوانى إلى العمل بالسُنة فى أنفسنا، وخيركم من أحيا سُنة الله ورسوله ﷺ فى نفسه ليقتدى به أولاده وأهله وجيرانه، فيكون إماماً للمتقين.

هذا وإن تلك اللذة العاجلة والحظوظ الفانية وإن كانت مشهودة محسوسة تميل إليها النفس وترغب فيها وتحرص عليها، إلا أنك لو خطر على قلبك أنك سوف تموت، وأنك ستحاسب فى القبر، وأن القبر سيكون إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، وأنك بعد ذلك تصير إلى المحشر، إلى موقف ترمى فيه جهنم بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر، فلو تصورت هذه المواقف لعلمت قدر الدنيا وفررت منها، ثم بعد ذلك تساق إلى الصراط وهو جسر على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعرة ثم إلى الميزان، ولديها ما من صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ربك وكتبها عليك، فتذكر تلك المواقف ثم بعد ذلك تقف بين يدى ربك وبيدك صحيفتك، وتكشف لك حقائق نعمه سبحانه ومننه عليك، وجميل إحسانه إليك، ولطيف عنايته بك، مع غناه عنك وقدرته عليك، ثم ترى ما قابلت به مولاك من كفران نعمته، ومن الجحود به، ومبارزتك له بمخالفة أمره، والتستر من الخلق عند عصيانه جهلاً منك أنه معك، وظلمك لنفسك باعتقاد أنك تملك وأنك تنفع وتضر، وتخلقك بأخلاق إبليس، وعملك بعمل البهائم، ومخالفتك للمرشد الناصح.

هنا والله تقشعر الجلود وتذوب القلوب، وتنسى الدنيا، وتتمنى أن لم تكن شيئاً مذكوراً، ويقول العبد يا ليتنى كنت تراباً، هذا مآل من نسى يوم الحساب.

أما إخواننا المؤمنون الذين عملوا بالسُنة فإنهم لا يحجبون عن ربهم بل يشهدهم جماله، ويمنحهم رضوانه، ولديها تحصل البهجة والسرور لمن سبقت لهم الحسنى، فينسون كل ما تألموا به فى الدنيا، من الصبر على شرور الخلق وأذيتهم، والصبر على مر القضاء، فتكون فرحتهم لا تساويها فرحة، وسرورهم لا يساويه سرور، فتأمل يا أخى تلك المواقف، واعتقد أن الدنيا نعيمها حساب وعقاب، والمهانة فيها غفران ورضوان، فإن لم تستطع أن تفر بجسمك ففر إلى ربك بقلبك، ولا تجمع على قلبك وجسمك الاشتغال بالدنيا عن الآخرة، بل اشغل قلبك بربك، واشغل جسمك بقدر ما فرض الله عليك فى الدنيا وبين لك، وإياك أن تتبع غير سبيل المؤمنين، فيضل من اتبع غير سبيل المؤمنين ويهلك، والحلال بين والحرام بين، والعالم بطريق الله لا يخفى إلا على قلب أعماه الحظ والهوى وقطعه الأمل والغرور، نعوذ بالله من حال يوجب غضب الله و يقرب من النار ونسأله فضله ورضوانه إنه مجيب الدعاء.

❊ ❊ ❊

الطريق المستقيم

أنت يا أخى مَنَّ الله علىَّ وعليك بعلوم اليقين واتباع سبيل المؤمنين فى كل يوم تسأل الله أن يهديك الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم أكثر من ثلاثين مرة، كلما صليت فى فرض أو نفل فإنك تقول: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ الفاتحة ٦-٧، فلو كنت مخلصاً أيها المريد فى صلاتك لدلك الله على الذين أنعم الله عليهم، فاتبعتهم واقتديت بهم، ووفقك للمحافظة على حسن الاتباع لهم، وحفظك من السبل والشُعب، سبل الضالين ممن جعلوا لله ولداً، والمغضوب عليهم ممن حرفوا كلام الله عن مواضعه، فالصراط المستقيم يا أخى أمران كما قررنا فى كتاب "معارج المقربين".

الأمر الأول: السير على الطريقة المستقيمة.

الأمر الثانى: تزكية النفس وتطهيرها حتى تكون سابحة فى عوالم الملكوت الأعلى، لأنها روح طاهرة زكية، فإذا مَنَّ الله عليك بالعالم بكتاب الله وسُنة رسول الله، العالم بالنفوس وتزكيتها، فقد فزت بحقيقة السعادة، وما بقى عليك إلا أن تسلم له تسليم الطفل الرضيع للوالدين الرحيمين. عليك يا أخى أن تجاهد نفسك، وتقدم حظ هذا المرشد على حظ نفسك، وهواه على هواك، وتترك كل لذة وشهوة إذا أمرك، وترضى بما يؤلم من القول والعمل لتفوز بأن تزكو نفسك وتكون من السالكين على مناهج الصديقين والمقربين.

❊ ❊ ❊

تزكية النفس

وأهم شئ فى الطريق: تزكية النفس، فإنك بتزكية نفسك تكون تشبهت بالعوالم الروحانية، وتخلقت بالأخلاق الملكية، وتجملت بمعانى أهل معية رسول الله ﷺ التى ذكرها الله فى آخر الفتح، فتكون وأنت فى آخر الزمان مع رسول الله حكماً، فائزاً بفضل أهل المعية، ممنوحاً المواهب الإلهية، والعلوم الربانية، بفضل تحققك بنسب المعية، وقد تبلغ بك درجة التزكية إلى أن تكون روحانياً كلك، ربانياً جميعك، فيتفضل الله عليك بنور يقذفه فى قلبك على لسان ملك الإلهام فتكون من الراسخين فى العلم، الذين مدحهم الله فى كتابه العزيز وأثنى عليهم، وضرب بهم الأمثال ولهم الأمثال، وبذلك تكون أنفع لعباد الله من الشمس المشرقة، ومن السحب الهاطلة، ومن تصريف الرياح، ذلك لأنك تكون نجاة لأنفسهم وأبدانهم من هاوية البُعد والجهل، ويقظة لقلوبهم من نومة الغفلة ورقدة الجهالة، يرزقهم الله على يدك ولسانك الرزق الذى به السعادة الأبدية والنعيم السرمدى.

سالك هذا الطريق

السالك لهذا الطريق عليه أن يتحصن بحصون الأمن، ويتجمل بالجمال الذى يحبه الله تعالى ويحبه رسول الله ﷺ.

❊ ❊ ❊

الفصل الثانى

حصون الأمن

١ معرفة ما لابد منه للمؤمن

معرفة ما لابد منه للمؤمن من العقيدة الحقة، وتلقى هيئات الأعمال البدنية حتى يطمئن قلبه بأنه عملها كما كان يعملها رسول الله ﷺ، والعلم بالسُنن الواجبة على كل عضو، مبتدئاً بالقلب الذى منه يكون تصريف الأعمال وصحة الإخلاص والتوجه للحق سبحانه وتعالى، حتى يتمكن من معرفة تصريف النيات، فلا يعمل عملاً إلا وله فيه نوايا كثيرة ترجع كلها إلى وجه الله تعالى وابتغاء فضله ورضوانه، ولقد كان بعض أهل القلوب يمشى فى الأسواق ليشترى حاجته وله فى ذلك من مقاصد الخير، وابتغاء وجه ربه فوق الخمسين نية، فيرجع وقد تقرب إلى الله، وتقرب الله إليه بكل ذراع باعاً، لم يكن ذلك بحركات الأجسام ولا حركات اللسان، إنما ذلك كله بحركات القلوب ومواجيدها، حتى قيل: ذرة من عمل القلوب خير من الجبال من عمل الجوارح. ومن جهل تصريف النيات فقد يعمل العمل المُقرِّب على ظنه، فيبعده عن الله ويقطعه، لأن الله لا ينظر إلى الأبدان ولا إلى الأقوال، وإنما محل نظره سبحانه القلوب والسرائر، وهذا باب من العلم خفى على كثير من العلماء، وقد تكلم فيه بعض المتشددين حتى كاد المطلع على كلامهم أن ييأس من الخوف، وقد تساهل بعضهم فلم يلتفت إليه إلا بقدر تعريف الألفاظ التى مدلولها من عمل القلوب كالنية، على أنى أعتقد أن مواجيد القلوب مواهب ربانية، بابها الرجل العالم المخلص العاشق المحب.

فعلى المريد الصادق أن يهتم قبل كل شئ بالبحث عن المرشد، ليتلقى عنه العلم من عباراته وأعماله وأحواله وإشاراته، فإن العلم إذا كان من القلوب وصل إلى القلوب، والحال إذا كان عن عين اليقين أنتج اليقين، والعمل إذا كان عن إخلاص انطبع فى الخيال، والإشارة إن كانت من خزانة الغيوب استنارت بها القلوب، وسُنن الأعضاء الأخرى معلومة، وقد فصلناها فى علوم اليقين فى كتاب " أصول الوصول " .

٢ أن يراقب خواطره وهممه

أن يراقب خواطره وهممه مراقبة من يعتقد أن أمامه طريقين، طريق موصل وآخر غير موصل. فإذا بدرت له همة أو خطر على قلبه خاطر أو أراد شيئاً ما، فعليه – إن كان على بصيرة – أن يزن الهمة والخاطر والإرادة بموازين أهل العزائم، فإن ظهر له أنها حق رجع فوضعها فى ميزان آخر وهو: لمن هى؟ ولم هى؟ والميزان الأول: هل هى حق أو باطل؟ والميزان الثانى: لمن هى؟ ولم هى؟ فإن ظهر له أنها لله ابتغاء فضله ورضاه قام فوضعها فى ميزان ثالث وهو: كيف كان يعمل هذا العمل رسول الله؟ فإن تحقق من كيفية العمل، أسرع فى تنجيز الخاطر أو الهمة أو الإرادة، وبعد تنجيزها يشكر الله على نعمتى التوفيق والعناية، ومِنَتَى العلم والعمل به.

٣ أن يحاسب نفسه بعد كل يوم وليلة

يحاسب نفسه بعد كل يوم وليلة، محاسبة من يعلم أن الربح سعادة له، وأن الخسران هلاك له، فإن علم من نفسه أنه على مزيد بحسب موازين العلم والمعرفة، شكر الله وداوم وتوسط، وإن لم يتحقق المزيد بادر للتوبة وجاهد نفسه، هذا إذا كان مستبصراً، وإن لم يكن مستبصراً فالواجب عليه أن يعرض خواطره وهممه ونواياه وإرادته على المرشد أو أخ له مستبصر، يبين له سبيل الحق فيسلك عليه، وسبيل الباطل فيبعد عنه، والله ولى المتقين.

٤ أن يجعل له فى كل يوم جديد درساً

يجعل له فى كل يوم جديد درساً يتذاكر فيه العلم إن كان عالماً خشية نسيانه، ويزيد فيه العلم إن كان محتاجاً إليه خشية من الجهل، وهى من الحصون المتعينة على السالك المخلص، فمن مضى عليه يوم ولم يزدد فيه علماً، ولم يشهد فيه آية، ولم تستبين له فيه سبل الخير، ولم تتجل له حقائق غيبية حقية فى ذاته وفى الآفاق، كان ذلك اليوم عليه لا له. وقد ورد عن رسول الله ﷺ ما معناه: (لا بورِك لى فى يومٍ لمْ أزدد فيه علماً بربى).

❊ ❊ ❊

٥ أن يتحصن من الوقوع فى الشبهات

يتحصن من الوقوع فى الشبهات، ومن التوسعة فى المباحات تحصناً عاماً، فلا يسترسل فى المباح من الكلام والإصغاء والنظر والطعام والشراب والشم واللمس والفرج، بل إن أحسن يحافظ على الواجب، فإن لم يستطع فما به رياضة النفس ونشاطها مما لا بأس به مع إباحته وحله وحسن النية فيه، ومراعاة أنه يكون إماماً فى عمله لمن يراه من أهله وإخوانه، وهو حصن أهل المشاهدة من الزهاد.

٦ أن يقوم بعمارة كل وقت بواجبه

أن يتحصن بعمارة كل وقت بواجبه، فإنه إذا أخر واجب الوقت إلى وقت أخر فأداه فى غير وقته أضاع الوقتين، أضاع وقت الواجب الأول من العمارة وهو وقت انتظار العمل وقبوله من العبد، فهو وإن أداه فأسقط الواجب عليه إلا أنه لم ينل الرضا عنه، وبتأديته فى غير وقته أضاع الوقت الثانى من أن يعمره بذكر أو فكر مما هو مسنون أو مندوب، والمحافظ على تأدية الواجبات فى أوقاتها مرابط فى سبيل الله.

٧ أن يتجنب فى كل وقت شياطين الجن والإنس

يتحصن فى كل وقت من شياطين الجن والإنس بالتباعد عنهم، وترك الأعمال التى توقع فى شُبهة لديه، والاختفاء بالأعمال التى يتقرب بها مما لم يألفوه، حتى لا يقع فى شغل بالجدل والمعارضة ليدوم صفاء قلبه، ويتباعد عن كل ما يوقع فى تهمة أو شُبهة، فإن وقع فى شئ من ذلك أوقع الخلق فى غيبته. فكان مسبباً له ارتكاب الكبيرة. ومن أعان على قبيح فهو عامله، قال ﷺ: (مَن سَلَكَ مَسَالِكَ التُّهَمِ اتُّهِمَ وَلَا أَجْرَ لَهُ). فإن المريد بصفاء قلبه تدوم له لطائف القدس، ويصفو خياله ويقابل الملكوت الأعلى، فإذا فتح على نفسه باباً من أبواب الفتنة والشر، حجبت عنه تلك الأسرار وانمحت تلك الأنوار. والمريد الصادق عنده نَفَس يشرف فيه على ملكوت ربه أنفس من الدنيا وما فيها، فكيف يرضى بالقطيعة بعد الوصول؟! وبالبعد بعد القرب؟ وبالحجاب بعد الشهود؟ وبالنسيان بعد الذكر؟ وبالغفلة بعد الحضور؟

تحقق أنه لا يرضى بذلك مريد مخلص ولا طالب صادق، وهل عاقل يتحقق أن طعاماً ما أو شراباً ما يضر صحته فيتناوله؟!

٨ أن يتمثل صورة الموت وما بعده

وهو أدق الحصون وأخفاها لأنه حصن النجاة، وهو أن تتحصن بأن تمثل لخيالك صورة الموت فالبرزخ فالحشر فالميزان فالصراط فالوقوف بين يدى الملك القهار فمغفرة وفضل ورضوان، أو والعياذ بالله عقاب وخسران وعذاب. فإنك باستجلاء تلك المعانى فى خيالك تحتقر الدنيا وإن أقبلت بمن فيها وما فيها، ولا تأمن جانب ربك ولو منحك "كُن"، وتحذر إخوانك ولو ملكوك أنفسهم وأموالهم خشية أن تغتر بهم فَيَهلك المغرور ويُهلك، وإهمال هذا الحصن سبب القطيعة ومدارج البعد ومهاوى السخط، فتنبه أيها الأخ حصننى الله وإياك بحصون حفظه ووقايته وإخواننا المؤمنين أين كانوا وكيف كانوا.

وهناك حصون أخرى هى حصون الواصلين ومخاوف المحبوبين ومشاهد أهل التمكين وموارد العاشقين، قد أشرنا إلى شئ منها فى كتاب "أصول الوصول" و"شراب الأرواح" و"معارج المقربين" وقد يتلقاها المريد بعد وصوله من المرشد أو نائبه أو يفقهها من إشارات المرشد وحاله وعمله، والله هو الحفيظ السلام سبحانه وهو خير حافظاً وهو أرحم الراحمين.

❊ ❊ ❊

جمال المقربين

جمال المقربين جمالان: جمال باطن وجمال ظاهر.

١ الجمال الباطن للمقربين

أما الجمال الباطن فهو علم بالنفس، يعرف الإنسان به ربه المعرفة التى تجعل النفس تتصور رسوم معانى الجمال والجلال والكمال الربانى، بقدر قابليتها لاقتباس تلك الأنوار القدسية، واستجلاء تلك الأسرار فى السر حتى تكون تلك المعانى مشهودة للنفس شهادة

يقين، فيحصل العشق بعد المعرفة، والمعرفة تحصل بعد الوجد، والوجد يحصل بعد الطلب، ولا طلب قبل معرفة النفس. فإذا حصل العشق لمعانى الربوبية تحققت النفس بأضداد تلك المعانى التى هى أكمل جمالاتها، والحق سبحانه يطلب تلك المعانى التى تجمل بها من طلب فوجد فعرف فعشق، كطلب العاشق لمعانى الربوبية، سر قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ المائدة ٥٤، وهو جمال المقربين ومشاهد المُصطفين وموارد الصديقين والشهداء، أسرارهم مطوية إلا من فم العارفين بأُذُن الواهين، وأخبارهم خفية إلا ما تشهده أبصار الأبدال من أحوال وأعمال وأقوال الأفراد، ولا تباح تلك الأسرار ولا تكشف تلك الأنوار، وكيف ينشر بساط الجلوة؟ أو تكشف أسرار الخلوة؟ اللهم إن مواهبك اللدنية وغيوب أسرارك الذاتية، سَجَد دون تَمْثِيلها الخيال، وصعق على قاف رمزها العقل، وسكرت فوق صاد آياتها الأرواح الطاهرة، فهب لنا يا إلهنا من صافى طهورك، وخالص حبك ما به نسلم بتلك المواهب ونصدق بها ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الزمر ٦٧.

٢ الجمال الظاهر للمقربين

الجمال الظاهر للمقربين بسط يؤلف النافر، وبشاشة تلين قلب الكافر، ورحمة بكل مخلوق تأنس بها السباع، وعفوٌ عمن أساء يجعله يذوب ندماً ويصفر خجلاً، وإحسان إلى المسئ يجعله صديقاً حميماً، وتواضع لله تهابه به القلوب، وذل لله تعظمه به العيون، إذا أساء إليهم المسئ نسبوا السوء إليهم واعتذروا له، لا يغضبون إلا لله لا لأنفسهم، أخلاقهم أخلاق الروحانيين، وأعمالهم أعمال الربانيين، هم موتى من حيث ما به حياة أهل الدنيا، لكنهم يمشون فى الناس بنور الله، فهم فى الناس وليسوا معهم، كالنهر الجارى يقصده من يريد النفع فيرجع عنه بالخير، والشمس المضيئة للسبل، يفيض الله بهم النفع ولا يطلبون من الناس جزاءً ولا شكوراً، هذا جمالهم الظاهر الذى يمكن أن تبينه العبارة، أو تومئ إليه الإشارة.

ولهم جمال آخر نطوى بساطه خشية على المريد السالك، وأسأل الله تعالى أن يمنحك يا أخى التجمل بتلك الجمالات، ويمن علينا جميعاً باستجلاء أنوار الجبروت للسر، وأسرار العزة بالبصيرة، وجمال الملكوت للضمير إنه مجيب الدعاء.

جمال السالكين

١ الجمال الباطن

تحلية القلب بمراقبة الآيات الدالة على كمال عناية الحق بالإنسان، والتفكر فى بديع الصنعة وما أمد الله به الإنسان من الإيجاد، وما أعده له قبل وجوده على الأرض، وما سخره له بعد وجوده من كل عوالم السماوات والأرض، لتنكشف لقلبه بعض نعم الله ومننه وإكرامه وإحسانه، ثم يشعر قلبه أن هذا الجمال وتلك المنن والنعم فى هذا الكون جعلت ليستعين بها ويستعملها فى وجوه التقرب إلى الله، وطاعة أوامره واجتناب نواهيه، لينتقل بها منها إلى الجمال الحقيقى والنعيم الأبدى والسعادة الباقية، فإنه بذلك يشكر المنعم، ويجد فى طلب ما رغبه فيه سبحانه وتعالى زهداً فيما يفنى، آخذاً منه بقدر الكفاية، فيكون من الشاكرين الذاكرين.

وبهذا الجمال تتوالى عليه أسرار روحانية تجلى له غالباً فى نومه، ثم تتوالى حتى تكون فى يقظته، فى حال ذكره أو فكره أو فى صلاته، إلا أنها لا تخرج عن مشاهد ملكوتية ومعانى من علوم النفس، وفى هذا الحال يشربون شرابهم ممزوجاً بالكافور لأنهم من الأبرار.

٢ الجمال الظاهر

أما جمالهم الظاهر فالمسارعة إلى الأعمال كالصلاة والصيام والحج والذكر، وإطعام الطعام، ومعاونة الإخوان بالمال والجاه، والفرح بالمساعدة، والبهجة بالأعمال الصالحة، والغضب عند المخالفة على من خالف، وحب المتبع، وقبول النصيحة، والتباعد عن غير إخوانهم، والنفور من المخالف لهم، والفرح بالخصوصية، لأن من فرح بشئ رغب فيه واجتهد فى طلبه وداوم عليه، مع الرحمة بالأقارب والأهل والجيران، وحب الإصلاح والسعى لأهل الصلاح، والميل إلى مجالس العلم وسماع كلام العلماء، وغير ذلك مما هو معلوم من أعمال السالكين الصادقين.

فعلى المريد الصادق أن يجاهد نفسه مجاهدة حقيقية، ليتحصن بتلك الحصون ويتجمل

بتلك الجمالات، وبذلك يكون مريداً لله، ناهجاً مناهج الكتاب والسُنة، ومتى تجمل بهذا الجمال ظاهراً وباطناً تحقق بأنه من التابعين بإحسان لرسول الله ﷺ، لأن محافظته على الاقتداء بالعالم العامل بالكتاب والسنة العارف بالله تعالى، العالم بالنفوس وطرق تزكيتها، يكون عاملاً بما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، ويمنح مواهب الفرقة الناجية، ويفوز بما مَنَّ الله به على أهل معية رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ النساء ٦٩.

الفصل الثالث

المرشد والمسترشد

أحوال المرشد واقتداء المسترشد

ينبغى لك أيها الطالب المسترشد أن تكون على بصيرة فى أمرك وسيرك وسلوكك، بأن تعلم حق العلم أن اقتداءك بالمرشد لا يكون إلا بعد أن تقوم بما أوجبه عليك الله ورسوله، سواء نشط المرشد لذلك فى وقته، أو شغله واجب من واجبات الوقت مما لو التفت عنه لضاع منه واجب يعاقب عليه.

انظر إلى تأخير رسول الله ﷺ صلاة العصر حتى غربت الشمس فى غزوة الخندق، وقوله ﷺ: (حَبَسُونَا عن الصلاةِ الوُسطى صلاة العصر)، ولما توجه للصلح بين الصحابة، وانتظره الصحابة فى المسجد لصلاة العصر فلم يحضر ﷺ، فقدموا أبا بكر رضي الله عنه، ثم حضر صلوات الله وسلامه عليه وهم فى الصلاة، وكيف أخر صلاة العشاء مرة ثم خرج ﷺ فقال: (أين الناس؟ فقالوا: صلوا وانصرفوا) فصلى ﷺ العشاء بأهل الصُفة.

فكذلك قد يعرض للمرشد واجب وقتى لا يقضى كوارد إلهى يحفظه، أو فهم أو استنباط حكم من كتاب الله يقيده، أو واجب يمنعه عن حضور الجماعة، فيؤخر الواجب عن وقته ويعمله ويقضيه. فإياك أيها المريد المخلص الصادق أن تقلده فى شئ من ذلك، فإنما أنت مقتد به لتتمكن من اليقين وتزكى نفسك وتجمل أخلاقك، وإنما الواجبات الشرعية أوجبها الله عليك ورسوله، فإذا قلدته فيما يحصل منه من ملاحظة الوقت، وتقدم واجب الوقت الذى لا يُقْضَى على حكم الوقت الذى يقضى، عرضت نفسك للقطيعة والبعد، لأنك لست بصاحب وقت إنما أنت مجاهد عامل مكلف مطالب، وإنما أهل القلوب هم أصحاب الوقت فحافظ بكل ما فى وسعك على أن تبادر فى أول الوقت بتأدية الواجب عليك شرعاً ولو لم يعمله المرشد، لأن المرشد ربما كانت له رخصة أو عزيمة، أو ينتظر طهارة سره وقلبه بالنور حتى يقف بين يدى ربه طاهراً ظاهراً وباطناً، لأن للقلوب جنابات يجب الغُسل منها بماء

الندم والتوبة والإخلاص فى ذلك، لست مطالباً بها أيها المريد، فقد يكون قلبه مشغولاً بأمر يخشى أن يشغله فى تأدية الصلاة أو فى تأدية الحج أو فى تأدية الصيام، فيبادر إلى عمل ما شغل قلبه ليكون فارغ القلب مما سوى الواجب عليه لله، فيؤديه على الوجه الذى يكون به مقبولاً عند الله تعالى، فإذا أنت قلدته فى ذلك حرمت التوفيق لعمل الواجب، وخالفت ربك سبحانه لأنك تركت الواجب بدون عذر شرعى.

أنت أيها الأخ السالك، إنما اتبعت المرشد لأنه متبع لا مبتدع، فإذا خالف الكتاب والسُنة بترك الأعمال البدنية التى صحت بالتواتر، أو بعمل المحرم شرعاً كنت مقتدياً بضال مضل، فإن كان المرشد يعمل تلك الأعمال أو يترك تلك الواجبات ليسقط نفسه من أعين الخلق ليصفو وقته ويحسن إقباله على الله فهو سالك لا يقتدى به، وإن عمل ذلك لمقتضى الوقت – كما قدمنا – فلنا أن نسلم له فى ذاته، وأن نحمل أعماله على أجمل محاملها، وأن نسارع بتأدية ما أوجبه الله ورسوله علينا، إطاعةً لأمر الله وأمر رسوله ﷺ، وإلا فكل كشفٍ أو وجدٍ أو مشاهدةٍ لا تنطبق على الكتاب والسُنة فهى خدعة من النفس، ووسوسة من الشيطان، وهو الحال الذى يفر منه السالكون، ويتبرأ منه الصادقون.

ولا نشدد عليك يا أخى، إذا كنت فى صحبة الرجل العالم العامل، وتحققت أنه فى وقت ما يؤخر الواجب إلى آخر وقته أو إلى وسطه، وعلمت أن عملك هذا الواجب مع الرجل أكمل وأتقن وأقرب للإجابة، فتكون فى تأخيرك للعمل كأنك صاحب وقت.

❊ ❊ ❊

المسارعة إلى تنجيز أوامر المرشد

قد يأمر المرشد بعض المريدين بأوامر يظهر لهم منها أنها ليست من الخير لهم لقصور نظرهم وللحظ الخفى، كما إذا أمر المرشد المريد بالخروج من ماله لأهله الفقراء، أو بأن يزوج ابنته لمن ليس بكفء لها نسباً ومالاً، أو بأن يترك منزلة من منازل الشرف والعلو، أو بأن يترك الحج نافلة ونوافل الصيام والصلاة، أو بأن يترك التوسعة فى طلب العلم الظاهر، أو بأن يصالح أخصامه ويعتذر إليهم وهم الجناة عليه، أو بأن يهاجر إلى بلاد أخرى، أو بأن

يترك صلاة الجماعة وعمل الأذكار فى منزله، أو بأن يترك الاجتماع على إخوانه ويختلى، أو يترك الخلوة ويجتمع على الإخوان، أو بأن يترك الأسباب مرة واحدة توكلاً على مسبب الأسباب، أو يرجع إلى الأسباب بعد تركها، أو بأن يخدم فى المساجد أو فى الزوايا أو يحمل الماء فى المساجد أو فى الأسواق، مما به تزكية نفسه وطهارة أخلاقه والحفظ من وساوس الشيطان. فعلى المريد أن يسرع مجاهداً نفسه إلى تنجيز أوامر المرشد إذا علم أن الأمر منه للوجوب لا للاختيار أو للإباحة، وهذا لا يخْفَى على المريد الصادق، ويتحقق أن آلامه التى تفنى فى تنجيز هذه الأوامر، تعقبها السعادة الأبدية والحظوة لنيل الرضوان الأكبر.

* * *

بيان فى تقليد المرشد

أنت أيها المريد، إذا كنت تقلد المرشد فيما هو لذة لنفسك وراحة لجسمك ورفعة لك فى عيون الخلق، فقد أخذت ما لا ينفعك وتركت ما به سعادتك. هل أنت أيها المريد المقلد للمرشد، عامل بقلبك كعمله بقلبه؟ أو مشاهد ببصيرتك كما هو مشاهد ببصيرته؟ أو مقبل بسرك على قدس الجبروت الأعلى كما هو مقبل بسره عليه؟ أو ممتلئ قلبك من عظمة عظيم وكبرياء كبير وجلال جليل، كما امتلأ قلبه؟ إن للعارف بالله لحظة مع الله لا تَعْلَم الأرواح قدرها ولا تدرك العقول نعتها، فاصحبه مجاهداً مسارعاً إلى عمل الخير بقدر استطاعتك، حتى تتجمل بجمال أحواله، وتذوق حلاوة علوم اليقين، وتنبلج فى قلبك أسرار التمكين، وتشرف على الملكوت الأعلى بلطائف قلبك، وعلى حضرة العزة بعيون بصيرتك، وعلى جلال الجبروت الأكبر بأنوار سرك، وعندها قلِّده يا أخى ظاهراً وباطناً، وهل يترك الأبرار أعمالهم تقليداً للمقربين الذين شغلتهم الحظوة برب العالمين عن القيود؟ فحافظ أيها المريد على المجاهدة فالمراقبة، حتى تفوز بأنوار المشاهدة فالمواجهة.

انظر إلى أصحاب رسول الله ﷺ، مع أن الله تعالى لم يوجب عليهم قيام الليل، وأوجبه على حبيبه ومصطفاه ﷺ، كانوا يصومون حتى يكاد الرجل منهم أن يموت فيأمره رسول الله بترك التشديد، وكانوا يقومون الليل حتى يكاد الرجل منهم لا يدرك الصبح لغلبة النوم،

كان الرجل منهم يرى إذا اشتغل بزراعة أو تجارة أو أنس بزوجة أو ولد أنه منافق، ويتوجه إلى رسول الله فيقول: نافقتُ يا رسول الله، فكان ﷺ يأمرهم، ويخبرهم بأن للنفس حقاً، وللأهل حقاً، ولله حقاً. كان الرجل منهم يسرع ليهجم على الجيش، فيأخذ ﷺ بعنان جواده ويقول: (مَتِّعْنَا بِنَفْسِكَ) مع أنه صح لديهم أنه ﷺ كان لا يزيد على إحدى عشرة أو ثلاث عشرة ركعة، وكان يصوم فى كل شهر ثلاثة أيام، وكان يدخر قوت السنة، وكان يلبس الحلة ثمنها ثلاثون جملاً، وكان يأكل الذراع، وكان ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقاً.

مع ذلك كله، فإن الصحابة مع حرصهم على المحافظة على الاقتداء به ﷺ يشددون على أنفسهم قائلين: إن رسول الله غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وكان رسول الله ﷺ إذا ردَّهم إلى الوسط، يقولون: لسنا مثلك، إن الله غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. فيظهر فى وجهه كراهية ذلك ويقول ﷺ: (وإنى أرجو أن أكونَ أتقاكم للهِ وأشدَّكم خشيةً لله)، فهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ.

وإنى لأرى لهم عذراً فى التشديد على أنفسهم، لأن قلب رسول الله ﷺ لا ينام كقلوبنا، فنحن أولى يا إخوانى بأن نشدد على أنفسنا ولا نقلد المرشد فى الأعمال البدنية التى أوجبها الله علينا إذا أخرها عن وقتها، أو أداها فى خلوة منفرداً عن الناس، أو قدم واجب الوقت، لأن المرشد الكامل له قلب وألقى السمع وهو شهيد، ونحن يا إخوانى إنما نجاهد لنبلغ الدرجة التى بها نصل إلى مقامه ونتحلى بكمالاته.

❊ ❊ ❊

عدم الإنكار على أهل أسرار الله تعالى

بعض أهل الجهالة ممن حرموا الخصوصية ينكرون على الرجال الممنوحين من الله تعالى خصوصيتهم، ولو أنهم سلكوا طريق الرجال مخلصين لله لمنحوا خصوصيتهم، فإن ذلك الفضل هو فضل الله تعالى، ومفتاحه التسليم، وبابه الاقتداء بالعارفين، ومتى فتح الباب فاز المسلم، ولكنهم ابتلاهم الله بالجدل، ورأوا لسخافة عقولهم وخبث أنفسهم وعماء قلوبهم، أنه من المستحيل أن يكون لله فضل عظيم يختص به من يشاء من عباده، وكيف يرى النور من

عميت عيناه؟ أو يسمع الذكر من صمت أذناه؟ ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ الكهف ١٧.

فيا أخى منحك الله التسليم: إن أسرار الخصوصيات وأنوار العنايات من علوم النفس ومشاهد الروح، وهل إذا كان الجسد مريضاً يمكنه أن يقوم بعمل من الأعمال البسيطة؟ هل تتصور أن رجلاً ضعيف الجسد مع جماعة ضعفاء الأجسام مثله، فى دار لم يخرجوا منها أبداً، لم يشتغل الرجل منهم إلا بحمل اللقمة إلى فمه وقدح الماء، جاءهم آخر فأخبرهم أن رجلاً ركب على جوادٍ وطبق رجليه على أضلاعه فقتله، وأن آخر هجم على سبع حتى قبض عليه وشقه نصفين من فمه، وأن آخر حمل حجراً بيديه ثقله عشرة قناطير، هل تقع تلك الأخبار من قلوبهم موقع التصديق؟ لا يصدقون لضعف أبدانهم ولأنهم لم يشهدوا هذا المشهد بأنفسهم، فهم يعتقدون أن جميع بنى آدم أمثالهم، وإنما يحصل اليقين بأحد أمرين: إما أن يصدقوا المخبر فى خبره، ويطلبوا منه أن يبين لهم الطريق التى يسلكوها ليروا تلك المشاهد الجميلة، وإما أن يعتقدوا بأنه صادق ويتيقنوا بحصول تلك الحوادث، لأن الذى أوجدهم قادر على أن يوجد أقوى منهم وأقدر على عمل تلك الأعمال، وبهذا اليقين لا يحتاجون إلى مشاهدة تلك الحوادث، وهو الإيمان بالغيب وبه الفلاح والسعادة والفوز، وبدون هذين السببين فإنهم يكذبون المخبر، فينتج من تكذيبهم جهلهم بالبديع الصانع وجهلهم بأنفسهم، ويكونون من المُبعَدين المحجوبين المحرومين، هذا المثال يعقله العالم، كذلك أهل أسرار الله تعالى لا ينبغى لك يا أخى أن تنكر عليهم وتجادلهم وتكذبهم ثم تنال منهم شيئاً، لأن هذا السر ليس محسوساً للجوارح، وليس فى الحس مثال له يمكن أن يصوره لك فتتخيله، ولا سبيلٌ إلى نوال الفوز به إلا بتصديق المخبر والتسليم له مادام لم يخرج عن الكتاب والسُنة وفهمها والاستنباط منها، والاستئناس بأعمال وأحوال وأقوال الأئمة أهل الفقه فى الدين والعلم بالله.

* * *

الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء

من الناس من ينكر الخصوصية لأن الذى مُنحها كان صغيراً فى أعينهم، أو كان فقيراً، أو كان من أهله، أو كان من أهل المعاصى والكبائر، أو كان جاهلاً، ويجهل المسكين أن هذا

الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ الحديد ٢٩، وإن هذا الفضل لو أنه لا يعطى إلا للعظماء أو للعلماء أو للأتقياء أو للأمراء لم يكن فضلاً بل أجراً، فتنبه أيها الأخ الصالح، واعرف الرجال بقدر المواهب والخصوصيات، ولا تنظر إلى ما كانوا عليه قبل الخصوصية، واعتبر بما تشهده فى عالم الكون والفساد. فإنك ترى الرجل صبيحة اليوم من العامة فلا يأتى المساء إلا وهو ملك أو وزير أو أمير، فتبادر إليه متملقاً معظماً مبجلاً، ناسياً ما كان عليه فى هذا الصباح، فهل من يجعل الفقير من العامة ملكاً يعجز أن يجعل آخر ولياً من أوليائه أو يخصه بفضله!

* * *

كيف الإباحة بالأسرار؟

بعض السالكين تظهر عليهم أنوار تفاض عليهم من أنوار الصحبة للمرشد الممنوح، فلا تقوى قلوبهم على كتم مواجيدهم لضيقها فتظهر للعامة، فيقبل بها عليهم أهل العناية، وينكرها عليهم أهل الغواية فيكون ذلك سبباً فى وقوعهم فى العناد والجدال، حتى قد يبلغ بهم العناد إلى ترك بعض السُنن والواجبات عداوة لأهل الجدال، والمجاهرة بذلك عناداً وخصومة. وجهلوا أن السالك أحرص الناس على حاله، وأبخل الناس بأسراره، فإنه إذا علم أن أحداً يعانده أو يعارضه أو يجادله خضع له مداراةً، وسلم له مجاراةً، واتخذه له شيخاً حفظاً له ولحاله حتى يسلم من شر الجدل معه، ومن الوقوع فيما يغضب الله ورسوله، ولكن الشيطان إذا وجد قدر ثقب الإبرة فى قلب وضع يديه فيه ففتقه حتى جعله باباً واسعاً ليخرج منه المريد السالك من حصون الأمن، ويحرمه من حسن الاقتداء، ويوقعه فى أعمال الشياطين وأحوال المُبعَدين، نعوذ بالله من شره.

فيا إخوانى إذا منحكم الله المواهب والأنوار، فاحرصوا عليها أكثر من حرصكم على أنفسكم وأموالكم وأهليكم، فإذا غلب عليكم الحال فقلتم قولاً أو عملتم عملاً أو أشرتم بإشارة وأنكر عليكم منكر رآكم أو سمعكم، فبادروا بالتوبة أمامه واعترفوا بالخطأ، وإن لم يراكم ولم يسمع منكم فأنكروا هذا الأمر بتاتاً ليصفو وقتكم، ويحلو حالكم، ويدوم أنسكم بربكم سبحانه وتعالى.

أهل الطريق هـم المتقون

إن بعض أهل الطريق إذا رأوا أخاً من إخوانهم عمل عملاً يخالف الشرع يتساهلون فى نصيحته، وربما جادلوا عنه من نصحه من الناس، وأنكروا على الناصح، وهذا تعاون على الباطل، والتفات عن الحق، وربما أوقعهم الجدل فى استحسان القبيح والرضا بالمكروه، فكانوا ممن قال الله فيهم: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ الزخرف ٦٧، ولكنا يا إخوانى أرجو الله أن نكون من المتقين الذين استثناهم الله بقوله: ﴿إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ۝٦٧ يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ الزخرف ٦٧-٦٨.

* * *

حقيقة الإخوان

الإخوان حقيقةً من كانوا لمرشدهم عوناً على عمل الخير، وعضداً على فعل القربات، واعتقدوا أنه بشر يخطئ ويصيب، فإذا أخطأ أمسكوا ونبهوه لوجه الخطأ، فإذا كان على بينة من أمره لعلمه بحكمة الأحكام وتصاريف الأمور، بين لهم وجه صواب ما ظنوه خطأ، وأثنى عليهم ومدحهم ونشطهم على هذا، وإن كان خطؤه لعجلة منه أو لمة شيطانية قبل منهم ورجع إلى الحق وأثنى عليهم، واعتقد أنهم إخوان حقاً وأعوان له صدقاً، أما الإخوان الذين إن أخطأ مرشدهم أخطأوا معه وإن أساء أساءوا معه فليسوا بإخوان وإنما هم آلات صماء، أو إذا أساء نصحوه فنفر، أو إذا أخطأ وعظوه فاستكبر ولم يبين لهم وجه الصواب من فهمه وعلمه، فليس بمرشد للحق ولكنه مضل مبتدع.

* * *

يقظة القلوب

إخوانى روحنى الله وإياكم بريحان المعرفة وناولنى وإياكم راح الاجتباء، كل واحد منا يسعى لينجو من عذاب يوم القيامة، ويفوز بالنجاة من هولها، ويحظى بالنعيم المقيم والروح والريحان، ويسبح فى فسيح الجنات. اعلموا أن الصحبة للرجل وبذل الأموال والأنفس

وتصريفه فى أنفسنا لننال تلك النعمة، ونفوز بالرضوان الأكبر بما نناله منه من المعرفة وعلوم اليقين، وكشف أسرار الآيات، وفهم معانى الصفات، ومشاهدة جمالات الملكوت الأعلى، والسير على الصراط المستقيم والمنهج القويم. فعلى كل واحد منا جماعة المسلمين أن نهتم فى البحث عن الرجل الذى ننجو باتباعه، ونسعد بصحبته ونفوز بخدمته، ونتجمل بأخلاقه، ونتحلى بأعماله، ونتحقق بعلومه، ونتمكن بأسراره، فإذا ظفرنا به هانت علينا الدنيا وما فيها ومن فيها، وكنا بصحبته كأننا مع الله ورسوله، هذا الرجل هو متمنى المؤمنين، وبغية المحسنين ومقصد الموقنين، تشتاق إليه القلوب وتحن إليه النفوس الزكية، وتسأل الله فى كل وقت أن تلقاه.

❊ ❊ ❊

لا يكن حظك الإنكار وهمك الجدل

أيها الأخ لا يكن حظك الإنكار وهمك الجدل، فإنهما صفتان تدلان على أن من اتصف بهما من إخوان الشياطين، لا تظن يا أخى أن الخصوصيات والمواهب تخرج الرجل الكامل عن الموازين الشرعية، أو تجعله سالكاً فى تيه الغفلة والنسيان، أما ما تراه أيها الأخ البار من أحوال بعض من فقدوا التوازن بين النفس والجسد، فذلك يا أخى لا يقتضى الإنكار عليهم، فإن الحريص على الدنيا قد يخرج عن التوسط حتى يبخل على نفسه حرصاً على الدنيا، والحريص على الآخرة قد يبخل بها أن يضيع نفساً فى الدنيا، وإنما هو شوق دعاه إلى الآخرة، وعلم ألفته عن الدنيا، فاعذره حتى تذوق ذوقه، قال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ المطففين ٢٦.

فإذا رأيته خرج عن الحدود الشرعية بأن ترك الأسباب أو ترك النساء أو لزم الصمت أو غلب عليه الوجد فجعله لا يشعر بنهار ولا بليل، أو أفرط فى أعمال التزكية حتى صار أقرب إلى الروحانيين منه إلى الإنسان، أو غاب عن حسه بمشاهد نفسه الملكية، فلم يشعر بوجوده لاستغراقه فى شهوده، فلا تقتد بهم ولا تنكر عليهم، وسل مولاك ذا الفضل العظيم أن يمن عليك من فضله العظيم، واسع حتى تستدل على الباب الذى دخلوا منه، والروض

الذى اقتطفوا منه، والنهر الذى اغترفوا منه، والموائد التى مدت لهم، وبذلك قد تنال ما نالوا، وتفوز بما فازوا، والله أسأل أن يمن علينا بالإسلام الحقيقى بجميع معانيه من التسليم والإسلام والمسالمة، وأن يعذنا من المعاصى إنه مجيب الدعاء.

الباب الرابع

الآداب

الفصل الأول

آداب الإخوان وتأديبهم

من هم الإخوان الذين أعنيهم؟

أريد بالإخوان كل الناطقين معى بـ " لا إله إلا الله محمد رسول الله " ، المتفقين معى على التصديق بما أنزله الله على سيدنا ومولانا محمد ﷺ، المؤمنين باليوم الآخر وإن تفاوتت مراتبهم من حيث فهم آيات الله، وذوق معانيها وانبلاج أنوارها، ووضوح الحجج والدلائل بحسب المواهب التى يمن الله بها على كل أخ مؤمن من الفطنة والذكاء والنور والفقه والمعرفة والعناية، والتوفيق لعمل تزكية النفوس والقربات، ومكارم الأخلاق وحسن المعاملات، وعلوم اليقين. فإن هذا التفاوت وإن أدى إلى اختلاف فى مشاهدهم وأحوالهم وخصوصياتهم بالنسبة لما يمن الله به عليهم من مزيد الإيمان، إلا أننا والحمد لله جميعاً نمثل أبناء والد واحد ووالدة واحدة، كلنا بار بوالدينا، لا نشك ولا نرتاب فى صحة نسبنا إليهما، إلا أننا نتفاوت فى السن، وتفاوتنا فى السن لا يؤدى إلى اختلاف بيننا، بل كل واحد منا وإن كان رضيعاً هو أخ للآخر وإن كان كهلاً، حظه من والديه مع طفوليته كحظ الكهل منهما نسباً وميراثاً وحقوقاً، إلا أن الصبى يعظم أخاه الكبير بالاقتداء به وتلقى علومه، ومعاونته له على النفع العام، والأخ الكبير يرحم الصغير بدلالته على الخير، وتربيته على ما به سعادته وسعادة إخوته، وموالاته بما لابد له منه، من غذاء للجسم أو للروح أو تزكية للنفس، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ الحجرات ١٠، وقال ﷺ: (ترى المؤمنين فى تراحُمِهم وتوادِّهم وتعاطفِهم كمثلِ الجسدِ الواحدِ إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسدِ بالسهَرِ والْحُمَّى)، وقال ﷺ: (المؤمنون كرجُل واحدٍ إن اشْتَكَى عيْنُهُ اشْتَكَى كُلُّه وإن اشْتَكى رأسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ)، وقال ﷺ: (المؤمِنُ لِلْمُؤمِنِ كالْبُنْيَانِ يشدُّ بَعْضُه بعضاً، ثم

شبَّك بين أصابعه)، وقال ﷺ: (المُسْلِمونَ مُتَكافِئُونَ يسعى بذمَّتِهِم أدناهم على أعلاهم).

فكأنى والحمد لله إذا قلت: إخوانى، فإنما أعنى كل من اعتنق عقيدتى التى هى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وصدق بكتب الله ورسل الله صلوات الله وسلامه عليهم وملائكته وقضائه وقدره، وآمن بالآخرة إيماناً حقيقياً جعلها ممثلة أمامه فرغب فى نعيمها، وخاف عذابها خوفاً تحقق به أن الوقوع فى المعصية هو عين العذاب الأليم، ورغبة فى النعيم جعلته يتحقق أن عمل القربات والقيام بالواجبات هو عين النعيم المقيم، بهذا أرانى منشرح الصدر إذا أنا خاطبت إخوتى بما أخاطب به نفسى، وقمت خادماً لهم بقدر ما وهب لى ربى، والمأمول من إخوانى أنى إذا كتبت ما هو خير وحق ونفع أن نشكر الله جميعاً على توفيقه وعنايته، فإن ذلك من روح الله وتوفيقه وعنايته، وإن أخطأت وسهوت فعلى إخوانى أيدنى الله وإياهم بنور الذكر الحكيم أن يغيروا خطأى هذا بما هو الحق، ويستغفروا الله لى لأن ذلك من عجلتى التى أنا مفطور عليها، ومن نسيانى الذى هو من أخص مميزاتى، أسأل الله تعالى أن يحفظنى من سوء النية وخبث السريرة، ويعيذنى سبحانه من أن أتبع غير سبيل المؤمنين، أو أن أبتدع ضلالة أغير بها سُنن سيد المرسلين إنه مجيب الدعاء.

❊ ❊ ❊

الآداب

إخوانى منَّ الله علينا جميعاً بالصفا القدسى إنه مجيب الدعاء، تعلمون أن خير الآداب ما أدب الله به رسله صلوات الله وسلامه عليهم، وأدب به المؤمنين، وقد بين سبحانه ذلك فيما وصف به عباده الصالحين من الصفات التى مدحها وأثنى عليها، وبشر عليها بالجنة وبالرضوان الأكبر وبالمغفرة والعفو، وما بينه لنا رسول الله ﷺ من الآداب النبوية والأخلاق المحمدية، وما عليه كان أصحاب رسول الله ﷺ وأئمة السلف الصالح رضوان الله عليهم.

ولما كانت تلك الآداب إما أن تكون آداب فى عبادات أو فى معاملات أو فى تزكية النفوس وتطهيرها، أو فى طريق الدعوة إلى الله وإرشاد عباده بالحكمة والموعظة الحسنة، أو آداب

تعليم العلم وتلقيه، وغير ذلك من الآداب، وكل نوع من تلك الأنواع له أحكام خاصة به، أما آداب العبادات والمعاملات فقد تقدم الكلام عليها فى قسم الأحكام الشرعية من كتاب "أصول الوصول" مستوفاة، ولابد لكل مريد من تحصيل الضرورى منها، وقد استوفينا آداب تزكية النفوس وتطهيرها فى كتبنا. وآداب الأخوة وما يتعلق بذلك فى كتاب "شراب الأرواح" وقسم علوم اليقين من كتاب "أصول الوصول" وعند بيان الطريقة المستقيمة فى كتاب "معارج المقربين".

ونريد فى هذه الرسالة أن نبين الآداب التى ينبغى أن يكون عليها المسلم لأخيه المسلم، والمتعلم للمعلم، وآداب الدعوة إلى الله، وما ينبغى أن يكون عليه العلماء فى حال إقامة الحجة لله، ودفع الشبهة عن سُنة رسول الله، ومحو البدع والضلالة.

❊ ❊ ❊

الآداب الواجبة على كل مسلم لأخيه

لما كانت الآداب الواجبة لابد وأن تكون أوجبها الله تعالى، أو أوجبها رسوله ﷺ، وقد تتبعتُ الأحاديث الواردة فى حقوق المسلم على المسلم، فظهر منها مع كثرة رواتها وانفراد كل راوٍ بواجبات مخصوصة أن جميع ما ورد عن رسول الله ﷺ فى الحقوق الواجبة على كل مسلم لأخيه أربع عشرة خصلة. أما قولى: الواجبة على كل مسلم، فلما ورد فى لفظ الأحاديث عن سيدنا على بن أبى طالب رضي الله عنه: (للمسْلِم عَلَى المُسْلِم سِتٌّ خِصَال واجبةٍ) وعن سيدنا أبى أيوب الأنصارى رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: (حَقُّ المسلمِ على المسلم ستٌّ خصال، إنْ تَركَ مِنْها شيئاً تَركَ وَاجباً علَيْهِ) وحديث البراء عن عازب: (أَمرنَا رسُولُ الله ﷺ بسَبْعٍ ونَهَانا عَن سَبعٍ) وحديث ابن مسعود رضي الله عنه: (للمسلمِ على المسلمِ أرْبَعُ خِلالٍ وَاجِبَاتٍ)، وحديث سيدنا سعد وسيدنا أبى هريرة فى معنى ذلك.

وقد جمع تلك الخصال كلها بعد سرد الأحاديث كلها الإمام أبو طالب المكى فى كتاب "قوت القلوب"، نبدأ أولا بذكر عشر خصال ثم نذكر بعدها ما زاد عليها.

فأما الخصال العشرة التى كثرت الأخبار بها فهى

١ أن يسلم عليه إذا لقيه. ٢ ويجيبه إذا دعاه. ٣ ويشمته إذا عطس.

٤ ويعوده إذا مرض. ٥ ويشهد جنازته إن مات. ٦ ويبر قسمه إذا أقسم عليه.

٧ وينصح له إذا استنصحه. ٨ ويحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنه.

٩ ويحب له ما يحب لنفسه. ١٠ ويكره له ما يكره لنفسه.

أما حديث أنس فروينا عن إسماعيل بن أبى زياد عن أبان بن عياش عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: (أربَعٌ مِنْ حَقِّ المُسْلِم: أن تُعِينَ مُحْسِنَهُمْ وأنْ تَسْتَغْفِرَ لِمُذْنِبِهِمْ، وَأَن تَدْعُوَ لِمُدْبِرِهِم، وَأَنْ تُحِبَّ تَائِبَهُمْ) فهذه الخصال داخلة فى تلك الخصال وجامعة لها فى معنى النصيحة لأخيك، وفى أن تحب له ما تحب لنفسك. وقد كان ابن عباس رضي الله عنهما يؤكد هذا المعنى خاصة للمسلم على المسلم ويفرضه فرض الحلال والحرام، ويفسر به قوله تعالى: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ الفتح ٢٩، يعنى متوادين بينهم، يدعو صالحهم لطالحهم. إذا نظر الطالح إلى الصالح من أمة محمد ﷺ، قال: اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير، وثبته عليه وانفعنا به. وإذا نظر الصالح إلى الطالح من أمة سيدنا ومولانا محمد ﷺ، قال: اللهم اهده وتب عليه واغفر له.

فهذه الخصال المذكورة جامعة مختصرة فى حرمة المسلمين، ووجب حق بعضهم على بعض، لا عذر لأحد منهم فى تركها إلا من عذرته السُنة ويشهد له العلم، وبعضها أوكد من بعض وأكمل المؤمنين إيماناً أقومهم بها وأسرعهم إليها، وفى الخبر عن رسول الله ﷺ: (مَن أُعطِيَ حظَّه مِن الرِّفْق أُعْطِيَ حظَّه مِن الدنيا والآخرةِ ومَن مُنع حظَّهُ مِن الرفقِ مُنع حظَّه مِن الدنيا والآخرةِ).

آداب العلماء

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا﴾ فاطر ٢٨، وقال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ المجادلة ١١، وقال سبحانه وتعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ يوسف ٧٦، وقد أثنى الله تعالى على العلماء وضرب لهم الأمثال، ووصفهم بالخشية من عظمته، وجعلهم هم الأحياء، ومدحهم رسول الله ﷺ وأثنى عليهم وبين فضلهم، وأخبر صلوات الله وسلامه عليه أنهم ورثة الأنبياء، وأنهم سرج الدنيا ومصابيح الآخرة.

والحقيقة أن العلماء هم أئمة المتقين ونور الهدى وأطباء النفوس، بهم تقوم حجج الله وبيناته، وهم خلفاء رسول الله ﷺ، المجددون لسُنته ﷺ خلقاً وعملاً وقولاً وحالاً واعتقاداً، وإليك صفاتهم وسمتهم وحليتهم التى جملهم الله بها، قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ البقرة ١٣٨.

* * *

صفات العلماء

١ التواضع لله تعالى

التواضع لله تعالى فى كل حال، خصوصاً عند رواية العلم أو بيانه بالكتابة أو الدراسة، لأنهم يكونون نواباً عن سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ، وخلفاء عنه ﷺ وهى أكمل علامة للعلماء، لأنها تدل على حقيقة الخشية من الله تعالى، وقد حصر الله تعالى الخشية فى العلماء، والتواضع من صفات رسول الله ﷺ، وهم خلفاؤه عليه الصلاة والسلام، والعلم إدراك المعلوم بوجه ما، فمن عرف نفسه وعلم ما يجب عليها لربه، وعلم من عناية الله به ومننه عليه، كيف يتكبر أو يعجب بنفسه! والكبر والعجب علامتان للجهل، واجتماع الضدين مستحيل، فمن ادعى العلم ولم يتواضع فهو عالم بعلوم إبليس، نعوذ بالله من ذلك.

٢ الحلم والأناة

لأنهما خصلتان يحبهما الله تعالى، وإذا تجرد منهما العالم هلك لأنه يتصف بالحماقة والعجلة، فالعجلة توقعه فى الخطأ، والحماقة تنفر منه الخلق والحق فيكون ضاراً، وقد يبتلى، إذا لم يتصف بالحلم والأناة بالإعجاب برأيه والتعصب له فيجادل من خالفه، ويؤيد رأيه بالحجج ولو كان باطلاً، حتى يقع فى تحريم الحلال وإباحة الحرام والحكم عليه بغير ما أنزل الله، وقد تبلغ به الحماقة والعجلة إلى لعن المسلم وسبه وقذفه، والحكم عليه بالردة أو بالفسوق أو بالزندقة، كل ذلك لإعجابه برأيه، وليس هذا بعالم عندنا وإن كان خزانة علم، قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ الجاثية ٢٣، فنعوذ بالله من علم هو عين الجهل، بل يكون الجهل أقرب إلى الخير منه، لأن الجاهل يسعى ليتعلم.

٣ إخفاء الحكمة إلا عن أهلها

من أكمل صفات العلماء أن يعلموا كل فريق من الناس ما لابد لهم منه، ويخفوا الحكمة إلا عن أهلها كما قيل: (لا تمنعوا الحكمة أَهْلَهَا فتظلموهم، ولا تعلموها غَيرَ أهلِها فتظلموها)، ومن علم الحكمة غير أهلها من العلماء فتح على نفسه باباً من الشر، وعلى المسلمين باباً فى الفتنة. وتعليم الحكمة لغير أهلها يجعل من لم يتأهلوا للعلم ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ الروم ٧، ينكرون أحكام الله وأحكام رسوله، ويحصل لهم الريب والشكوك، وربما كذبوا الله ورسوله، فالعالم الربانى يُعلِّم الناس على قدر عقولهم، كما قال رسول الله ﷺ: (خَاطبوا النَّاس عَلَى قَدر عُقُولْهم)، وقال ﷺ: (أُمِرْنَا بمداراةِ الناس) وقال ﷺ: (إن مِنَ العلم كَهيئةِ المكنونِ لا يعرِفه إلا العُلماءُ بالله، فإذا ذكروه أنكره أهلُ الغِرَّةِ باللهِ)، فمن أباح لطائفة من المسلمين علماً ليسوا له أهلاً فقد أخطأ آداب العلماء.

٤ السكينة والرحمة

السكينة والرحمة، فإن السكينة دليل على التمكين وبرهان على الرسوخ فى العلم، بخلاف

الانـزعاج والرعونـة وعدم التروى، فإنهـا دلائل على عدم البيان والـتحقق، ثم إن الرحمة من أخـص صفات العلماء لأن العـالم وارث سيدنـا ومولانا رسـول الله ﷺ وأجمل صفات سـيدنا ومولانا رسول الله ﷺ ما أثبتها الله تعالى له صلوات الله وسلامه عليه بقوله: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة ١٢٨، وبقوله سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ آل عمـران ١٥٩، وقوله سبحـانه وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم ٤، والعالم نجاة العالم، فإذا نزع الله الرحمة من قلبه نزع معها النفع بالعلم، وصار العلم من النقم بعد أن كان أعظم النعم، وقد كان إبليس من كبار العلماء ولم يمنح الرحمة فأهلكه علمه. قال سيدنـا عمر بن الخـطاب رضي الله عنه: (تعلمـوا العلم وتعلمـوا للعلم السكـينة والحلم، وتـواضعوا لمن تتعلـمون منه ليتـواضع لكـم من تعلمـونه، ولا تـكونـوا من جـبابـرة العلماء فلا يـقوم عـلمكم بجهلكـم). فالعالم الـذى منحه الله السكـينة والرحمـة هو العالم الـربانى الـذى أثنى الله عليه ومدحه.

٥ العمل بالعلم

من أجل علامـات العلماء الربـانيين العمل بـالعلم فى السر والجهـر خشيـة من الله تعالى، والأخـذ بالعزائم ولو كان فى ذلك ما تكرهه نفوسهم أو تتألم منه أبدانهم أو أبدان من يحبونهم إرضاءً لله تعالى، وخشـيةً منه سبحانه، بـأن يقوم بالعمل على الـوجه الأكمل غير متأول لحظ خفى فى نفسه، ولا يأخذ بالرخص من غير أسبابها، والأولى للعالم أن يتحرى العزائم وينهج على المنهج الوسط لأنه مسئول عن حقين: حـق واجب على نفسه لله، وحق أوجبه الله عليه لخلقه لأنه إمام لـلمتقين وقـدوة للمؤمنين. واقتـداء النـاس بعمله أشـد من اقـتدائهـم بقوله، فليتق الله ربه وليراقبه فيما أوجبه الله عليه خشية أن يزل فيزل بزلته العالم أجمع، كما قيل عن رسول الله ﷺ: (زَلَّةُ الْعَالِمِ زَلَّةُ الْعَالَمِ) وعن سيـدنا عبـد الله بن عمر رضـى الله عنهما قال: قـال رسول الله ﷺ: (قَـليلُ الْعِلْمِ خَـيْرٌ مِنْ كَثيرِ الْعِـبَادَةِ وَكَفَـى بالمَـرْءِ عِلْماً إِذا عَبَـدَ اللهَ عَزَّ وجَلَّ، وَكَفَـى بالمرْءِ جَهْلاً إِذَا أُعْجِبَ بَـرأيِهِ) وإلا فمتى يكـون العالم حقيقة إذا نـزعت خشية الله من قلبه فترك العمل بالعزائم وفتح أبواب الحيل العلمية لجمع الفانى أو لتولى المناصب؟ لعمرى إن هذا جهل المبدأ والمعاد، ونسى يـوم الحساب فجهل ما ينفع وعلم ما يضر، وليس هذا بعالم عندنا.

٦ الحكم بالعلم لا بالهوى

التحفظ من أن يرى رأياً فيحكم به من غير أن يثبت من أنه حكم الله تعالى وحكم رسوله ﷺ، أو أنه مأخوذ بالاستنباط من الكتاب والسُنة، أو من عمل أئمة السلف، أو له نظير وأشباه من أعمالهم رضوان الله عليهم، فإن حكم برأيه غير مستند إلى بينة أو حُجة قائمة أو سُنة ماضية فقد حكم بالهوى، والعالم من حكم بعلمه لا بهواه.

٧ سد باب الذرائع والفتن

الاجتهاد فى سد باب الذرائع والفتن، وإراحة أفكار المسلمين من الاشتغال بما يضر ولا ينفع، الأمر الذى سبب تفرقة المسلمين ووقوع العداوة والشحناء بينهم، وأنساهم ذكر الله والعمل بكتابه، بل أنساهم ذكر الموت وما بعده، بل وجعل غير المسلمين يظنون أن الدين الإسلامى مؤسس على تعصب لأشياء لا حقائق لها.

ألتمس من إخوانى أن يمنحونى عفواً وعذراً إذا أن خرجت عن التوسط فى هذا الموضوع الذى أرى له فى قلبى حرارة، وفى نفسى وجداً لما ألَمَّ بالجماعة والوحدة والمنعة من نتائج ما أبينه لكم.

أول بلاء حصل للمسلمين، وأعظم دسيسة دسها إبليس بيننا شواظ نار التفاضل. ظهرت تلك الفتن فى عصر الصحابة رضوان الله عليهم، ولكنها كانت باباً من أبواب التنافس فى المسارعة إلى الخير، فكانوا فى عصر رسول الله ﷺ يفضلون أبا بكر فعمر فعثمان ويستمع ذلك رسول الله ﷺ فلا ينكر عليهم، ولكن الشيطان لعنة الله عليه يئس أن يعبده من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أو أن يعبد المسلم غير الله، فشد خيله ورجله ليوقع بينهم العداوة والتفرقة والاختلاف فى الرأى والفكر، فدس بعد انتقال رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى دسيسة التفاضل بينهم رضوان الله عليهم، ودخل بها عليهم من تأويل بعض آيات كتاب الله وأحاديث رسول الله لمعانٍ خاصة تناسب ما قام فى النفس، حتى سُلت السيوف بينهم رضوان الله عليهم، وتبادرت الرؤوس كالحنظل نفعنا الله بهم، واشتد التعصب من كل فريق لمن فضله، حتى تفرقت الجماعة، وتشعب الأصل الواحد، واختلفت الآراء والمذاهب

والاعتقادات، وإن كان أكثر الخلاف لفظياً إلا أنه أثر فى قلوب العامة فكان ما تعلم، ولست فى صدد بيان الفرق المختلفة وشرح أصولهم، ولكنى فى مقام تنبيه القلوب إلى الاجتماع بعد الفرقة، والائتلاف بعد الاختلاف.

❊ ❊ ❊

ما أنتجه الاشتغال بالتفاضل

أيها الحاكمون على أن فلاناً أفضل من فلان، هل حكمكم هذا على ما عند الله؟ أم على ما عند أنفسكم؟ فإن كان على ما عند الله تعالى، فذلك ما لا يحكم به إلا الله تعالى، وإن كان على ما عند أنفسكم فهذا شئ خاص بأنفسكم قد يكون عن حظ وهوى، وتكون الحقيقة عند الله غير ذلك، فإن كان حقاً حصلت لكم النجاة، ولم يأمركم الله بأن تدعوا الناس إلى اعتقاد أن فلاناً أفضل من فلان، لأن ذلك ليس من الدين فى شئ، وإن كان باطلاً أرحتم أنفسكم من تحمل عقوبة الدعوة إلى الباطل، وقد نهانا رسول الله ﷺ أن نحكم على الله بأن هذا من أهل الجنة أو ما أشبه ذلك بأن نقول: نحسب أنه كذا، وقد سد رسول الله ﷺ هذا الباب سداً محكماً بأجلى مظاهر المبالغة فيه بقوله ﷺ: (لا تُفَضِّلُونِى على يُونُسَ بْنِ مَتَّى) تنبيهاً لقلوب المؤمنين إلى أن الاشتغال بمثل هذا مفسدة للدين.

وإنما أنت أيها الأخ البار، عليك أن تقتدى بالعلماء العاملين، وتجتهد لأن تصل إلى مقاماتهم العلية، وتفوز بمشاهدهم القدسية، وتتجمل بأحوالهم الروحانية، وتتعلم علومهم الربانية، لا لتشغل نفسك بتفضيل زيد على عمرو، وبكر على خالد، لأنك بذلك حرمت المسارعة إلى الخير والمبادرة إلى الغنيمة والمعاونة على البر والتقوى، واشتغلت بما لا ينفع. وما الذى ينتفع به منك من أنت تفضله على غيره؟ إلا فتح باب المضرة عليه وتمكين الشيطان من قلوب المسلمين، وربما أدى ذلك إلى ما لا يرضاه الله تعالى ورسوله ﷺ.

أيها الشيع المتفرقة والطوائف المختلفة، تجمعنا جميعاً كلمة التوحيد، ويجمعنا الإيمان بالقرآن، والتصديق برسول الله ﷺ، وأعمال أركان الإسلام الخمس، والإيمان بيوم الحساب،

فما لنا كلنا واحد فى الأصول والمرجع والإيمان والإسلام، وما الذى فرقنا؟ لم نتفرق لاختلاف فى ديننا، ولا تفاوت فى كتابنا موجب للاختلاف، ولا لأن نبينا ﷺ أخفى علماً عن جماعة وأظهره لآخرين، لا والله إنما التفرقة للجهل بالله سبحانه وبرسوله ﷺ، وبكتابه وسُنة نبيه، ولطمع فى الدنيا ورغبة العلو فيها، وأمل فى البقاء الفانى، ومنافسة فى السيادة والمجد والشرف، قف أيها القلم لا تتجاوز وأنت تكتب فى الأدب حدود الأدب.

هذا ما أنتجه الاشتغال بالتفاضل، وهناك أسباب أخرى تليه ليست بأقل منها أوجبت التفرقة والنفور والعداوة والشحناء، ما هى وممن هى؟ هى فتح باب الفتن بالتكلم فيما سكت الله عنه، وسكت عنه رسوله ﷺ رحمة بالمسلمين فلم يحرمها، وأخبر ﷺ أن الورع اتقاؤها، فلم يحكم أنها محرمة لأن الورع من أخص صفات الموقنين، ومن أعمال القلوب التى يهب الله عليها رضوانه الأكبر، ومن الذى قام بها؟ قام بها أدعياء تحصلوا على قشور من أحكام الشريعة المطهرة، فلم تقع بهم عين اليقين على حقيقة العلم، ولم يطلعوا على حكمة الأحكام، ولم يذوقوا حلاوة لب اللباب، ولم يعلموا أن محل نظر الله تعالى القلوب، وأن الخير كله فى عملها، وأن القرب كله متوقف على التخلق بأخلاق الله، والتشبه بالروحانيين من عمار ملكوت الله، فتركوا الجواهر تحت أقدامهم، وانصبوا بكليتهم على فتح أبواب الشُبه والتى أُجملها فيما يلى:

١ التشنيع على الذكر والذاكرين

خذ لك مثالاً أو مثلاً: إذا رأوا جماعة يذكرون الله فى بيت من بيوته قاموا فذموا وحكموا أن ذلك من البدع، وإذا سمعوا رجلاً أعجمياً فيهم لا يحسن النطق بكلمة التهليل أو بالاسم الشريف، أو سمعوهم لحنوا فى النطق بالذكر قاموا فرموهم بالضلال والبدعة ومخالفة الشريعة، وكان الأولى بهم لو كانوا علماء حقيقة، أن يعتقدوا أن اجتماع هؤلاء على ذكر الله واشتغالهم به عما سواه دليل على طمأنينة قلوبهم بذكر الله، كما قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ الرعد ٢٨، فجلسوا معهم ليتعلموا منهم طمأنينة القلب الذى هو جوهرالدين وروح الإيمان، ويعلمونهم بلطف ورحمة اعتدال اللسان الذى هو قشور بالنسبة لعمل

القلوب، ولكنهم لقلة علمهم وجهلهم بحقيقة العلم، وبأن العلم كله فى العالم كله، وبأنه ما من مسلم إلا وهو ممنوح من الله علماً خاصاً، من خلق أو يقين أو صدق أو إخلاص أو تسليم، أو غير ذلك من أبواب العلوم التى لا تحصى.

فيمرون عليهم مر السحاب إلى بيوتهم، ويتناولون القلم الذى هو سيف الفساد، ويسودون الصحف بالقذف والسب واللعن مما ينفر منه الحفظة أن تسمعه، حتى ينفروا منهم أهل التسليم الذين لو ألفوهم لكانوا أئمة لتسليمهم وصدقهم وإخلاصهم وتواضعهم، فينتج من ذلك أن الذاكرين يكرهون العلماء، ويرون أن العلماء أعداء الطريق وأهله، فتحصل التفرقة بين العلماء وبين المؤهلين للعلم من أهل التسليم، وما ذلك إلا من عمل الجهلاء المغرورين بما تحصلوا عليه من قشور العلم.

٢ الإنكار على قراءة القرآن فى بيوت الله

مثال آخر إذا جلس رجل فى بيت من بيوت الله يقرأ سورة الكهف، قاموا فأنكروا عليه ورموه بأن ذلك بدعة وضلالة وسبوه وقذفوه، وجهلوا أن الغيبة ذكر الرجل أخاه بما يكره ولو كان فيه، فجعلوا قراءة القرآن فى المسجد منكرة، وجعلوا الإصغاء بدعة وضلالة، مع أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتدارسون القرآن فى المسجد على عهد رسول الله ﷺ.

ولنفرض أن الصحابة لم يقرأوا سورة الكهف فى المسجد يوم الجمعة وأنها بدعة، فهل كل بدعة ضلالة؟ فكم من بدعة هى حسنة من الحسنات، وكم أحدث سيدنا ومولانا أبو بكر وسيدنا ومولانا عمر بن الخطاب وسيدنا ومولانا عثمان بدعاً هى عين السُنة. وما رآه المسلمون حسناً فهو حسن.

هذا والحكم أن صعود الإمام على المنبر يترك به افتتاح صلاة النافلة، وكلامه يوجب ترك الكلام، وكان الإمام مالك بن أنس يجلس فى المسجد يوم الجمعة فيسأله الناس فيجيبهم، ولا يترك الكلام حتى يتكلم الإمام على المنبر، وأصدق الحديث كتاب الله تعالى.

٣ ترك الحكمة فى الدعوة والموعظة الحسنة فى الإرشاد

ونحن نعتقد حق العقيدة أن غيبة المسلم فسوق وهى من الكبائر، وأن قذف المؤمن وسبه

من الكبائر، وأن الحكم بغير ما حكم الله من الكفر. تركوا الحكمة فى الدعوة والموعظة الحسنة فى الإرشاد، وفتحوا أبواب الشر على المسلمين، وشغلوهم بما يضر ولا ينفع.

إذا رأوا رجلاً تعلم الواجب عليه من الدين، ومنَّ الله عليه بعلوم اليقين كالحب والإخلاص والصدق والخشوع والرغبة والطمع والرجاء والخوف، واليقين الحق بالتوحيد، ومنحه الله الحكمة التى يمكنه أن يبينها بعبارة ليست بليغة، أو ليست موافقة للنحو والصرف، ولكنها تؤثر فى القلوب لأنها صادرة من القلوب، قاموا عليه فرموه بأنه جاهل أو بأنه كافر، كأنهم يرون أن العلم كله هو علم اللسان ولا علم غيره.

أنا أشاركهم فى أن من وهبهم الله تلك المنن، وأقامهم مقام الدعاة إلى الله، الأجمل بهم أن يُحصلوا ما لابد منه من علوم اللسان، ولكنى أعتقد أن صغير مواهبهم أجل وأعظم مما اكتسبه هذا المغرور بقشور العلم.

٤ الوقوع فى أكبر الكبائر حال الدعوة إلى ترك مكروه أو عمل مندوب

قد تشتد حماقة الرجل منهم وغضبه على أمر هين كترك العذبة أو كشرب القهوة أو شرب الدخان، حتى يقع فى أكبر الكبائر حال دعوته إلى ترك مكروه أو عمل مندوب وهو لا يشعر، وربما حكم بتحريم شئ وهو لا يميز بين معنى الحلال والحرام، وقد يحكم بنجاسة شئ وهو لا يميز بين الأنواع الطاهرة والأنواع النجسة، بل ولا الفرق بين نوع صفة النجاسة والطهارة، وكل ذلك من جهله بأسرار السُنة ومن جهله بنفسه وجهله بقدر علمه، وقد كان البلاء منهم على المسلمين أشد من البلاء على المسلمين من أعدائهم، فإنهم شغلوا المسلمين بالوقيعة، وملأوا قلوبهم ضغائن، وجعلوا الصغار يحقرون السلف الصالح، والكبار يحقرون كبار أهل عصرهم.

٥ مخالفة رسول الله ﷺ فى أخلاقه وسنته فى الدعوة

مثال آخر ما يحصل من بعض من نَصَّبوا أنفسهم للإرشاد أو انتسبوا للعلم عند الأمر بالمعروف أو النهى عن المنكر من الفظاظة فى الأخلاق، والغلظة فى الطباع، والسخف فى

القول، متدرعاً بحجة أن هذا من الدين وأن هذه نصيحة، وأن هذه الطريقة هى الطريقة الشرعية التى أمر الله بها، ويجهلون أنهم وقعوا فى كبائر لا تحصى، منها مخالفة رسول الله ﷺ فى أخلاقه، ومخالفة سُنته فى الدعوة، وتنفير عباد الله ووقوعهم فى بغض الدين وبغض أهله، وظنهم أنهم أحسنوا، وربما كان الذى يدعون إليه من الأمور المرغب فيها، أو كان الذى ينهون عنه خلاف الأولى. فعجباً كيف يلقى الإنسان بنفسه فى الهاوية وهو يظن أنه يحسن عملاً؟ ما ذلك إلا من جهله.

* * *

من مضار الجهل فى اتباع الطريق

ومن الدعاة الجهلاء من يجلسون فى وسط العامة، فيذكرون اسم ولى من أولياء الله، ويبثون عنه الأقاصيص المفيدة أنه ينفع ويضر، وأن من اتبعه يكثر ماله وأولاده، وأن من زار قبره تقضى حوائجه ويموت أعداؤه، ويذكرون لهم من الكرامات ما هو حق وباطل حتى يرغب الناس، فيكون الضرر بذلك من جهتين، من جهة أنهم يتبعون طريقه لعاجل فَانٍ فيكونون ممن يعبدون الله على حرف، ومن جهة أخرى أنهم يتبعونه لينتفعوا به من الجهة التى لا يمكنه أن ينفع نفسه ولا غيره لأن النافع هو الله، ويحرمون النفع من الجهة التى ينتفع منها لأن الله أقامه سبباً للنفع، وهى جهة تلقى العلوم وفهم فقه القرآن الشريف، وتزكية النفس، وفهم أسرار التوحيد، وكشف حكم الأحكام، والتجمل بعلوم اليقين مما به السعادة الأبدية التى لا تذكر الدنيا فى جانبها بشئ إلا كما يذكر العدم مع الوجود. وقد يحصل ضرر ثالث لا يقل عن هذين الضررين، وهو أن يكون الرجل الذى يدعون إليه متوفى وليست له كتب علمية ينفع بها من يقتدى به، فيحصل الضرر لمن اتبعه بحرمانه من طلب الرجل العالم الذى جعله الله نوراً، والانتفاع بعلمه والاقتداء بعمله.

وقد كثرت تلك الطوائف وعم الضرر بهم، حتى صار أكثر العامة إذا اتبع طريقاً فكثر ماله وأولاده فرح واعتقد أن هذا من اتباعه للطريق، وإن قل ماله تشاءم وقال: هذا من الطريق، كما حصل فى عصر رسول الله ﷺ من الذين أنزل الله فى حقهم قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ الحج ١١.

١ أن من دعته نفسه ليقوم داعياً إلى الله أن يدعوها أولاً

كلنا جماعة المسلمين نعتقد أن الرجل العالم العامل إذا دعا إلى الله على بصيرة، وأقام حجج الله للقلوب فاطمأنت، وللنفوس فتزكت، وللأبدان فنشطت، أكرم الله من اتبعه بمعنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الأعراف ٩٦، فإن الله تعالى يكرم من اتبع الرجل الحى العالم العامل بأن يشرح صدره، وييسر أمره، ويمنحه الصبر واليقين، لأن الرجل يدعو إلى التوحيد الخالص، والأعمال الواجبة والمسنونة ومكارم الأخلاق وحسن المعاملة.

وأنوار التوحيد إذا أشرقت على قوم اطمأنت قلوبهم بربهم فرضوا عنه لكمال توحيدهم، أو صبروا لكمال إيمانهم. فالواجب على من دعته نفسه أن يقوم داعياً لله أن يدعوها أولاً هى إلى الله، فإن أطاعته ألزمها أن يتعلم ما لابد منه من معرفة الطريق، ويتحصل على ما لابد منه من الزاد والراحلة بالعلم والخلق والعمل، فإذا أطاعت وحصلت فليطالبها بالإخلاص والرحمة بجميع الناس، فإن قبلت بحث، فإن علم برجل أعلم منه بالله وبأحكامه وبأيامه، وأحاط علماً بسنن رسول الله، فليسع إليه ولو بالصين، ليزداد علماً ويكمل خلقاً ويزكو نفساً، ثم بعد ذلك يقوم فيدعو بالتى هى أحسن.

٢ ألا يعمل الداعى إلى الله لعرض يفنى أو غرض يزول

بعض من ينتسبون للعلم أو للطريق يجعلون العلم أو الطريق باباً من أبواب جلب الدنيا، حتى تكون أعمالهم الواجبة ليست لله ولكنها تزيناً للتوسع فى الدنيا. كل مسلم لا يحرم الهدية، ولا يحرم الصدقة، ولا يحرم أن يسأل الأخ أخاه ما لابد له منه منحة أو قرضاً، وأولى الناس بهذا كله هم العلماء والمرشدون الذين أحسنوا التوكل على الله تعالى، وتركوا الأسباب توكلاً على مسبب الأسباب، واشتغلوا بتعليم العلم النافع أو بإرشاد النفوس لسبل الخير ودلالة الخلق على الله وعلى ما يقرب إليه سبحانه، وما ينال به العامل الفوز فى روضات الجنان.

إلا أنى أرى العالم أو الداعى إذا تشوفت نفسه إلى الشئ من الناس لأنه يعلمهم، أو

طلب الشئ لنفسه منهم لأنه يعلمهم، أو أن المرشد إذا تشوف أو طلب لأنه يرشد، خرج من الدنيا بغير ربح، ويُخْشى عليه أن يضيع منه رأس المال أو بعضه، ولكن إذا تشوف للشئ لاحتياجه له، أو طلبه من أخيه كما أنه يرى فى نفسه لو سئل عما فى يده لأعطاه لحصول كمال المحبة والتعاون على الخير، لا يكون ذلك نقصاً فى حاله، ولكن بعض الناس يرى الأكمل مجاهدة النفس، وأن الأفضل أن الإنسان الكامل لا يسأل ولا يرد، ولا بأس بأن يسأل عند الضرورة، لا لأن له حقاً فى نظير التعليم أو الإرشاد، بل لأن أخوة الإيمان جعلتنا كرجل واحد، وأن كل غنى منا خزانة للجميع.

فعلى إخواننا الذين منحهم الله النشاط للسياحة فى الأرض، ووهب لهم لسان حكمة، أن يطهروا قلوبهم لله عند دعوة إخوانهم إلى الله عن أن يكون العمل لعرض يفنى، أو غرض يزول، وليتحققوا أن هذا العمل الشريف هو عمل الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، ولا ينبغى أن يعمل عمل الرسل كلب من كلاب الدنيا، وليغاروا على قلوبهم وأبدانهم أن تستبدل رضوان الله وفردوسه الأعلى ومعية النبيين والصديقين والشهداء بمتاع يفنى وتبقى عقوبته، ويزول وتبقى تبعته، إن هذا لهو الخسران المبين.

إن المرشد الذى جعل الله له نوراً فى قلبه، وآتاه من لدنه علماً، ووهب له لسان الحكمة ومواهب المعرفة، لو أن الناس قدموا له نفائس أموالهم وقبلها منهم لكان ذلك قليلاً فى جانب علم سر من أسرار كتاب الله، أو فِقه حكم من أحكام الله، أو تزكية النفس. ومع ذلك فإنه ينزه قلبه أن يَقْبَلَ من الناس، أو يُقْبِلَ عليهم بقلبه لغير الله تعالى، فالفقير فى قلبه أجل وأعظم من ملوك الأرض، وإن دارى غيره.

٣ أن يسعى لتلقى العلم دون التعصب لشيخه

إخوانى من أكمل آداب المؤمنين، إذا كان المؤمن يروى العلم عن رجل ولم يكن فقيه القلب، ورأى رجلاً عالماً آخر ولو كان لا يحفظ العلم أو كان أصغر سناً وشهرة، فعلى الأخ المؤمن الذى يروى العلم عن الرجل أن يسرع إلى هذا العالم فينتفع منه، ويترك التعصب لمن يروى عنه العلم، لأن ذلك من سُنة السلف الصالح. كان سيدنا ابن عباس رضى الله عنهما

يجلس على باب سيدنا سلمان ﷺ خاشعاً ينتظر خروجه ليسأله. وكان أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ يرجع إلى رأى ابن عباس وهو أصغر الصحابة سناً.

ودخل أحد أصحاب رسول الله ﷺ البصرة، فقال أصحاب الحسن البصرى: هلم بنا نسمع كلام رسول الله ﷺ من صاحب رسول الله ﷺ فتوجه معهم حتى وصلوا إلى الصحابى ﷺ، فقال له الحسن أسمعنا يا صاحب رسول الله كلام رسول الله، فحدَّثهم ثلاثة عشر حديثاً، فقال له الحسن اشرح لنا كلام رسول الله يا صاحب رسول الله، فقال الصحابى: إنما أنا حامل علم. فقال له: أتسمع منى؟ قال: قل يا بنى. فابتدأ يروى له الحديث ويبين ما فيه من الفقه، وكان الصحابى ﷺ على وسادة فنزل عنها وجلس على الأرض بين يدى الحسن، ونظر إلى أهل البصرة وقال: عجباً لكم! بين ظهرانيكم هذا وتقصدونى!

ولما دخل محمد بن إدريس الشافعى ﷺ مدينة بغداد يطلب العلم بعد أن سمع الموطأ من مالك بن أنس ﷺ، لقيه أحمد بن حنبل ﷺ فعلم ما منحه الله تعالى من الفقه والنور، فكان يركب الشافعى على دابته ويمشى فى جواره، فكان يقابله إخوانه متعجبين منه ويقولون: يا ابن حنبل، تترك سماع الحديث بالسند الأعلى وتسمعه بالسند البعيد؟ لأن ابن حنبل كان يتلقى مع إخوانه عن العلماء الذين هم فى طبقة مالك ﷺ وفوق طبقته من الرواية، فإن أعلى سند لمالك ﷺ وأرضاه، مالك عن نافع عن سالم مولى بن عمر عن سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهم عن رسول الله ﷺ، فيكون سند الإمام الشافعى ﷺ بالنسبة للرجال الذين يتلقى عنهم الإمام ابن حنبل سند بعيد، فكان يقول ابن حنبل لإخوانه الذين يتعجبون من خدمته للشافعى: لا تتعجبوا، فإنى إذا فاتنى تلقى الحديث بالسند العالى القريب أتلقاه بالسند البعيد، وإن فاتنى فقه هذا الفتى لم أنله من غيره.

وهكذا كان العلماء رضوان الله تعالى عليهم، إذا بلغهم أن الله منح الفقه لمن هو دونهم سناً وحفظاً هاجروا إليه، وتلقوا عنه متواضعين رغبة فى رضوان الله تعالى، ومن علم أن الله منح الفقه لعبد من عبيده وإن كان أقل شهرة وأجهل نسباً وأصغر سناً، بل ولم يمنح الوسعة فى

علوم اللسان، فإن الفقه علم من علوم القلوب لا علوم الألسنة ولم يبادر إليه ليتفقه على يديه، ويتواضع لله فى ذاته ولو كان أكبر العلماء، فقد فاته خير كثير وحُرِمَ أسرار الحى القيوم.

هذه سُنة السلف الصالح وعادة الأتقياء البررة، وكذلك إذا تلقى بعضهم الطريق عن شيخ له وأمره بالأعمال البدنية فعليه أن يسعى للعالم ليتعلم منه ما لابد للمسلم منه، وإذا علم أن رجلاً يعلم العلم ويسلك بالناس على الطريق المستقيم، ويزكى النفوس، ويبدل الأخلاق السيئة بالأخلاق الجميلة بالعلم والعمل والحال، فالواجب عليك يا أخى أن تسرع إلى اتباعه والاقتداء به.

الفصل الثالث

آداب الدعوة إلى الله

١ أن يكون الداعى إلى الله حكيماً رحيماً

ينبغى أن يكون الداعى إلى الله تعالى حكيماً رحيماً حريصاً على النفوس، مُعتقداً عند الناس، مشهوراً باتباع الكتاب والسُنة والعمل بهما، متباعداً عما ينفر القلوب من كل الأعمال والأخلاق والأحوال، وأن يكون متمكناً من أصول التوحيد، عالماً بالدلائل والحجج التى أقامها الله على حقيقة التوحيد، طبيباً حاذقاً بأمراض النفوس ودوائها، خبيراً بمداراة الناس، فاهماً منزلة كل إنسان، له معرفة بسيمى الناس التى تدل على خفىِّ طباعهم وغرائزهم ومكنون أخلاقهم، لأن اختلاف تركيب الأعضاء وانحراف الأمزجة ووسعة الدنيا والوظائف والنسب والفقر والجهل والاحتقار، كل ذلك يغير سجايا النفوس، ولا يدرك ذلك إلا المتوسم.

٢ أن يألف الناس

فإذا توفرت تلك الدواعى أمكنه أن يألف الناس أولاً، متحملاً ما هم عليه من الجفوة والمطامع والجهالات حتى يألفوه، فإذا ألفوه دعاهم إلى الحق الصريح الذى ينفع العامة والخاصة، متحفظاً من تنفير الخلق بخلق سيئ أو بعمل منكر، أو بعلم لا تقبله العقول، بل يهتم أن يرغب الناس فى تأدية واجبات الدين بنشاط ومحافظة على أن تُؤدى موافقة للكتاب والسُنة، ثم يرغب الناس فى بر الوالدين، والإحسان إلى الزوجة والأولاد بالتربية، وصلة الرحم وإكرام الجار، ثم يرغبهم فى الوفاء والصدق وحسن المعاملة مما هو مجمع على أنه خير شرعاً وعقلاً، ثم يدعوهم إلى فعل النوافل من ذكر وصلاة وحج وصيام بعد الفرائض، ثم يرغبهم فيما يُقرب إلى الله من الإحسان فى القول والعمل والحال من المسارعة إلى النفع العام من النصيحة يوجهها لخاصة المسلمين وعامتهم، ثم ينقلهم إلى الفكرة والعبرة حتى يكونوا روحانيين عاملين للدنيا والدين والآخرة، وبعد ذلك يشرح لهم من أسرار الحكمة وعجائب القدرة ما به يزيد إيمانهم ويكمل توحيدهم.

وفى كل ذلك يتباعد بكل ما فى وسعه من أن يقع فى كبيرة أو صغيرة تنفر، لأنه إن حصل منه شئ من ذلك أضر نفسه وأضر المسلمين، أما ضرره لنفسه فلأنه وقع فى معصية الله، وأما ضرره للمسلمين فإنهم بين رجلين، رجل جاهل يحبه فيقلده وآخر ينكر عليه ويغرى بها الناس على أذيته ويشيعها.

٣ أن يجاهد نفسه

فالداعى إلى الله أشد الناس مجاهدة لنفسه، وأملك الناس لإربه، وليحذر أن يذل نفسه بشرهٍ أو طمعٍ، أو يحسد آخر، أو يسعى فى أذية أخ حسداً منه له، فإن ذلك مما يؤدى إلى التخلق بأخلاق إبليس لعنة الله عليه، ومن تخلق بخلق من أخلاقه أبعده الله عن منازل الإكرام.

٤ أن يجعل أهل صفوته الفقراء

الداعى إلى الله ينبغى أن يجعل أهل صفوته هم الفقراء، وإذا زاره فقير يلزمه أن يبذل له ما فى وسعه من البشاشة والإكرام والعطية بقدر ما يستطيع، لأن الفقراء السواحين هم ناشروا محاسن الرجال ومساوئهم، وهم ألسنة لك أو عليك، وإن بعض من لا علم لهم ممن يدعون إلى الله إذا رأوا الفقير أهانوه، وإذا رأوا الغنى عظموه، لا أقول لك أيها الأخ أنك إذا جاءك فقير وغنى يجلس الفقير على مراتب الكرامة ويجلس الغنى على فراش المهانة، أنزل كل واحد منهما منزلته، ولكن اجعل للفقير فى قلبك محلاً ومن بشاشتك نصيباً ومن مالك جزءاً، حتى يفارقك داعياً فرحاً، ومهد لعظيم القوم الفراش وحسن له الطعام فإن ذلك يسره، ويسره منك فأنت تكرم الفقير لتنال الخير من الله، وتكرم الغنى لتكتفى شره.

٥ ألا ينشر ما لا يليق بين الناس

بعض من لا معرفة له بالطريق إذا كان له إخوان فى بلد، وتوجه فوجد داعياً آخر يدعو لطريق آخر سول الشيطان لكل واحد منهما أن يقوم يجاهد فى سبيله بإشاعة الفاحشة على أخيه، ونشر ما لا يليق بين الناس، وادعى أنه يضر، ويدعو عليه فيقتله أمام العامة ممن

يعتقدون فيه، فيفسد أخلاقهم ويوقع العداوة بين المسلمين، ويكون داعياً من دعاة جهنم، فإن كان الآخر من أهل الجهالة كانت البلية ووقع النفور، وربما أدى إلى الخصام فالضرب بالعصى أو غير ذلك، كل ذلك حرصاً على إلههم المعبود الذى هو الدرهم والدينار، وجهاداً فى سبيل ربهم الذى هو الحظ والهوى، قال رسول الله ﷺ : (تَعِسَ عبْدُ الدرْهَمِ وَالدينارِ تَعِسَ وانتَكَسَ وَإذَا شِيكَ فَلا انتقَشَ) وقال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ الجاثية ٢٣.

٦ ألا يكون حسوداً لنظرائه

أشر بلاء على المنتسبين للعلم حسد بعضهم بعضاً، فإنك قل أن تجلس مع منتسب للعلم إلا ويأخذ فى تنقيص من هو نظيره أو من فوقه علماً، ويقيم الأدلة والبراهين على تحقيره، حتى تتمثل أنه لو حضر أمامه لقام إليه وضرب عنقه بالسيف، وبينما أنت جالس معه وإذا بذلك الآخر أقبل، فاستقبله ذلك المدعى العلم الذى كان يذمه من خارج الحجرة مطأطئاً رأسه منحنياً غاضاً بصره، معلناً بلسانه ما يكنه قلبه من التعظيم والسرور بتشريفه، ثم يجلس فيذكر لك محاسنه وعلومه ما يجعلك تتمثل أنه مالك فى درسه، فما تلبث إلا وقد خرج هذا الزائر فيلتفت إليك قائلاً: انظر إلى كيت وكيت مقبحاً ذاماً. فإن كنت تقياً تمنيت أن تكون زرت مقبرة أو جالست حيواناً أعجم، وإن كنت مثله خرجت فوقعت فيهما وشنعت، وذكرت كيف يكون الإنسان عالماً وهو متصف بأقبح صفة أوجبت لعن إبليس وطرده من رحمة الله، أعالم يجهل ما به القطيعة والبعد؟! ليسوا بعلماء ولكنهم يحاكون كالببغاء، وإنما العالم من علم الحق فاتبعه وعلم الباطل فتجنبه، وعلم قدر نفسه فسعى فى خلاصها.

٧ ألا يحرص على المال

مما يلزم مراعاته من الآداب الواجبة على من اتصفوا بالدعوة والإرشاد، أن يديموا جهاد أنفسهم من وجهة الدنيا فإنها مهواة القطيعة، ترى الرجل منهم مشهوراً بالكرامات منظوراً بعين الإعظام، يفد عليه الأكابر، وتبذل له الأموال إكراماً لانتسابه لولى من أولياء الله تعالى، أو لإحياء معالم طريقه، ويظهر حب المرشد بكل روحه وبدنه، والفناء فيه عن المال والأهل والولد والنفس قربة إلى الله، وقياماً بشكر النعمة التى أنعم الله بها عليه على يد

المرشد ومحبة فى الله ورسوله، ثم يكون الدرهم عنده خيراً ممن يتظاهرون بالفناء فيهم، ويحرص على المال لينفقه على نفسه وزوجته وأولاده، ويبخل به أن يقدم بعضه للمرشد أو أولاده أو أقاربه شكراً لله على النعمة، بل وربما بلغ به حب الدنيا إلى أن يبخل بها على إخوته وأرحامه، فتراه يبذل كل شئ إلا الدنيا، فيبذل لسانه بالمدح وجسمه بالخدمة، حريصاً على معبوده الدنئ من دون الله.

إليك عنى يا بطال، متى تدعى محبة الرجل وقد سكن فى قلبك حب الدرهم والدينار! متى تدعى الإخلاص للمرشد وأنت مخلص لحظك وهواك؟! تنشر ذكره لسلب أموال الناس. لو كنت صادقاً لصغرت فى عينيك الدنيا لنوال رضاه. هل لو أمرك أن تقيم غيرك مقامك فى الرياسة أو الخلافة عنه، أو فيما نلت من مشيخة السجادة، أو مشيخة الضريح، أو استغلال مال الوقف، هل ترضى منه؟ حاشا، بل ولا من غيره، وتحاربه وتدعى أنه ليس على شئ. فهذب نفسك وزكها أيها المريد.

٨ أن يتأدب إذا جمله الله بلسان الحكمة

يلاحظ الداعى إذا جمله الله بلسان الحكمة وألبسه حلة الجمع أن يتأدب بأدب معرفته بقدر نفسه، فلا يخطر على قلبه أنه رجل أو باب أو نائب أو خليفة عن الرجل، أو يشير أنه واسطة للرجل من الأمور التى يدعوه إليها حظ خفى، وخبث فى النفس ورعونة، وليعلم حق العلم أن هذا الفضل العظيم لم ينله لو لم يفز بنعمة الله عليه بمعاصرة الرجل، وبتوفيق الله له باتباعه، وبهداية الله له بفهم إشاراته وعباراته، خشية أن يكون الضرر به لعباد الله متحققاً، وذلك لأنه إذا أثبت لنفسه صفة، أو حصل له زهو وغرور بنفسه، ودعا الناس وتلقت الآذان عبارته فسكنت فى الأذن ولم تصل إلى القلب، فيحصل الإقبال من الخلق بقدر سماع الأذن، ثم ما يمكثون إلا وينقلبون على وجوههم، وتحصل منهم المضرة، وربما تعدت المضرة إلى المرشد الذى لو أنهم اقتدوا به لسعدوا ووصلوا ونجوا.

فتنبه أيا الداعى، ولاحظ تلك الآداب ملاحظة من سعى لنجاة نفسه ونجاة الخلق أجمعين.

٩ ألا يترك الأسباب تواكلاً

العلماء والمرشدون إذا دعاهم داعى اليقين من قلوبهم أن يشتغلوا بالنفع العام ويتركوا الأسباب توكلاً على مسبب الأسباب، كان ذلك حسناً إذا لم تحصل الغفلة للقلوب عن حسن النية فى البداية، وصدق العزيمة فى القصد، فتميل القلوب إلى طلب الدنيا بالتردد على أبواب الملوك وزيارة الأغنياء والتجمل للخلق. وعلى الداعى إلى الله إذا كانت بدايته حسن التوكل على الوكيل الأكبر سبحانه وتعالى، واعتراه ما ينقص هذا المقام فى قلبه، أو يجعله يلتفت إلى الخلق ويطمئن بقلبه إليهم، أن يجاهد نفسه ليرتقى إلى مقامه الذى نزل عنه، أو يرجع إلى الأسباب خشية أن تخرجه الغفلة إلى الخروج من التوكل على الله والثقة به إلى التوكل على غيره وثقته بالخلق، ويظن المسكين أنه من أهل مقام التوكل مع سكون نفسه إلى الخلق وطمأنينة قلبه بهم، كما فعل كثير من أهل الصُفة رضوان الله عليهم، فإنهم تركوا التجريد وقاموا فى الأسباب محافظة على مقام التوكل على الله فى الأمرين، ومنهم من تولى الولايات.

ولا ينسى تلك الآداب والتزكية للنفس إلا من حُجب، وكان من الذين أذهبوا طيباتهم فى حياتهم الدنيا، وسبب ذلك من دسائس الشيطان، فإنه يزين له الراحة والسيادة والتلذذ، ويفتح له أبواب التأويل الناتج عن خفى الحظ ودقيق الهوى ولقس النفس. فعلى المستبصر أن يزن نعيم الدنيا ونعيم الآخرة، وعمر الدنيا وعمر الآخرة ويتدبر، ولا يكون كالمجنون الذى يلقى بنفسه من شاهق الجبل ليستريح من تعب الانحدار على الطريق الموصل إلى الأرض، فلا يصل إلى الأرض إلا ممزقاً، وكذلك الذى يستبدل الدنيا بالآخرة ويرضى بتلك اللذة العاجلة، كأنه تعجل بنفسه السقوط فى الهاوية.

١٠ أن يكون عالماً بأحكام الشريعة وعلوم النفس

إذا كان المرشد عالماً بأحكام الشريعة وعلوم التوحيد، وعلوم النفس وطرق تزكيتها وتخليصها وتحليتها، كان الإمام الحجة الثبت، مرجع السالكين ومقصد الراغبين، والواجب على من تعلم علوم الأحكام وفنون الكلام أن يتبعه ليتعلم علوم التوحيد، ويزكى نفسه

بصحبته، ويطهر أخلاقه بالتسليم له، وعلى السالكين من أى طريق أن يتبعوه ولو أنهم تكملوا بالرياضة والتزكية وطهرت أخلاقهم ليذوقوا باتباعه حلاوة التوحيد ولذة التنزيه والتشبيه، وتنكشف لهم إشارات القرآن الشريف، وحكمة متشابهه ونور محكمه، وتظهر لهم أسرار حقيقة ذاتهم وغيب صورتهم، وتفك لهم مرموزات حقيقة أنفسهم مما يحلو به الحال ويحسن به المآل.

أما إذا كان العالم يعلم الأحكام وفنون الكلام، فالواجب عليه أن يعتقد أنه أوتى قليلاً من العلم، وأن ما تحصل عليه لا ينتج المطلوب من كشف أسرار الآيات، وانبلاج أنوار البينات، والتخلق بأخلاق الله، والخشية من الله، والواجب عليه أن يسعى بالبحث عن رجل زكت نفسه وطهرت أخلاقه، وكمل يقينه بيوم الحساب، وصار على مزيد من الإيمان ليتهذب على يده، ويتجمل بالأخلاق بصحبته، ويتمرن على الأجمل من العمل والمعاملات والقول، ليفوز بالسعادة الحقيقية.

١١ أن يبادر إلى العالِم فيما يجهل

الداعى الذى يجهل بعض مسائل فى أحكام الشريعة، أو فى الآيات الدالة على الذكر والتدبر، يجب عليه أن يبادر إلى العالم ويتبعه متواضعاً له ليتحصل على ما به كماله، ومن تواضع لله رفعه، ومتى كان كل واحد منا يسعى لنجاة نفسه فلا يبالى أن يسلك سبل النجاة ولو كانت على شاهق جبل، وأن يعد لها العدة التى يعتقد أنها تعينه على نجاة نفسه وحفظها، ولو باتخاذ الكلب والدابة وغيرها، وهذا فى نجاة النفس من توهم الموت، فكيف فى نجاتها من العذاب الأبدى؟

لعمرى... لئن تصور الإنسان هذا، لأنجى نفسه ولو بخدمة جاهل ليهذب أخلاقه. أما من غرتهم زهرة العاجلة، وعظمت فى قلوبهم الدنيا، ولقست نفوسهم برجس الرياسة والعلو بغير حق، بأن يكون عالماً أخذ شهادة الأزهر، أو خليفة عن الطريق الفلانية، أو مدرساً أو شريفاً أو ابن الولى الفلانى أو ابن الأمير، أو ورث من والده مالاً وشهرة فانطمست

بصائرهم، وأعمت تلك البلايا قلوبهم، فأنكروا فضل الله أن يناله غيرهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ الزخرف ٣١-٣٢، واستحقروا عباد الله فى أعينهم أن يؤتيهم الله فضله، وحرموا علم أنفسهم ومعرفة الأسرار الخفية فيهم، وتلذذوا فى تلك الدار الفانية القصيرة، حتى إذا جاءهم اليقين تمنوا أن لو عملوا الخير، ولات حين مندم.

❊ ❊ ❊

دعوة إلى الاقتداء بالسلف الصالح

فيا أيها العلماء والمرشدين، والخلفاء عن الطرق، وأبناء الأشراف، ورثة أهل العلم بالله والفضل، أنتم الأنجم فى أفق العامة، فإذا هوت تلك الأنجم كيف تكون حالة الناس؟ وإذا كسفت تلك الكواكب فبم يهتدى الناس؟! هلا اقتديتم بسلفكم الصالح فزكيتم أنفسكم، وجاهدتموها حتى أطاعتكم، فملكتموها قبل أن تملككم، فكنتم بدور هدى كما كان سلفكم، وأنجم دلالات كما كان آباؤكم ومشايخكم ومن سبقكم، وأئمة للمتقين من أهل عصركم وذريتكم، ولكن غركم علمٌ بظاهر من الحياة الدنيا لم تتعلموه إلا للتقرب به من الأمراء، ونوال الجاه فى الدنيا والوظائف العالية، وغركم نسب يطالبكم أن تتشبهوا بآبائكم وإلا كنتم ظالمين لأمهاتكم، وإلا فبحقك متى غرست بطيخاً فأثمر حنظلاً؟! هلا قذعتم النفس عن غيها؟ رحمة بذكرى من أسهروا لله عيونهم، وأجاعوا له نفوسهم، وجاهدوا فيه سبحانه حق جهاده حتى سخر الله لهم ملكه وملكوته، وجدد الله بهم معالم الكتاب والسُنة، ألا تخجلون أن توسموا بقوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ مريم ٥٩.

يا خلفاء الطريق إلى من تسيرون ولمن تعملون؟

يا خلفاء الطريق أنتم تسيرون مع من معكم إلى من؟ وتعملون لمن؟ فإن قلتم نحن سائرون إلى الله ونعمل لله، أقول لكم يا إخوانى: الطريق الذى سلك عليه السائرون إلى الله معلوم لا يجهل، معروف لا ينكر، فهل عليه سلكتم وعلى جادته نهجتم؟ ومن الميل عنه تحصنتم؟ إن كان ذلك فلم الاختلاف بينكم؟ ولم الشغل بالمنافسة فيما لا ينفع؟ عجباً لكم! لو أنكم على الطريق المستقيم والنهج القويم سرتم، وبحصون أمنه تحصنتم، لنزع الله ما فى صدوركم من غل، ولأشهدكم من جمال آياته وعجائب قدرته وغرائب حكمته ما به تبتهج أنفسكم فتسكن إلى الله، وتطمئن قلوبكم فتحب الله، وتلين أعضاؤكم فتعمل بطاعة الله.

الطريق المستقيم يا إخوانى أقرب الطرق، وهو كما قيل: من لمحة تقع الصلحة، وكما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ البقرة ١٨٦، وكما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ العنكبوت ٦٩، فتنبهوا إخوانى، وابحثوا بإخلاص وصدق عن الصراط المستقيم، والطريق القويم الموصل إلى الحق، الذى تنالون به النجاة من عدوكم والفوز بالنعيم الأبدى، فاسلكوا عليه مستبشرين بنعمة الله وفضل، فرحين بفضل الله ورحمته، محقرين للدنيا وزهرتها، معظمين لله سبحانه، راغبين فيما عنده من النعيم المقيم والبهجة الدائمة والسرور الأبدى، وإلا فالأولى لكم يا إخوانى أن تشتغلوا بالدنيا للدنيا، وتتركوا العمل للآخرة حتى يمن الله تعالى عليكم بسلامة القلوب وإخلاص النية، ويدلكم على الطريق المستقيم.

ولمن تعملون؟ إن قلتم لله، أقول لكم: إن كان العمل لله فلم تنشطون أمام الخلق وتكسلون فى الخلوة؟ بل فلم تتجملون أمام الناس وتعصون الله فى الخلوة؟ بل فلم تجملون ظاهركم وفى قلوبكم من الحقد والغل والحسد والهوى ما لو ظهر للناس لرجموكم وقتلوكم؟ كل واحد منا أعلم بنفسه من غيره، أنا إنما أكتب عما كان فى نفسى، ولا ينبئك مثل خبير، وإنما الدليل من سلك الطريق وعلم مفازاته وصواه، وأماكن الخوف منه والأمن، ورجع لإخوانه فرسمه لهم بتصوير العبارة أو بصورة الخطوط.

بل لم تذكرون الأعمال أمام الناس وتنشرون الخصوصيات التى بينكم وبين ربكم؟ هل أنت معصوم لم تفعل سيئة قط؟ لو كنت تعمل لله لأكثرت من ذكر مساوئك، ونسيت القربات وأخفيتها عن الناس. لو كنت تعمل لله لواجهك بأنوار جماله، وقربك لحضرة معيته، وصبغك بصبغته، وأطلق لسانك بالحكمة، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ الكهف ٣٠.

وكما قال الله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ يونس ٦٤، ولجملك بالجمال الذى جمل به من أطاع الله ورسوله بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ الأنفال ٢-٣-٤، ولكملك بالنعوت التى نعت بها أهل معية حبيبه محمد ﷺ فى كل كتبه المنزلة، سر قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ الفتح ٢٩.

❊ ❊ ❊

تنبيه للمريدين

فتنبه أيها المريد، واعلم أنك دخلت الطريق لتسير إلى مولاك، ولتخرج من هواك، ولتتحصن بحصون الأمن من مخالفة الله ورسوله، ومن وسوسة الشيطان الرجيم، ومن الاقتداء بخبيث لئيم، الحمد لله قد وضح الحق لذى عينين، فما بقى يا إخوانى إلا أن نتخلص من شباك حظوظنا وأطماعنا، ومن قيود هوانا وجهلنا، ونجتمع جميعاً لنتعاون على البر والتقوى، ونترك التعاون على الإثم والعدوان، ونسارع إلى مغفرة من ربنا ورضوان، كما قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ آل عمران ١٣٣ الآية، إلى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ آل عمران ١٣٤.

❊ ❊ ❊

إرشاد لأبناء الأمراء والأغنياء

وأنتم يا أبناء الأمراء والأغنياء، كأنكم رضيتم بالحياة الدنيا واطمأنت قلوبكم بها وأترفتم فيها، لو كنتم تعقلون لصعب عليكم التمتع بنعمة لم تجهدوا أنفسكم فى تحصيلها، ولم تعملوا عملاً نافعاً مبادلةً لها، صغرت نفوسكم حتى رضيتم أن تكونوا أقل من البعوضة التى تتكبر نفسها عن أن تأكل من رطوبات الأرض المتوفرة، فترتفع إلى الجو لتعمل وتأكل من عملها، عطلتم أعظم قوة أودعها الله فيكم، حتى صرتم والنبات سواء، يمر عليه النسيم برطوبته، ثم تطلع عليه الشمس بحرارتها، وتمده عيون الأرض بالغذاء والماء، أستغفر الله... لقد نقصتم النبات وظلمتم، لأنه يعمل أهم الأعمال، ينتج لنا الغذاء ومادتى الملابس والفرش وآلات العمارات والصنائع، وينفع بظله وطيبه ولونه. فإذا كان النبات يستنكف أن يكون مثالاً لهم.

أين تلك النفوس التى أولدتكم؟! كلنا نعتقد أنها كانت نفوساً كبيرة، عملت للدنيا حتى تحصلت عليها، وفكرت فى مراتب المجد فيها حتى ارتقت إليها، وعملت للنفع حتى أحبتها القلوب وسخرت لها الناس، هل أنتم أبناؤهم أو أنتم منهم؟ فإن كنتم كذلك، فأين المشابهة بين الفرع والأصل؟

تنبهوا ودعوا الترف، ولا تظنوا أن كمالات الإنسان مأكل ومشرب ومنكح وعمل كل ما يخطر على البال، تلك والله ملاذ البهائم، وسعادة أسفل الحيوانات كالخنازير والبوم والغربان، قوموا من نومة الغفلة، واستيقظوا من رقدة الجهالة، وكما ورثتم كنوز آبائكم فجاهدوا أنفسكم لتعلو هممكم، وتنالوا مزاياهم حتى تكونوا ذكرى لهم ويقتدى بكم من بعدكم، وَجِّهوا همكم إلى الأعمال التى ينتفع بها إخوانكم فى الدين والوطن نفعاً لدنياهم ودينهم، وإلا كنتم بلاء على الأمة فى الدين والدنيا.

أما بلاء على الأمة فى الدين فإنكم تجاهرون بترك الدين والاستهانة به، وعمل ما حَرَّم وترك ما أمر، فتستبدلون بالحج السياحة للتنزه فى بلاد أجنبية، تنفقون فيها ما أهلكم فى حاجة إلى جزء من الف منه، ووطنكم فى فقر إلى بعضه، وربما كان العمال الذين اكتسبتم بواسطتهم تلك الأموال يكاد الجوع يهلكهم، والبرد يقتلهم، والحر يمرضهم، وأنتم لا

ترحمونهم، ولا تعتنون لتحسين مستقبلهم ولا لتربية أولادهم، الرجل منكم لا يأمن على نفسه فى الأكل والشرب والمنكح والنوم إلا من ليسوا من أهله ولا من دينه ولا من وطنه، فيكون البلاء بهم أعظم.

أما البلاء بالمترفين على الأمة فى الدنيا، فإنهم لجهلهم بنعمة الأموال وغفلتهم عن قدر الاحتياج إليها، ربما أضاعوا ثروة آبائهم فى محرم، فانتقلت من أيدى أبناء الوطن المسلمين إلى أيدى الأجانب الذين هم ليسوا بمسلمين، فليت آباءهم كانوا عقماء ولم يخلفوا وراءهم هذا السوء، فتنبهوا، فإنكم لو تنبهتم نبهتم الأمة، لأنكم يمكنكم أن تفعلوا الخير بما مَنَّ الله به عليكم من الأموال، ولأن أكثر الناس يقلدونكم، فقوموا إخوانى بالأعمال النافعة كإنشاء المصانع والمعامل ودور الكتب، ومجالسة العلماء العاملين، وإنشاء المدارس للعلوم النافعة، وتربية أولاد الفقراء، وعمل المستشفيات، والمسارعة إلى تأدية فريضة الحج وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، والابتهاج بالأعمال الدينية، وإكرام العلماء والصالحين، لتكون لكم السيادة فى الدنيا، وتكون لكم السعادة فى الآخرة، والله أسأل أن يحفظنا من المعاصى والفجور، وينفعنا فى الدنيا والآخرة وينفع بنا آمين.

الفصل الرابع

آداب المتعلمين والمريدين

صحبة العلماء

معلوم أن الإنسان هو حيوان ناطق، وأنه إذا أُهمل صار أقل من أرذل الحيوانات، وأضر من الشياطين، وإذا تعلم وتربى رقى إلى أن يصير فى مقعد صدق عند مليك مقتدر، تؤانسه الملائكة الروحانيون، ويكون له فى الجنة ما يشاء، تتولى جميع شئونه الملائكة يدخلون عليه من كل باب بالتحية والإكرام، وإنما يصل إلى هذا المقام العلى بالعلم النافع، والعمل الخالص لذات الله تعالى، وتزكية النفس، والتخلق بأجمل الأخلاق، ولا يُنال هذا كله إلا بصحبة العلماء والأفراد الراسخين فى العلم.

فإذا ميزت أيها الأخ البار بين منزلة أعلى عليين وهوة أسفل سافلين، وتصورت أنك لا تبلغ تلك المكانة العلية، وتخلص من تلك الهوة والبلية إلا بالعالم الربانى العامل الروحانى، وفكرت فى الذى تحب أن تتقرب به إليه، وتقدمه له لتحل من قلبه محل الرحمة بك، والعناية والشفقة عليك والرعاية، وبذل ما فى وسعه لتخليتك من الرذائل والرعونات، وتحليتك بالكمالات، أظنك لو ظفرت بمثل هذا الرجل، وتحققت باليقين أنه هو المطلوب الذى به نيل المقصود، رأيت أن بذل مالك له شئ قليل، وقيامك بين يديه لخدمته أمر يسير. عن سيدنا معاذ ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال: (ليسَ مِنْ أخلاقِ المؤمِنِ الملقُ إلَّا فى طلبِ الْعِلْمِ)، وقال سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما: (ذَلَلْتَ طالباً فعَزَزْتَ مطلوباً)، وقال ﷺ: (خِيارُ شبابِكُمْ المتشبِّهون بشيوخِكم، وشرارُ شيوخِكم المتشبهون بفتيانِكم)، وقال ﷺ: (من تشبَّه بقومٍ فهو منهم)، وقال ﷺ: (هلاَّ سألوا إذا لم يعلموا، فإنَّما شفاءُ الْعىِّ السُّؤالُ)، وقال ﷺ: (حُسْنُ السؤالِ نصفُ العلمِ).

❊ ❊ ❊

آداب الطالبين للعلماء

فآداب الطالبين للعلماء، أن يعلموا حق العلم أن العلماء تُصحب لثلاثة أمور:

١ المحافظة على تحصيل علومهم وفهمها فهماً حقيقياً يطمئن به القلب، والسؤال منه عن كل ما وقف عن إدراكه الفكر، أو قصر عن فهمه العقل، ليبينوه بِمُثُل تقربه، وكشف ما لا يستبين للعقل بحُجة تقرره أو برهان يؤيده، ويلزم فى هذا القسم الأول أن يقيد ما يتلقاه فى بطون الدفاتر خشية من ضياعه أو نسيانه.

٢ التشبه بالعلماء الروحانيين فى أساليب عباراتهم، وطرق تعليمهم، وفنون استدلالاتهم، وجميل أخلاقهم، ولطيف سمتهم، وظريف هديهم، حتى يكون نسخة كاملة طبق الأصل، ولا يصل إلى هذا المقام العلى إلا إذا كان العلم مطلوباً لذاته، مرغوباً فيه للوصول إلى الحق سبحانه، وللعمل بما يرضيه جَلَّت قدرته، وللمعاملة التى يحبها تنزهت ذاته، لأن من تحقق بتلك الحقيقة تلقى العلم الحقيقى من العالم بالقول والعمل والحال، فإن العالم الربانى الوارث لرسول الله ﷺ قوله علم، وعمله من عبادات ومعاملات وحقوق لذاته علم، وأحواله من بسط وقبض وأُنس ووحشة وتواضع وعزة فى النفس وغير ذلك علم.

٣ العمل بما علمه من غير تأن، ولو كان فى العمل عناء لنفسه أو ضياع لماله وجاهه، أو فقد لعضو من أعضائه إذا اقتضى ذلك العلم، بذلك يعلمه الله العلم اللدُنى الذى لا يمكنه أن يتعلمه من غير الله تعالى، وليحذر أن يميل عن العمل بالعزائم فى خاصة نفسه ويعمل بالرخص والتأويلات التى تحتملها بعض ألفاظ الأحكام الشرعية، فإن فهم الرخص وفهم التأويل – وإن كان علماً – إلا أنه جهل إذا تعلم الرجل العلم ليتتبع الرخص ويعمل بالتأويلات الملائمة لحظه وشهوته وهواه، ومن قدم حظ نفسه على حظ ربه لم يخش ربه، ومن لم يخش ربه فليس بعالم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ فاطر ٢٨، فإن قال: إنى عالم. نقول: عالم بالحيل وفتح أبواب الذرائع.

❊ ❊ ❊

الأدب مع العالم الربانى

إذا كنت أيها الأخ البار اتبعت العالم الربانى فاصبر يا أخى على جفوته إن جفا، فإن للعلماء دلة على الطالبين وامتحاناً لأخلاقهم، واختباراً يكشفون به ما طوى عنهم من فطرهم، واعتبر يا أخى من التماس سيدنا ومولانا موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام من العالم بقوله: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ﴾ الكهف ٦٦، ففى لفظة: ﴿هَلۡ﴾ الاستفهامية دليل على أنه لا يكلفه ولكن يلتمس منه، وفى قوله: ﴿أَتَّبِعُكَ﴾ ما فيها من التملق للعالم تشعر بأنه جاء مقتدياً مأموراً ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾ الكهف ٦٦.

انظر يا أخى إلى مقام كليم الله ومنزلة ذى العزم، كيف تواضع للعلم وذل له وهاجر إليه، فإذا كانت هذه حالة كليم الله ﷺ فى طلب العلم والسعى للعالم، فكيف بك أيها الأخ؟ اعتبر بقول العالم له: ﴿إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾ الكهف ٦٧، وفى هذه العبارة من الدلائل، ونظر المتعلم بنظر المتبع الصغير ما فى ذلك، وتفكر فى تعليل ذلك بقوله: ﴿وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا﴾ الكهف ٦٨، لأن العالم الربانى العارف الروحانى، يعمل أعمالاً عن سر القدرة وعجيب الحكمة ينكرها العابد، فكيف بالنبى؟ وقد علم العالم أن الذى يكلمه من أولى العزم، وأنه سيدنا موسى بن عمران، وتحقق أن الأعمال التى يعملها منكرة عند العباد فضلاً عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وتأمل فى إجابة سيدنا موسى عليه السلام: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾ الكهف ٦٩، فكأنه أقره على أنه يمكنه أن يشهد الأعمال التى ينكرها ويصبر عليها، وأنه يطيعه إذا أمره بأمر لا يظهر له وجه الحكمة فيه.

هذا هو أدب الله تعالى الذى أدب به رسله صلوات الله وسلامه عليهم، فتأدب أيها الأخ الطالب بهذا الأدب مع العالم الربانى والعارف الروحانى والراسخ فى العلم المتمكن، وتيقن أن عمله علم وقوله علم وحاله علم، فما انكشف لك وجهه فاعمل به مطمئناً، واشكر الله على ذلك وعلمه لغيرك، وما لا ينكشف لك وجهه فاحفظه فى ذاكرتك أو مذكرتك، واخفه عن غيرك، وتأوله أو سلمه، حتى تنكشف لك حكمته من العالم، أو يجعل الله لك نوراً يورثك به علم ما لم تعلم، لأن الذين أخبر الله عنهم أنهم يخشون الله، يجب علينا أن نتحقق من آية

القرآن أنهم يخشون الله فى أقوالهم وأعمالهم وأحوالهم، ومواجيد قلوبهم، وفى الخلوة والمجتمع، وإلا فمن كان يخشى الله فى عمل ولا يخشاه فى غيره فليس بذى خشية.

❊ ❊ ❊

زلل العلماء

وإن للعلماء زلل كما قال ﷺ (اتَّقُوا زَلَّةَ العالِمِ وانتظِروا فَيئَتَهُ) فإذا زل العالم أمامك زلة بأن أخطأ فى حكم، أو احتد عند إظهار حق، أو اهتم بأمر من الأمور البسيطة، كأكل أو شرب أو لباس أو فراش أو ما أشبه ذلك، فغض بصرك وافترض أنك لم تر، واستر هذا الأمر، والأولى أن تنساه مرة واحدة حتى لا يخطر على قلبك، حتى يفئ العالم إلى الله تعالى، فإذا ذكر هذا الأمر أمامك مستغفراً، فاحذر أن تتحرك أو تتكلم خشية أن ينقبض صدره منك، واحذر أن تقلده فى شئ من ذلك، أو تنشر عنه هذا الأمر، وكن مُحافظاً على ما يجب عليك شرعاً، لا يبلغ بك الاعتقاد أن تراه معصوماً من الهفوات والصغائر، أو أنه مَلَك من الملائكة لا يشتهى الأكل والشرب والمال والملابس ولا يحب التحف، فينتج عن ذلك مضرتان:

١ أن ترى ما يحصل منه سهواً من النقائص كمالات، أو ما يقع من الصغائر طاعات، فيكون ذلك سبباً فى الحرمان من العلم، وهى مضرة التغالى فى التسليم.

٢ أنك إذا اعتقدت ذلك، وحصل من العالم ما ليس منزهاً منه ولا معصوماً عنه، صغر فى عينيك وانقبض صدرك منه وحرمت النفع به، وذلك لجهلك بمعرفة العلماء.

❊ ❊ ❊

تعظيم المرشد

أيها المريد كن على يقين أنك بصحبتك للعلماء الراسخين، لا تزداد فى كل يوم إلا حُباً فيهم، ورغبة وتعظيماً لهم مادمت قد منحك الله سابقة الحسنى، فقد يخطر على بالك أيها السالك المسترشد أنك صرت على علم إذا أنت غبت عن العالم زمناً ما، ولكنك بحضورك فى

مجلسه وبسماعك علومه تحتقر الدنيا أمامك، وتعظم الآخرة لديك إذا كنت سالكاً، فإذا كنت ممن أنس بمعرفة نفسه، وفتح له كنز حقيقته، وتناول من طهور أسرار معانيه، علت همتك عن الدنيا، وكبرت نفسك عن أن تشغلها بكون وأن تقف بها عند كون، واشتقت أن تجاهد نفسك سعياً وراء الفوز بالنعيم الأبدى، رغبة فى المكون سبحانه، وعَظُم الرجل فى قلبك حتى صار فى أعلى المراتب منك، تعظيماً للمقصد الأعظم، واحتراماً للغاية القصوى التى جعله الله سبباً لنوالها وميزاباً لفيضها وباباً من أبواب الوصول إليها.

وليس كل من صحبته ليرشدك هو ذلك الرجل، لا... الرجل لا يعرفه إلا أولياء الله، ولا يصل إليه إلا من أراد الله أن يوصله إليه، ولا يحبه إلا من أحبهم الله. سبق لك يا أخى حادثة سيدنا ومولانا موسى بن عمران مع العالم، هل وصل إليه إلا بعد أن أمره الله تعالى؟ وهل عرفه إلا بعد معرفة الله تعالى؟

تلك الآداب التى أكلفك بها أيها السالك إنما هى للعالم الربانى العارف الروحانى، الذى حققه الله بالخشية منه، وأخبرنا الله تعالى أنه عالم. إذا ظفرت به يا أخى، فاجعله روحك التى بها حياتك ونفسك التى بها قيامك، وإمامك الذى لا تخالفه، واعتقد أنك به تكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وبغيره تكون مع العامة الهمج الرعاع، وإن خفيت عليك معالمه وانمحت آثاره ولم تستدل عليه ولا على من استدل عليه، فاصحب من ينهضك حاله ويدلك على الله مقاله، وخذ منه ودع واعمل بعمله واترك، سلامة لنفسك من الآفات ومحافظة على دينك وآخرتك.

* * *

أسرار الرجال مناكير عند غيرهم

أيها المريد المخلص سارع فى مرضات العالم، وكن حكيماً لا تبح لغير نفسك أسراره، ولا تظهر لغير عقلك كمالاته، فإنك إن فعلت غير ذلك كنت مدعياً حبه وساعياً فى ضره، وربما ظهر له فنفر منك نفرة صرت بها محروماً، أو سَقَطْتَ من قلبه سقوطاً تصير به مبعوداً، لأنك إذا أبحت أسراره لغيرك، وأسرار الرجال مناكير عند غيرهم، ومقامات الرجال مستحيلة

عند من لم يؤهلهم الله تعالى لهذا العلم، فإن كنت تعلمت العلم لتنال السعادة، فاشكر الله على ما كشف لك من أسرار العالم، وعلى ما منحك من التسليم له والتصديق، وما فهمك من مرموزات إشاراته وحقيقة عباراته، وابخل بها على غير نفسك غيرة على الحكمة أن يعلمها غير أهلها، فإذا خالفت هذا وفتحت على الأستاذ باب الإنكار عليه، ونبهت ألسنة السوء إليه بما أبحته من علومه، وما أظهرته من أسراره، فأنت صديق جاهل، والعدو العاقل خير من صديق جاهل.

❊ ❊ ❊

حسُن اتباع العَالِم

من أكمل آداب المتعلمين للعلماء أن يجعل نفسه خادماً للعالم، وأن يرى أن كل ماله، وما من الله به عليه من العلم والجاه والمال والأولاد والإخوان، تحت تصرف العالم وإشارته، متحققاً بذلك، معتقداً أن ذلك نجاة له وسعادة فى الآخرة، ويرضى من كل شئ بالدون، ويجعل خير كل شئ مبذولاً للعالم، بحيث يكون مشتغلاً فى سره وعلنه باتباع العالم، والاقتداء به متباعداً عن مخالفته محافظاً على إكرامه وكرامته، وإذا رأى من نفسه غير ذلك اتهمها، وخشى أن توقعه فى الحجاب والغرور أو الغفلة، نعوذ بالله من ذلك، وليعمل ذلك كله ابتغاء وجه الله تعالى، ورغبة فى نوال فضله ورضوانه.

بعض المريدين يجهلون قدر الرجل، فيتبعونه لحظ عاجل من حظوظ الدنيا، أو يجعلونه وسيلة ليوهموا الناس وينالوا أغراضهم، أو للشهرة والسمعة أو لمداراة الناس، ومن هؤلاء تحصل المضار للرجل وللمخلصين من أصحابه، وهؤلاء أقرب إلى أهل النفاق منهم إلى أهل الإيمان، وقد ينتفع بعضهم فيتوب ويخلص، ومثل هؤلاء لا يخفون على العالم لأنه يعلمهم بسيماهم، ولكنه مأمور أن يأخذ بالظاهر، ويترك السرائر لله تعالى، ولكنهم يخفون على غير العارفين من المرشدين، وإنما التحفظ منهم يكون بالتنبيه على الخلق، لأن الذى يتساهل بالواجبات الشرعية وبآداب الطريقة، الأولىَّ هجره وطرده خوفاً من شره على الإخوان.

❊ ❊ ❊

وراثة أحوال العَالِم

بعض المريدين يعتقد فى العالم عقيدة لا ينبغى أن يعتقدها مريد سالك، وذلك مما يسمعونه من إشاراته القدسية وتلويحاته الروحانية، وكشفه لمرموزات مُثُل القرآن الشريف، فيعتقد المريد لقصر عقله أن تلك الإشارات والمرموزات خاصة بالعالم، ولكنى أبين له أن كل مريد صادق مستعد ومؤهل أن يرقى إلى أن يصير مجملاً بأخلاق الله، روحانياً كاملاً تُسلم عليه الملائكة فى الطرقات، وتنزل عليه البشائر والتحيات، كل ذلك بصحبة العالم والاقتداء به، والسعى فى تلقى علومه وأسراره، وكشف فهومه وأسراره.

أما من يعتقد فى العالم أنه هو المتجمل بتلك المعانى، المخصوص بتلك الإشارات دون غيره، فتلك العقيدة توقف المريد عن أن يقتدى بالعالم ويعمل بعمله، وعن أن تعلو همته ليترك الدنيا الغارة وراء ظهره، التى هى الحرص والتلذذ بالشهوات الحيوانية والأمل المضر، ويقوم عاملاً لله نافعاً نفعاً عاماً بقدر استطاعته، مجملاً نفسه بجماله الروحانى، ومجملاً جسمه بجماله الشرعى، وبذلك يرث أحوال العالم ويشهد مشاهده، قال ﷺ: (مَنْ أَحَبَّ قَوْماً حُشِرَ مَعهُمْ).

لم أقل لك أيها المريد أن نفسك تكبر مرحاً فى الأرض وغروراً واحتقاراً للخلق وتصغيراً، ولم أقل لك إنك تصل إلى مقامات المرشد فتنسى فضله أو تساويه، أو تغفل عن شكره، ولكنى أردت أن تكبر نفسك عن أن تدنس بالرذائل، وعن أن تشتغل بالسفاسف، وعن أن تطمع فيما يزول ويفنى، وعن أن تتلذذ بما تتلذذ به الخنازير والبوم والكلاب والنمل من المأكل والمشرب والمنكح والحرص. فلا ترضى إلا بالله رباً، ولا ترغب إلا فى النعيم الأبدى، ولا تستأنس إلا بعمل الخير الحقيقى، ولا تتلذذ إلا بكشف أسرار الكائنات ومشاهدة الآيات.

لم أقل لك إنك تصل إلى مقامات المرشد لتساويه فى شهرة وتعظيم، ومشابهة فى مأكل ومشرب وملبس، وعزة فى النفس، وإقبال وجوه الخلق عليه، لا... ولكنى أريد أن تساويه فى معرفته لنفسه وعلمه بحقيقته، وتخلقه بأخلاق ربه، ومشاهده القدسية ومواجيده العلية،

وفنائه عن نفسه، واحتقاره للدنيا ورغبته فى الآخرة، لا لملاذها الحسية بل لأنوارها وأسرارها وبهجتها الدائمة القدسية.

❊ ❊ ❊

إنما تعطى الحكمة لأهلها

ما بينته فى موضوع الآداب هو طُلبة الراغبين، والضيعة المنشودة للمخلصين، تتعطش إليه قلوب من تزكت أنفسهم، ويتمسك به المسارعون إلى الخلاص من يوم الحساب والفوز بنعيم الجنات وحقيقة الرضوان، لا يقع نظر مريد صادق عليه إلا تمسك به، وجاهد نفسه فى العمل به، وشرح الله صدره له، وأشهده بدائع حكمه، وكاشفه بالمواهب التى يناها من تمسك، وهو سخف عند الجاهل المبعود، وخرافات عند عمى الطرف المطرود، فعليك أيها المريد الصادق أن تخفى ما استطعت تلك الإشارات والحكم عن غير أهلها، الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾ يونس ٧، وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ آل عمران ١٨٥.

أيها الأخ الراغب فى النجاة من هول يوم القيامة، الطامع فى الفوز بالسعادة الحقيقية فى دار الكرامة، جاهد نفسك واقهرها حتى لا تقف عند هذا النعيم المحسوس واللذة العاجلة، واحذر أن تأتى يوم القيامة فتنادى مع من أبعدهم الله بقوله تعالى: ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ﴾ الأحقاف ٢٠.

إنى أيها الأخ ودَّكَ الله وأمدك وإياى بالهداية والتوفيق والعناية، بينت لك طرفاً مما يتأدب به العالم والمرشد والمتعلم والمسترشد من الآداب التى لو أُهملت لكان العالم جاهلاً، والمرشد مضلاً والمتعلم مفسداً والمسترشد مغروراً، وإنها لأنوار لا تشهدها إلا عيون البصائر، ولا تسمعها إلا آذان الضمائر، فبشرى لمن كان له سمع يسمع به، وبصر يبصر به، وقلب يفقه به.

❊ ❊ ❊

لا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين

ما لا يمكنك يا أخى أن تقهر نفسك عليه، أو لم تفقه المُراد منه، فتحقق أن ذلك يا أخى من لقس نفسك، فقم وتطهر ظاهراً بوضوء وباطناً بتوبة وندم، وتوجه إلى ربك مصلياً ضارعاً متبتلاً، حتى يمنحك الله ويمدك بما به تملك نفسك وتلين لك، واحذر أن تتعاصى عليك نفسك، وتنفر عن عمل القربات والمسارعة إلى الفوز بالغفران والرضوان، فتعينها على ذلك وتهملها، فإن ذلك مهواة البعد ومدارج القطيعة، أعيذ نفسى وأعيذك يا أخى من هذا، واحذر أن تقهر نفسك على عمل مَا تنفر منه مرة واحدة خشية أن تمل أو تفر أو تضل أو يحصل الغرور لنفسك، ولكن كن رفيقاً بها حكيماً، فرغبها وهون عليها.

احذر أيها المريد الصادق أن تجالس أهل البطالة والكسل، أو أهل الغرور والجدل، أو أهل الغفلة والفساد، أو المكذبين بيوم الحساب، إلا بقدر الضرورة الداعية والحاجة القاضية، بأن تضطر إليهم فيما لابد منه من مصالح دنياك وضروریاتك أو فى سفر، فإذا ابتليت بالاحتياج إلى أحدهم فدارهم، وتباعد عن مجانستهم بعد مجالستهم، فإن من جالس جانس ومن جانس شاكل، واعلم أن الطباع جذابة أكثر من المغناطيس فى جذب الحديد، فقد يجلس المبتدئ مع مخالفه فى المذهب والرأى والاعتقاد فيؤثر عليه، لأن المريد الصادق يسعى فى تزكية نفسه وحرمانها من حظوظها وشهواتها ليتجمل بالفضائل وهى تنافر حظوظ النفس وشهواتها، ويرغب فى نعيم الآخرة وهى غيب، والنفس تميل إلى المشهود العاجل، فإذا جلس مع أهل الغفلة ميَّلوه إلى المحسوس الملائم، وهكذا كل فريق مما ذكرته لك مريض بمرض مجانسته تُمرض النفس، أسأل الله تعالى أن يمنحنا اليقين الذى لاشك بعده، وأن يحفظنا من كفران النعمة وحرمان الرضا، ويجملنا بما يحب ويمنحنا ما نحب، إنه على كل شئ قدير.

الباب الخامس

فى تزكية النفس ووصايا للدعاة إلى الله تعالى

الفصل الأول

علاج أمراض النفوس

نتكلم فى هذا الموضوع على التأديب الذى يلزم أن يلاحظه المرشد فى إرجاع صحة النفوس لها، وعلى التأديب الذى يجب أن يقوم به المريد لحفظ صحة نفسه عليها، لأن المريد مطالب بواجبات عليه يجب أن يقوم بها لنفسه قبل كل شئ، لأن المريد أعلم بنفسه وأحرص على نجاتها وعلى تكميلها وفوزها، وكل مريد سلك الطريق لابد وأن يكون على علم من الأخلاق الجميلة والأخلاق السيئة، ما لا يعلمه غيره ممن لم يسلك الطريق، ومن آمن بيوم القيامة الإيمان الكامل كان أهم شئ أمامه فوزه بنعيم الآخرة، ونجاته من عذاب النار، ولذلك فإنك ترى المريد المخلص أشغل الناس بعيوب نفسه، وأحرص الناس على المحافظة عليها من الوقوع فى الأمراض أشد من حرص أهل الدنيا على صحة أبدانهم، وعلى حفظ أموالهم وحريمهم، بحيث أن المريد الصادق لو سقط سقطة أو زل زلة أو هفا هفوة، أو غضب أو احتد أو بخل بما لا يبقى، أو أسرف فيما ينفع أو تهاون فى واجب أو تساهل فى عمل فضيلة، تحقق أنه كاد أن يهلك، فأخذ يداوى نفسه إن علم الدواء بندم واستغفار، أو توبة وإنابة وعمل قربات، وخروج من مال للفقراء، حتى يتحقق أنه عالج نفسه مما ألمَّ بها من مرض المعاصى والرذائل.

وإن كان حصل منه أمر دعاه إليه مرض فى النفس من أمل أو طمع أو حرص أو حب علو فى الأرض، أو تكاثر فى الدنيا أو لسبب من أسباب المعاصى، كمجاورة من يفسد عليه حاله، أو نيل رزقه على يد قوم يسببون له أمراض النفس، أسرع إلى الطبيب الحاذق بأمراض النفس وهو المرشد الحقيقى، فرفع إليه الأمر بدون أن يستحى أو يخجل، كما يكشف الرجل عورته والمرأة عورتها على الطبيب ليعرف المرض ويعالجه، ويفهم المرشد أنه

يريد النجاة بأى دواء، فإذا كاشفه بحقيقة الأمر وظهر له أسباب المرض، أمره بالعلاج النافع والدواء الناجع، فقبله منه فرحاً لأنه وجد لمرضه دواء، وأسرع إلى استعمال الدواء مبادراً بدون تأن ولا تأويل، هذا هو الواجب على المريد، ومن كان هكذا فى بدايته فاز بأمرين عظيمين:

الأمر الأول: أنه يكون طبيباً حاذقاً.

الأمر الثانى: أنه يكون وارثاً من ورثة الرسل عليهم الصلاة والسلام، متصفاً بصفات التوابين المتطهرين، مُنعماً عليه بمحبة الله تعالى.

❊ ❊ ❊

علامات أمراض النَفْس

أما المريد الذى تمرض نفسه فيستر مرضه ويخفيه، حتى إذا ظهرت علاماته وكلمه فيه صديق له أو محب، نفر منه وعاداه وأنكر عليه ذلك، واشتغل بعيوب غيره فذلك ليس بمريد، إنما ذلك جاهل بنفسه عدو لها سالك بها سبل الهلاك.

قُلت ظهرت علامات أمراض النفس، هل لأمراض النفس علامات؟

نعم لها علامات كما أن لأمراض الجسم علامات، فإنك ترى الجسم إذا مرض فإنه قد يتغير عقل المريض، ولا تكون آراؤه صحيحة، وقد يعتريه النسيان والذهول وإنكار نفسه وأقاربه وأهله وتلك من مرض الجسم.

وكذلك إذا مرضت النفس بعشق شهوانى، أو بعمل معاصى شهوانية، أو بغل وحسد، أو مرضت النفس بمرض الغضب والحماقة، أو بالحزن أو بغير ذلك، فإن الجسم يصفر ويرتعد ويضعف، وتنقص قوته وتقل شهواته، كما قدمنا من أن قوة العقل والفكر تضعف بضعف البدن، كذلك يضعف الجسم بمرض النفس، وأمراض النفس لا تخفى على المتوسمين.

❊ ❊ ❊

أمراض النفس

تمرض النفس لأمرين عظيمين:

١ اختلاف تركيب الجسم أو فساد المزاج.

٢ سوء الاعتقاد والعياذ بالله تعالى.

* * *

أنواع تلك الأمراض

أولاً أنواع اختلاف التركيب وسوء المزاج

١ فساد الرأى. ٢ البله. ٣ الحيرة فى الأمر البسيط. ٤ ضعف الذاكرة.

٥ عدم الفكر فى غد. ٦ التهيج مما لا يتهيج منه.

٧ الغلو فى كل شئ حباً أو بغضاً مدحاً أو ذماً. ٨ الشره.

٩ فساد التخيل وهى أهمها.

ثانياً أنواع فساد النفس من جهة فساد العقيدة

١ الجدل. ٢ إنكار غير المحسوس. ٣ الشك فى يوم القيامة.

٤ حصر الملاذ فى تلك الدنيا. ٥ الحرص على الدنيا.

٦ حب المرء ذاته حباً يجعله يعق والديه، يقطع الرحم، يسئ إلى المحسن، يتمنى زوال نعم غيره ونوالها لنفسه. ٧ البخل بالمال حتى على النفس.

٨ ومن أمراضها بذل الفضائل لاكتساب شهواتها. ٩ التجرد من الحياء.

١٠ التهكم بالعلماء العاملين والعباد الزاهدين.

١١ تقبيح مجاهدة النفس وحبسها عن شهواتها والرذائل.

١٢ غلوه فى الحب لذاته غلواً يجعله يرى كل ما هو عليه فضائل وكمالات، وإن كانت من أرذل الرذائل.

١٣ التلذذ بفعل الفواحش والمنكرات. ١٤ الفرح بالانتقام والأبية.

١٥ ومن أمراضها الجبن لخوفه على نفسه من الموت، لاعتقاده أنه يموت ويفارق الملاذ والكرامات.

١٦ اليأس عند أقل مؤلم. ١٧ القنوط عند فقد الأسباب لجهله بالله تعالى.

١٨ ومن أمراضها التملق والتذلل عند الاحتياج، والغرور والطيش والكبر عند عدم الاحتياج لجهله بالمستقبل.

١٩ ومن أمراضها الكذب تخلصاً من المؤلم، أو انتقاماً من عدو جهلاً بيوم الحساب.

٢٠ الغيبة والنميمة للإفساد بين الناس لينال خيراً لنفسه.

٢١ ومن أمراضها التجمل للخلق، والغفلة عن تجمل السريرة للحق، لأنه لم يؤمن بيوم القيامة.

٢٢ ومن أمراضها الذُل والتملق لمن يظن أنه ينفعه أو يضره فى الدنيا، والمسارعة إلى رضاه ولو فى معصية الله لسوء ظنه بالرزاق المقدر، حتى قد يبلغ به أن يستعمله من له عليه نعمة أو رياسة فى عمل أكبر الكبائر، كأذية الخلق أو شهادة الزور أو التجسس والتحسس، أو الاشتراك معه فى عمل الفواحش وارتكاب الرذائل، ويفرح المسكين بذلك ويرى فى نفسه أنه وثق برزقه وضمن سعادته وأذل عدوه ونفع حبيبه، وينسى أنه سقط إلى مكان سحيق وانحط عن الرتبة الإنسانية إلى أقل من رتبة الحيوانات الداجنة، واستحق مقت الله وغضبه وأليم العذاب يوم القيامة.

❊ ❊ ❊

علاج تلك الأمراض

أولاً علاج الأمراض الناتجة عن اختلاف التركيب أو انحراف المزاج

١ أهم علاج لاختلاف التركيب

فأهم علاج لاختلاف التركيب أن يعتنى بالطفل من صغره، فيعلم ما يستطيع تعلمه من الحرف النافعة لمعاشه التى تستغرق وقته نهاراً فى شغل، ثم يلقن أركان الإيمان وأركان الإسلام، ثم تفصل له من أركان الإيمان الآخرة بمُثُل تنتقش فى نفسه من صغره، تجعله يشتاق إلى النعيم فيعمل لنواله، ويخاف من العذاب فيتباعد عما يوقعه فيه، ثم يلاحظ أن يُمرَّن على الأعمال الواجبة شرعاً من الصلاة وغيرها من أول ما تندب عليه، ويحافظ عليه من صحبة الأشرار والفجار، ليكون أبعد عن موجبات أمراض نفسه المفطور عليها. ومثل هذا لا دواء له إلا الرضا منه بما أهل له، وعدم مطالبته بما لا طاقة له عليه، من أعمال الفكر والتدبير والتبحر فى العلم، وخير له أن يعيش بين نظرائه فى العلم والفكر بشرط أن يكونوا أتقياء، وأن يكلف بكثرة الأذكار والأعمال البدنية ليشتغل بها عما يوقعه فى المرض، كما يتحفظ على الأطفال والصبيان من الوقوع فيما يضر أبدانهم.

٢ علاج أمراض النفس الناتجة عن انحراف المزاج

تقدم بعض أنواع تلك الأمراض وأهم علاج لها العناية باعتدال الأمزجة، ورد الصحة على الجسم، وهذا منوط بفن الطب الجسمانى.

ثانياً علاج أمراض النفس الناتجة عن فساد الاعتقاد

اختلف العلماء فى هذا الموضوع فمنهم من رأى أن الإنسان يتخذ له صاحباً يسأله عن علوم نفسه، وليست هذه بالطريقة المهيئة للشفاء، واستحسن بعضهم أن يعلم عيوبه من عدوه وإنى أرى أن هذا الدواء لا ينفع إلا للأخيار، لأنه لا ينتفع من عدوه إلا الرجل التقى الورع، وأرى أكثر الناس يتغالى كل واحد فى إذلال عدوه، ونسبة عيوب له ليست فيه لمهانته وعداوة الناس له، ولذلك فليس هو الدواء الوحيد إلا للكامل العالم الذى إذا سمع

عدوه ينسب إليه عيباً من العيوب بادر بمحوه واستبداله بفضيلة ومكرمة، كما إذا رأى فى عينيه قذى أو على وجهه أوساخاً بنظره فى المرآة، بادر إلى نظافة وجهه، وإنى إذا تكلمت فى هذا الموضوع فإنما أتكلم عن تجربة فى نفسى، ومعرفة بآداب أهل التقوى والصلاح من السلف ومن عاصرتهم، وعن خبرة ومزاولة لأمراض النفوس وأخذ فى علاجها.

لما كان علم الطب الجسمانى يراد منه أمران: حفظ الصحة وردها إذا فقدت، وكان حفظ الصحة على الجسم يقتضى التوسط فيما لابد منه للجسم، والمحافظة عليه مما لا يتحمله، والعناية بمواد الأغذية من جهة النظافة والجودة والسهولة والمقدار، ومراعاة الوقت المناسب، والبعد عن المؤثرات الشديدة، كل تلك لازمة لحفظ الصحة الجسمانية، فكذلك ينبغى لصحيح النفس أن يجتهد فى حفظ صحتها عليها، باستعمال ما أوجبه عليه الشرع بنسبه ومقاديره فى أوقاته، من عبادات وأخلاق واعتقادات ومعاملات بحيث لا يتهاون فيسبب مرض النفاق والقطيعة والبعد، ولا يتغالى فيقع فى الفتن والضلال ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ الفرقان ٦٨، وأن يتباعد بكل ما فى وسعه عن المُبتلين بالأمراض النفسانية، كأهل الجدل والإنكار والفساد وغيرها، وعن أهل الشغف بالملاذ الحيوانية، وعن مطالعة سيرهم وأخبارهم، ويتباعد عن أهل الخبث المفسدين وأهل الشر المضلين، فإنه قد يقع فى أمراضهم من حيث لا يشعر بمجرد مجالستهم، وذلك لأنه لصحة نفسه أول ما يقع نظره عليهم يرى فيهم علامات الأمراض والسقم، كما يحس الإنسان من الآخر بمرض الجسم بعلامات المرض، فكذلك صحيح النفس إذا جلس مع مريضها أنكر عليه، ومريض النفس يرى أن الصحيح الحقيقى مريض، فيحصل الإنكار من كل على الآخر فيكون بمجرد جلوسه معه مرض بمرضه، فعلى صحيح النفس أن يتباعد عن مرضى النفوس، إلا إذا جاءه مريض النفس فشكى إليه مرضه وطلب منه دواءه.

العناية بحفظ الصحة على النفس

ومن العجب أن الرجل الصحيح النفس يهمل صحته حتى يقع فى الأمراض، لأن أمراض الأجسام يشعر صاحبها بألم يدعوه إلى الطبيب، وأما أمراض النفوس فقد يحصل منها اللذة للنفس والأُنس لها، لأن غالب أمراض النفوس مما يلائم النفوس، فينسى الرجل قبائحه ويغفل عن دواء نفسه، وإذا ذكره أخوه بعيوب نفسه قذفه وعاداه وهو يظن المسكين أنه على أكمل الفضائل وأجمل الأخلاق، ناسياً أمراض نفسه لحبه لنفسه، فتجب العناية بحفظ الصحة على النفس خشية من الوقوع فى المرض.

❊ ❊ ❊

العلاج عند حصول المرض

فإذا حصل للنفس مرض من الأمراض السابقة فعلاج ذلك محصور فى أمرين أساسهما العلم:

١ أن يبادر من حصلت منه المخالفة للمرشد إن كان مسترشداً فيعرض عليه أمره، ثم يعمل ما يكلفه به مما هو شفاء لنفسه، وتوبة من ذنبه، غير خجل ولا مستتر، فإن أصحاب رسول الله ﷺ كان الرجل منهم إذا نسى أو أخطأ رفع الأمر إلى رسول الله ﷺ، وقام فأنجز ما يكلفه به، فمنهم من يقول: زنيت يا رسول الله، وغير ذلك مما قل أو كثر، فإذا خجل المخالف، أو رأى رفع الأمر للمرشد فضيحة تهاون بيوم القيامة وجهل الفضيحة فيه، ودعاه التساهل بصغير المخالفة إلى الوقوع فى كبيرها، حتى قد تبلغ به الحالة إلى أن يترك عمل الواجبات، أما إذا كان ليس له مرشد بأن كان من العلماء، أو كان من القائمين بالدعوة إلى الله، فالواجب عليه إذا رأى نفسه أوقعته فى الحماقه والغضب والعداوة بين الناس، أن يبادر بأن يتعرض لسفيه أحمق يسبه أمام الناس ويتحمل ذلك ويفرح، ليعالج نفسه ويرد عليها صحتها، أو يبادر بأن يذل نفسه لمن كان يعظمه ويقبل يده ويخدمه، ويتوب مجاهداً نفسه بترك تلك الصفة القبيحة، وإن شعر منها بحب الشهرة والسمعة بادر بأن يعرض عليها مبدأها ونهايتها وحقارة الدنيا وزوالها.

٢ وأكمل دواء للنفس المبادرة بتلقى علوم الدين من أهل اليقين، الذين يعلمون الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، و يدعونهم إلى الله على بصيرة، ويجعلون أساس دعوتهم كشف عناية الله بهم وإظهار آياته فى الآفاق وفى أنفسهم بطريق مقنع، ويبينون أسرار الصورة الإنسانية، وما احتوت عليه من غرائب الحكمة وعجائب القدرة، وكيف كان مبدؤها من آيات القرآن بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ المؤمنين ١٢، ويتباعد فى الدعوة عن غير ذلك بذكر عناية الله تعالى وإبداعه للعالم كله، وهو الأمر الجامع، حتى إذا اطمأنت القلوب وانشرحت، دعاهم بعد ذلك إلى التصديق بالآخرة ويبين لهم حقارة الدنيا وزوالها، ودعاهم لمعرفة أنفسهم وما به تكميلها وسعادتها، وهذه هى طريق القرآن فى الدعوة، وسبل رسل الله صلوات الله عليهم فى الدلالة والبيان.

فاقرأ أيها الأخ البار كتاب الله متدبراً، وتأمل قصصه متفكراً، واعتبر بتكرار أخبار الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، وأساليب البيان، وحِكَم التبيان الجلية لكل ذى بصيرة فى كل مكرر القرآن، يظهر لنور سرك ساطع حجج القرآن الكريم وجلىٌّ نور براهينه، وما حث فكرك عليه، وما نبه قلبك إليه، وما دعاك إلى تدبره والنظر فيه من الآيات الدالة على كمال عنايته، والحجج المؤيدة إنه هو المبدع الخلاق.

فإذا زكت نفسك أيها الأخ المؤمن، تناولت من سلسبيل القرآن الشريف، ومن كافور كلام رسول الله ﷺ، سكنت نفسك واطمأن قلبك وانشرح صدرك، ودعاك سرك دعوة الحق إلى الحق، وانكشفت لك سيما الناس، فعلمت بسيماهم مقادير استعدادهم وفطر نفوسهم، فدعوت عباد الله إلى الله بالحكمة والموعظة على قدر النفوس ومناسبات العقول، ناهجاً على الطريق المستقيم، لا تميز بين المسلم وغيره مادمت تجعل أساس دعوتك طريق القرآن العظيم.

واحذر يا أخى أيدنى الله وإياك بما أيد به الصديقين والشهداء من عباده الصالحين، أن تتجاوز هذا الطريق فى الدعوة والإرشاد، بأن تسلك مسالك النظار بعقولهم فتفتح أبواب الجدل والشكوك والريب، فتكون من الفتانين التائهين فى بيداء الغفلة، وتحقق أن كل من أراد أن يجادل أو يعارض فهو عدو لأخوة المؤمنين، محروم من التصديق واليقين، والأولى

الإعراض عنه وعدم العناية به، فإنك إن أعرضت عنه هلك وحده، وان جاريته فى الجدل والمعارضة ربما هلك وأهلك معه كثيرين، والله أسأل أن يهدينا بالقرآن ويعصمنا بسُنة رسول الله ﷺ، آمين.

❊ ❊ ❊

أسباب مفسدات النفس

اعلم أيها الأخ روَّحنى الله وإياك بروح العناية والولاية وريحان الإحسان والرضوان، أن أمهات الخطايا التى بها لُعِنَ إبليس، وبها أُخرج أبونا آدم من الجنة، وقتل بها قابيل أخاه هابيل فالأصل الأول من أصول الكبائر:

١ الكبر الذى أوقع إبليس فى القطيعة واللعنة.

٢ الطمع الذى هو سبب المعصية لأبينا آدم، وأُهْبِطَ بسببه من الجنة لأنه طمع فى الخلود فى الجنة.

٣ الحسد الذى دعا قابيل أن يقتل هابيل حسداً له على النعمة عليه بأخت هابيل.

وما من رذيلة من الرذائل إلا وهى ترجع إلى أصل من تلك الأصول، فإذا حفظ الله العبد من تلك البليات الثلاث وفروعها، كان وهو فى الدنيا من أهل الآخرة، وقد بين لنا رسول الله ﷺ تلك المعانى بكلمة هى الحصن الحقيقى للسلامة بقوله ﷺ: (حبُّ الدنيا رأسُ كُل خطيئةٍ).

❊ ❊ ❊

ليس المراد ترك الأسباب فى الدنيا

لعلك أيها الأخ تظن أن المراد من ذلك ترك الأسباب فى الدنيا، وعدم العمل فيها وخرابها، لا، إنما المراد من ذلك أن الدنيا هى عبارة عن الدون، ومعنى هذه اللفظة أمور الشرور والرذائل المنتجة للمضار والمفاسد، التى أصولها الكبر والحرص والحسد، وكيف لا؟

وقد جعل الله تعالى تلك الدار محل التكاليف والتعريف والتقرب والإسلام والإيمان والإحسان، والعمل للسعادة الأبدية، والجهاد فى سبيل الله وإطاعة أمره، والقيام بنصرة الحق وتأييده بالنفس والمال والعلم.

أوجب عليك فيها الزكاة وصلة الأرحام وبر الوالدين وإكرام الجيران ومعاونة الفقراء والحج والجهاد وعتق الرقاب والدية عند اللزوم، ولا يتحقق شئ من ذلك إلا بالمال، فجعل المال سبيلاً من سبل الوصول إليه، وباباً من أبواب الإقبال على حضرته العلية، حتى قال سبحانه: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ البقرة ٢٤٥، وقال سبحانه: ﴿إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾ التغابن ١٧.

فلا تظنن أن المذموم العمل فى الدنيا واكتساب الأموال، والاجتهاد فى عمل المصنوعات المفيدة للدين، والمخترعات المعينة لجماعة المسلمين، والسعى فى تقدم التجارات والزراعات، فإن فى ذلك كله مادمت لم تخرج فيه عن الوسط الشرعى، ولم تقصد به إلا الخير لنفسك وأهلك وإخوانك المسلمين جميعاً، والعمل لله كما أمر، فإنك أيها الأخ المخلص لست من أهل الدنيا بل من أهل الآخرة وأنت فى زراعتك وتجارتك، قال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ النور ٣٧.

وكان ﷺ يبتاع لنفسه ما يلزم، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكثير من أئمة الصحابة يتاجرون، وكان عمر بن الخطاب وكثير من الصحابة يشتغلون بحراثة الأرض وهم المعنيون بقوله تعالى: ﴿لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ النور ٣٧، فلم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولا عن إقام الصلاة وهم فى التجارة، فاعمل فى الدنيا أيها الأخ للآخرة، واعمل فى الآخرة لله، لتقوم بما أوجبه الله عليك، وتتقرب إليه بما رغبك فيه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم﴾ التوبة ١١١.

إذا كان أهل التقوى وأهل الدين المخلصون فى عبادة الله وطاعته، العاملون بسُنة رسول الله ﷺ، والغيورون عليها، يهملون الوجه الذى به حفظ نصرة الدين وقوة أهله وإقامة حدوده وإذلال أعدائه، من العمل النافع للدنيا، وفى جمع الأموال لتكون خزناً لله وخزناً

لجماعة المسلمين، ومن إتقان الصنائع والفنون لعمل الحصون النافعة لحماية الثغور ودفع أهل الفجور، ولراحة المسلمين من الأشرار، من الذى يقوم بالدنيا؟ أيقوم بها الذين يجمعونها لحظهم وهواهم، ويقوم بها المترفون الذين لا خلاق لهم المنهمكون فى الحظوظ والشهوات؟ أو يقوم بها الفساق الذين هم أشر على المسلمين من أعدائهم؟ فتكون عوناً لهم على عمل المعاصى والمظاهرة بالإنكار على أهل الحق ومعاداتهم، والإعانة على أذيتهم وإذلالهم.

فيا أيها الإخوان تدبروا فى كتاب الله تعالى، وفى كتاب رسوله ﷺ، واعملوا للآخرة العمل الذى أمر الله به حتى تذوقوا حلاوة قوله تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٧ إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١٨ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ﴾ الحديد ١٧-١٩، هذا هو الصراط المستقيم الموصل إلى حضرة الله، والمبلغ إلى دار كرامة الله، فالسالك حقاً من سلك على محجة الطريق، وقام عاملاً لله، نافعاً عباد الله قدر ما وهبه من قوة فى جسم، أو وسعة فى رزق، أو مزيد من علم، أو فضل جاه، حتى يكون عمل بالدين كله، ويتحقق بما تحقق به الراسخون فى العلم من قوله تعالى: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ آل عمران ٧.

* * *

قد أفلح من تزكى

فإذا جاهدت نفسك حتى تزكت فقد أفلحت، فامش فى الناس عاملاً عمل أهل الدنيا غير خائف فإنك فى الآخرة، دليل ذلك من كتاب الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَا﴾ الأنعام ١٢٢، فالميت من زكّى نفسه حتى صار من أهل الملكوت الأعلى، فجعل الله له نوراً من اليقين والعلم والفقه يمشى به فى الناس آمناً لانكشاف الحق له وبيانه، فلا يضره مشيه فى الناس وعمله معهم، لأنه ينفعهم النفع الحقيقى وينفع نفسه.

* * *

دواعى الذنوب والكبائر

ظهر لك يا أخى مما تقدم أن الذنوب كلها ناتجة إما عن اعتقادات أو عن أعمال البشرية أو أقوال، وأشرها ما كان عن اعتقادات، لأنها تشبه كبائر إبليس من الاعتقادات والأخلاق، وهى الموبقة المخلدة فى النار، والمعاصى التى هى أعمال؛ إما أن يدعو إليها شهوة حيوانية فهى كبائر ولها حدود وزواجر فى أحكام الشرع، وإن كانت ناتجة عن خبث فى الضمير فهى من أعمال إبليس أيضاً، كقتل المسلم عمداً وكعمل المكائد التى تؤدى إلى إهلاك النفوس، والسعى بالغيبة والنميمة لحصول المضار والمفاسد، فإنها وإن كانت أقوال وأعمال بالجوارح إلا أنها عن صفات إبليس.

فحافظ يا أخى على نفسك أن تقع فى كبيرة من تلك الكبائر، واجتنبها مرة واحدة، قال الله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ النساء ٣١.

❊ ❊ ❊

بيان الكبائر

وإليك بيان الكبائر وإن كنت قد بينتها فى كتاب " شراب الأرواح " :

١ **كبائر القلب أربع:**

أ. الشرك. ب. الإصرار على المعصية.

ج. القنوط من رحمة الله. د. أمن جانب الله.

٢ **كبائر اللسان أربع:**

أ. شهادة الزور. ب. قذف المحصن المسلم البالغ.

ج. اليمين الغموس. د. السحر.

٣ **كبائر البطن ثلاث:**

أ. شرب الخمر وكل مسكر. ب. أكل مال اليتيم ظلماً. ج. أكل الربا مع العلم.

٤ **كبائر الفرج اثنتان:**

أ. الزنا. ب. عمل قوم لوط.

٥ **كبائر اليدين اثنتان:**

أ. القتل. ب. السرقة.

٦ **كبيرة الرجلين:**

الفرار يوم الزحف بغير وجه شرعى.

٧ **كبيرة الجسم كله:**

العقوق.

الفصل الثانى

وصية لمن أهلهم الله للدعوة

وصية لمن منحهم الله المواهب التى بها أهلهم للدعوة، من العلم والحكمة وجمال الأخلاق وصرف الأوقات فى عمل القربات والطاعات.

إخوانى، اعلموا حفظنى الله وإياكم من حب الدنيا والرغبة فيما فيها أن تلك الإقامة التى أنتم قائمون فيها هى وظيفة العلماء الربانيين، والأمناء الروحانيين ورثة رسل الله عليهم الصلاة والسلام، وأبدال الصديقين والشهداء، فمن أقامه الله تعالى مقام رسله جعل له علامات هى الحجج المؤيدة لصدق إقامته، والبراهين التى فى قوة تصديق الله له أنه سبحانه مَنَّ عليه بميراث الرسل عليهم الصلاة والسلام.

* * *

علامات الدعاة إلى الله

١ الحرص على عباد الله من أن يقع أحدهم فيما يغضب الله بسببهم.

٢ الرأفة والرحمة بالمؤمنين.

٣ لين الجانب.

٤ الخلق العظيم.

٥ الصبر على جفوة من تدعونهم.

٦ دعوة الخلق كل على قدر عقله.

٧ مُداراة الناس.

٨ الغضب لله والرضا لله.

٩ الحب فى الله والبغض فى الله.

١٠ الإحسان إلى المسئ، وصلة القاطع، وتأليف النافر.

١١ ترك الجدل مرة واحدة، إلا ما كان لبيان حكم من الأحكام الشرعية مختلف فيه، ويكون بالتى هى أحسن.

١٢ التباعد بالكلية عن تنفير الخلق، وعن نية السوء، أو قصد الشر أو العزم عليه، أو التكلم بما لا يليق من قبيح الكلام فى غيبة الناس أو فى مواجهتهم.

١٣ التباعد عن سماع الشر فى حق الناس.

١٤ الزهد فيما فى أيديهم.

١٥ بذل ما فى اليد تأليفاً لهم.

١٦ المسارعة إلى فعل الواجبات والفضائل والمكرمات ومنافستهم فى ذلك حتى يقلدوا الداعى.

١٧ الشفقة عليهم، والاجتهاد فى دفع المصائب عنهم، وتخفيف آلامهم، ومشاركتهم فى مهماتهم مشاركة عملية بالمال والنفس.

١٨ ذكر محاسنهم، وستر عيوبهم فى غيبتهم.

١٩ الاجتهاد فى تنبيههم لترك المعاصى التى يقع فيها بعضهم، وعمل الفضائل التى تركها بعضهم، بطريق محفوظ من أن يتوهم أحدهم أنه مقصود بالذات خشية من التنفير، بل يكون بتنبيه عام يبين فيه قبح المعصية وسوء عاقبتها، وحسن الفضيلة وجميل مآلها.

* * *

دوام الفضل بمراعاة تلك المعانى

فهذه الأخلاق هى التى يجب أن يكون عليها المتصف بصفات الداعى إلى الله أو النائب عنه، لأنها من أخص صفات رسول الله ﷺ، والخادم إذا ناب عن سيده يلزمه أن لا يخالفه، فإن خالفه هلك وأهلك.

فمن أقامه الله بدلاً عن الصديقين والشهداء، ونائباً عن العلماء الربانيين، وغلبته نفسه فغضب، أو شتم آخر أو سبه أو كرهه بقلبه، أو ظن فى أخيه سوءاً أو قطع أخاً له لغرض من أغراض الدنيا أو لعلة من علل الحظوظ، أو تهاون بواجب، أو ترك المنافسة فى عمل الخيرات ونافس فى عمل الشرور، فكأنه يريد أن لا يقبل فضل الله ونعمته، لأن هذا الفضل العظيم يمنح بالفضل من الله تعالى، ويدوم ذلك الفضل بمراعاة تلك المعانى، ونعوذ بالله من حال عبد يتفضل الله عليه فيأبى فضل الله، وينعم الله عليه فيرد نعمة الله، وأسأل الله تعالى لى ولأهلى وأولادى وإخوانى أن يعيننا على شكر النعمة، ويمنحنا المزيد، ويمدنا بما به حفظ فضله العظيم لنا، حتى يكون ميراثاً لأبنائنا وأخوتنا المؤمنين.

أيها البدل عن العالم الربانى بم صرت بدلاً؟ قل معى: ﴿قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ النمل ٤٠، نعم، فعليك أن تشكر ربك جل جلاله بمجاهدة نفسك حتى تتصف بصفات أهل الفضل، واحذر أن تُمنح الفضل بالفضل وتنسى المُتفضل وفضله، فيسلب والعياذ بالله الفضل بالعدل، واستعذ بالله أيها الداعى من السلب بعد العطاء.

تودد إلى الأباعد، وأحسن إلى الأقارب، وغض بصرك عن عيوب إخوتك المؤمنين، واستر زللهم، واعف عن مسيئهم، واصفح عن ظالمهم واشكر الله الذى جعلك من أهل الفضل علماً وخلقاً وحالاً وعملاً، وتحقق أن أجمل نعمة ينعم الله بها على عبده يدوم بها الفضل العظيم ويبقى فى ذريته بعده أن ينعم الله عليك بجميل الأخلاق، وأن يملكك نفسك فلا تخرج بك عن طاعة الله، ولا توقعك فى معاصى الله، وبذلك يحبك الله، وتحبك ملائكة الله ورسل الله، ويحبك الناس أجمعون، إلا من كرهك لأنك على الحق وهو على الباطل فى الاعتقاد والرأى والعمل، فلا يكرهك أحد من الخلق لحماقة لأنك حليم، ولا لعمل سوء لأنك رحيم، ولا لجفاء وقسوة لأنك رؤوف، ولا لبخل لأنك كريم، ولا لنفور منك لأنك صفوح عفو، ولا لطمع فيما فى أيديهم، لأن الله أغناك عن شرار خلقه وجعل غناك فى قلبك، ولا لترك واجب لمسارعتك لعمل الواجب والمندوب، ولا لسوء أدب لخشيتك من الله.

وتحقق أن بغض الناس خصوصاً الأقارب وخصوصاً الوالدين والأولاد، دليل على أنك

من أهل الكبائر القلبية أو البدنية، فبادر بسرعة وتب إلى الله، وجاهد نفسك متخلقاً بأخلاق العلماء الربانين والعارفين الروحانيين، ليدوم لك الفضل العظيم فى الدنيا وفى البرزخ وفى الآخرة، وتدبر قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ الرعد ١١، أسأل الله تعالى الحفظ والسلامة والنعم والإحسان والفضل العظيم والمعونة على الشكر إنه مجيب الدعاء.

❊ ❊ ❊

كيف تعامل أخاك؟

إذا جفاك أخ من إخوانك، أو بلغك عنه شر، أو علمت أنه وقع فى المعاصى، هنا تظهر رحمتك وحرصك ورأفتك ولين جانبك التى ورثتها عن العلماء الراسخين، ورثة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وتفكر فى نفسك إذا رأيت أجنبياً وقع فى البحر، أو خرجت عليه اللصوص فى الطريق، أو احتوشته الوحوش، ما الذى تعمل؟ هل تمر ثانى عطفك (معرضاً متكبراً) أو تسبه وتذمه وتشمت فيه؟ أو تحتَال أن تنجيه وتنجى نفسك بما فى وسعك؟ اختر لك واحدة، فإن كان هذا من أقاربك لعل الرحمة والشفقة عليه تدفعانك إلى أن تفديه بنفسك، وتلك الشدائد تزول وتنتهى، فكيف إذا بلغك عن أخ أنه كاد أن يقع فى نار جهنم خالداً فيها أبدا؟!

فإن أنت ذممت وقبحت وشنعت لم تكن أخاً للمؤمنين متصفاً بصفات الربانيين، وإن مررت ثانى عطفك لم تكن وارثاً لعلوم الصديقين، وإن أسرعت بحكمة ورحمة وشفقة وحرص فخلصت أخاك وأنجيته من غير أن تنفره ولا توبخه ولا تفشى سره، وبذلت لذلك فطنتك ومالك وجميل أخلاقك، ثم أفهمته إنما أنجيت نفسك لنجاته، كنت يا أخى بدلاً من أبدال الرسل، ونائباً من نواب الأفراد العارفين بالله، أما إذا عملت غير هذا العمل، فنفرت الأخ وأشعت عنه القبيح وجفوته حتى جاهر بمعصية الله، كنت داعياً من دعاة القطيعة، والحق قد انبلج فزن نفسك بموازينه، وأنزلها منزلتها ولا تتجاوز قدرك، وسارع فى مرضات ربك والاقتداء بنبيه ﷺ لتنال السعادة.

❊ ❊ ❊

تأديب المريدين

أما تأديب المريدين، فأدبهم إذا أتى المريد منهم يشكو نفسه من كسل أو تهاون أو سهو أن يكلفه بعمل قربات لا تنفره، أما إذا تساهل عن عمل المندوبات أو عن عمل الرواتب، التى ليست من الأوامر الشرعية، فتأديبه بالدعاء له، وتيسير ما به نشاطه، وبالسؤال عنه، وبمساعدته فيما يلزم.

وإذا حصل بين الإخوان خلاف فى أمور دنيوية، فالأولى النظر فيها برحمة وشفقة خشية على قلوب الإخوان من التفرقة، وإذا حصل بينهم منافسة فى فهم أسرار الطريق، أو فى أعمال البر لم تكن إلا غيرة من كل أخ ليساوى أخاه فى عمل الخير ابتغاء مرضاة الله، وذلك من روح القدس، ومن أبواب التفرقة أن تبتلى الإخوان بشر هو أن يتعصب بعضهم لأخ منهم، ويتعصب فريق آخر لأخ آخر، فإن ذلك باب من أبواب إبليس يؤدى إلى التفرقة، فإذا قيل: إن فلاناً يفهم أسرار الحكمة وكريم النفس حسن الأخلاق، فليحذر الآخر أن يقول فلان خير منه، والأولى أن يقول: صدقت وفلان أيضاً من صفاته كذا.

هذا وكل ممنوح من الإخوان بخصوصية ينبه الناس لخصوصيته أو يدعو الناس إليه، أو ينقص الممنوح الآخر، كان باباً من أبواب الشيطان على الإخوان، فليحذر ذلك، والواجب على الأفراد الممنوحين أن يفنوا عن خصوصيتهم ويحفظوها بسترها، فإن الله تعالى يقول: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ الرعد ١٧، فكل من نبه الناس لخصوصيته ونقص أخاه الممنوح ولو كان أقل منه علماً وفضلاً، جعل ما أنعم الله به عليه زبداً، ربما ذهب جفاء لأنه يريد أن يضر الناس ويوقع بينهم التفرقة، وأما من أخفى خصوصيته ولم يفتح باب التفرقة على الإخوان فإنه يكون مما ينفع الناس، فيمكث فى أرض قلبه محفوظاً من السلب.

عاقبة كفران النعمة

بعض الجهلاء ممن منحوا موهبة الجمع والعبارة قد يغترون بكثرة الناس حواليهم، ويظنون أن هذه هى النهاية وهو النعمة والكمال، وهذا لجهلهم بحقيقة السعادة والنعمة فينسون المرشد الذى هو نعمة الله عليهم وفضله لهم، فيُحْرَمون النعمة والفضل لكفرانهم بمن أجرى الله لهم النعمة على يديه قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ الحج ٣٨، فيحرمون الفضل والنعمة فى الدنيا والآخرة بسبب غرورهم بما لا يغتر به إلا الجاهلون فتنبه أيها الممنوح، وحصن النعمة بالشكر والمنة.

وإلى هنا أنبه فكر المطلع على تلك الإشارات أن لا يقرأها ليزن بها غيره، ولا ليجعلها حجة على غيره، فيكون كالمَسَن يشحذ ولا يقطع، أو كالسراج يضئ لغيره ويحرق نفسه، ومن تعلم العلم ليجادل به أولياء الله أو يناظر به عباد الله كان عوناً من أعوان الشياطين أو شيطاناً إنسياً، والأولى لك أيها السالكُ مُريد الآخرة ومبتغى فضل الله ورضوانه أن تقرأها مجاهداً نفسك أن تعمل بها، وإن غلبك حظك وهواك وأملك فتحقق أنها أعداء لك، فحاربها محاربة أشد الأعداء حتى تقبل العمل بما به السعادة، والله هو الموفق المعين لا إله إلا هو بيده الخير وهو على كل شئ قدير.

❊ ❊ ❊

تلقين الطريق والإذن باللطائف والأذكار

تلقين الطريق

أساس التلقين السماع من العالم العامل العدل التقى الورع، الناطق بلسانه عن قلبه، وقولى: عن قلبه أى لأن الله سبحانه وتعالى يجعل فى القلوب نور الفقه، ونور الفقه يكون على لسان ملك الإلهام، لأن كل قلب يلم به لمتان: لمة من الشيطان، ولمة من الملك، فقلب العلماء الراسخين والشهداء الروحانيين محفوظ من لمة الشيطان، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ الحجر ٤٢، وقال تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾

ص ٨٣، وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ الأنعام ٨٢، وقال تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ﴾ فصلت ٣٠، وتنزلهم عليهم حال الموت لا يمنع تنزلهم عليهم قبل الموت، وقد تنزلت الملائكة على الصديقين بالطعام وبالتحف، وفيما كان يجده سيدنا زكريا عليه السلام عند السيدة مريم عليها السلام حجة، فكان لسماع كلمة التوحيد من اللسان المتلقى عن القلب المتلقى عن ملك الإلهام فى أُذن الإنسان المسلم المعتقد تدخل إلى القلب بنور مبين لأسرار التوحيد، فيشرق على القلب أنوار التوحيد، فيحصل اليقين ويمنح الله التوفيق.

ولما كان الرجل الذى يلقن رجل عالم ربانى أو المتعلم من العالم الربانى، فإنه يشرح معانى الكلمة وأسرار الأذكار، و يبين حِكَم الأعمال والاعتقاد حتى تحصل للمريد المعرفة ويكون على مزيد، وحجتهم فى ذلك ما ورد أن رسول الله ﷺ جلس معه أصحابه فقال لهم (أفيكُم غريب؟ قالوا: لا يا رسول الله قال: أجيفُوا (أغلقوا) الباب ثم أَسْمَعَهُمْ كلمة التوحيد، وأمرهم بالنطق بها ليسمعها ﷺ، ثم قال أُبَشِّرُكُمْ بأن الله غَفَرَ لكُمْ).

ولهذا التلقين أسرار تُتَلَقى لا تُرْسَم بالكتابة، وبتلقين الكلمة من العالم الربانى كأن الذى سمعها يقول له رضيت بك معلماً ودليلاً لى تدلنى على الصراط المستقيم الذى كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وتعيننى على تزكية نفسى بما سنه ﷺ وأمر الله تعالى به وما زكى به الأئمة أنفسهم، فصار له حقوق على المرشد يطالبه بها يوم القيامة أمام الله تعالى، وكان بتسليمه هذا تخلص من دسيسة الكبر والغرور، وتخلص من بلية الجهل، وحفظ نفسه من مخاوف المهالك ومن رعونات النفس ووسوسة الشيطان، ووجب عليه للمرشد أن يطيعه فى كل معروف أمره به، وفى كل منكر نهاه عنه، وأن يسارع إلى ما يصرح له بعمله مما به تزكية نفسه سواء لاءم طبعه أم لا بشرط أن لا يكون محرماً، ويجب عليه للمرشد أن يكون له كابنه حُكْماً، فيحافظ أن يتعرض لعوراته أو ينظر إلى عيوبه، وعليه أن يتودد إليه ببذل ما لابد له منه، وأن لا ينتظر أمره ولا سؤاله له بل يقدم له بلا سؤال.

* * *

الإذن باللطائف والأذكار

الإذن هو أن يخص المرشد بعض الأفراد المسارعين إلى الخير المتعاونين على التقوى، بأذكار قلبية أو لسانية، أو بمراقبات أو تدبر وفكر، أو بلطيفة من لطائف القلوب، أو بخدمة لتزكية النفس واستعدادها للمشاهدات، كخدمة النعال والطحين والعجن والطبيخ والكنس، وخدمة الماء وخدمة المرضى والعجائز أو تكليفه بخدمة الاكتساب بأن يأمره بالتسبب، أو يأمره بترك الأسباب، أو يأمره بترك نوافل البر من الصلاة والصيام، أو يشتغل بقراءة القرآن أو بيقظة الإخوان لصلاة الصبح.

أما غوامض أسرار الإذن وكشف أسرار مراقى السالكين، وأنوار الحال وغيوب الجلوة ومشاهد الخلوة وشراب الختم، قد كتبته فى رسالة فى رسائل المكنون، تكون دليلاً للمرشدين ونبراساً للواصلين، والله تعالى أسأل أن ينفعنى بفضله العظيم وإحسانه العظيم، وأن ينفع بهذا النفع الحقيقى، إنه مجيب الدعاء وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباب السادس

الشفقة والرحمة على الخلق والحب فى الله ومن الله

الفصل الأول

الشفقة والرحمة على الخلق

أحاديث من الصحاح فى هذا الباب

عن جرير بن عبد الله ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يرحم اللهُ من لاَ يرحمُ الناسَ) عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: جاء أعرابى إلى النبى ﷺ فقال: أتقبِّلون الصبيان؟ فما نقبلهم، فقال النبى ﷺ: (أوَ أمْلِكُ لكَ أن نزع اللهُ من قلبِك الرحمةَ) عن عائشة أنها قالت: جاءتنى امرأة معها ابنتان تسألنى، فلم تجد عندى غير تمرة واحدة فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها ثم خرجت، فدخل النبى ﷺ وحدثتُهُ فقال: (من يلى من هذه البنات شيئاً فأحسن إليهنَّ كُنَّ له ستراً من النّارِ) وعن أنس ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من عالَ جَارِيَتيْن حتى تبلُغَا جاءَ يومَ القيامةِ أنا وهو هكذا وضم أصَابعَه) وقال: (الساعِى على الأرملةِ والمسكينِ كالساعى فى سبيلِ الله وأحسُبه قال: كالقائم لا يفتُرُ وكالصائمِ لا يفطِر) وقال: (أنا وكافلُ اليتيمِ له ولغيرِهِ فى الجنةِ هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى وفرَّج بينهما شيئاً).

وقال ﷺ: (ترى المؤمنين فى تراحُمهم وتوادِّهم وتعاطُفِهم كمثلِ الجسدِ إذا اشتكى عضوٌ تداعَى لَهُ سائرُ الجسدِ بالسهرِ والحُمَّى) وقال ﷺ: (المؤمنون كرجلٍ واحدٍ إن اشتكى عينُه اشتكى كلهُّ، وإن اشتكى رأسُه اشتكى كلهُ).

وعن أبى موسى عن النبى ﷺ أنه قال: (المؤمن للمؤمِنِ كالْبنيانِ يَشدُّ بَعضُه بعضاً، ثم شبَّكَ بين أصابِعه).

وعنه عن النبى ﷺ أنه كان إذا أتاه السائل أو صاحب الحاجة قال: (اشفعوا فَلْتُؤْجَرُوا، ويقضى الله على لسانِ رسولِه ما شاءَ).

وقال: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجلٌ: يا رسولَ اللهِ أنْصُرُه مَظلوماً فكيف أنصرُه ظالماً؟ قال تَمْنعُه من الظلمِ فذلك نصرُك إيَّاهُ).

وقال: (المسلمُ أخو المسلم: لا يظلمُه ولا يُسْلمُه، ومن كان فى حاجةِ أخيه كان اللهُ فى حاجَتِه، ومن فرَّج عن مسلمٍ كُرْبةً فرَّج اللهُ عنه كُرْبةً من كُرباتِ الآخرةِ، ومن ستر مسلماً ستره اللهُ يومَ القيامَةِ).

وقال: (المسلمُ أخو المسلِم لا يظلمُه ولا يخُذلُه ولا يحقرُه، التقوى هاهنا- ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشَّرِّ أن يَحْقِّرَ أخاه المسلمَ، كلُّ المسلمِ على المسلمِ حرام، دمُه ومالُه وعِرْضُه).

وقال: (أهل الجنة ثلاثة: ذُو سلطان مقسط ومتصدق موفق، ورجلٌ رحيمٌ رقيقُ القلب لكلِّ ذى قربى ومسلم، وعفيفٌ متعفَفٌ ذُو عيالٍ. وأهلُ النار خمسة: الضعيف الذى لاَ زَبْرَ له الذين هم فيكم تبع لا يبغون أهلاً ولا مالاً، والخائن الذى لا يخفى له طمعٌ وإن دق إلا خَانَ، ورجلٌ لا يُصبح ولا يُمسى إلا وهو يخادعك عن أهلِك ومالِك) وذكر البخل والكذب والشنظير الفحاش.

وقال: (والذى نفسى بيده لا يُؤمنُ عبدٌ حتى يُحِبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسِهِ).

وقال: (واللهِ لا يؤمنُ، واللهِ لا يؤمنُ، واللهِ لا يؤمنُ، قيل: مَنْ يا رسول الله؟ قال: الذى لا يأمنُ جارُه بوائقَه) وقال: (لا يدخلُ الجنةَ من لا يأمنُ جارُه بوائقَه).

وقال: (مازال جبريلُ يوصينِى بالجار حتى ظننتُ أنه سَيُوَرِّثُهُ).

وقال ﷺ: (إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجَ اثنانِ دونَ الآخر حتى يختلطوا بالناسِ،فإن ذلك يحزنه).

وعن تميم الدارى أن النبى ﷺ قال: (الدينُ النصيحة ثلاثاً قلنا: يا رسول الله لِمَنْ؟ قال: للهِ ولكتابِهِ ولرسولهِ ولأئمةِ المسلمِين وعامَّتِهِمْ).

وعن جرير أنه قال: بايعتُ رسولَ الله ﷺ على إقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ والنصحِ لكلِّ مسلمٍ).

من الأحاديث الحسان

عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه قال: سمعت أبا القاسم الصادق المصدوق ﷺ: (لا تُنزَعُ الرحمةُ إلا من شقيٍّ).

وقال رسول الله ﷺ: (الراحمون يرحمهم الرحمنُ، ارحموا من فى الأرضِ يرْحَمْكُمْ مَن فى السماءِ).

وقال رسول الله ﷺ: (ليس منا من لم يرحمْ صغيرَنا، ويُوَقِّر كبيرَنا، ويأمرْ بالمعروفِ وينْهَ عن المنكرِ).

من الأحاديث الغريبة

وقال: (ما أكرم شابٌّ شيخاً من أجل سِنِّه إلا قَيَّض اللهُ له عند سِنِّه مَن يُكْرِمُهُ) وقال: (إن من إجلالِ اللهِ إكرامُ ذِى الشيبةِ المسلمِ، وحاملِ القرآنِ غيرِ الغالى فيه والجافى عنه، وإكرامُ ذِى السلطانِ المقسط).

وقال عليه الصلاة والسلام: (خيرُ بيتٍ فى المسلمين بيتٌ فيه يتيمٌ يُحْسَن إليه، وشَرُّ بيتٍ فى المسلمين بيتٌ فيه يتيمٌ يساءُ إليه).

وقال: (من مَسَحَ رأسَ يتيم لمْ يَمسَحْهُ إلا لله كان له بكلِّ شعرةٍ تَمرُّ عليها يدُه حسنات، ومن أحسن إلى يتيمةٍ أو يتيمٍ عنده كنتُ أنا وهو فى الجنة كهاتين وفرَّق بين أصبعيهِ).

وقال عليه الصلاة والسلام: (من آوى يتيماً إلى طعامِهِ وشرابِه أوجبَ اللهُ له الجنةَ البَتَّةَ، إلا أنْ يعملَ ذنباً لا يُغْفَرُ).

وقال عليه الصلاة والسلام: (ومن عالَ ثلاثَ بنات أو مثلَهُنَّ من الأخواتِ فأدَّبَهُنَّ

وَرحِمَهُنَّ حتى يُغْنِيهنَّ اللهُ أوجبَ اللهُ له الجنةَ، فقال رجلٌ: يا رسول الله أو اثنتين؟ قال: أو اثنتين. حتى لو قال: أو واحدة لقال: وواحدة).

وقال عليه الصلاة والسلام: (ومن أذهب اللهُ كريمتيه وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، فقيل: يا رسولَ الله وما كريمتاهُ؟ قال: عيْنَاهُ).

عن جابر بن سمرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لأنْ يُؤدَّبَ الرجلُ وَلَدَهُ خيرٌ له من أن يتصدق بصاع).

وروى: (ما نحلَ الوالدُ ولَدَهُ من نِحَلٍ أفضلَ من أدبٍ حسنٍ).

من الأحاديث المرسلة

عن عوف بن مالك الأشجعى أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا وامرأةٌ سَفْعَاءُ الخدَّين كهاتين يومَ القيامة- وأومأ الراوى بالسبابة والوسطى- امرأة آمَتْ من زوجها ذات منصب وجمال، حبست نفسَها على يَتاماهَا حتى بانُوا أو مَاتوا).

عن ابن عباس أنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: (من كانَ له أنثى فَلَمْ يَئِدْهَا ولم يُهِنْهاَ ولم يُؤْثِرْ وَلَدَه عليها يعنى الذكور أدخله اللهُ الجَنَّةَ).

عن أنس عن النبى ﷺ أنه قال: (من اغتيب عنده أخُوه المسلمُ وهو يقدرُ على نصرِهِ فنصرهُ نَصَرَه اللهُ فى الدنيا والآخرة، فإن لم ينصرْهُ وهو يقدر على نصْرِهِ أدركهُ اللهُ به فى الدنيا والآخرة).

وقال: (مَنْ ذَبَّ عن لحمِ أخيه بالمغيبةِ كَانَ حقاً عَلَى اللهِ أنْ يعتقَهُ من النَّار) وعن أبى الدرداء أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من مسلم يرُدُّ عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يرُدَّ عنه نارَ جهنم يوم القيامة، ثم تلى هذه الآية: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الروم ٤٧.

عن جابر أن النبى ﷺ قال: (ما من امرئٍ مسلم يخذلُ امرءاً مسلماً فى موضع يُنْتَهَكُ فيه حرمَتهُ ويُنْتَقَصُ فيه من عِرْضِهِ إلا خذله الله تعالى فى مواطن يحبُّ فيه نصرته، وما من امرئ مسلمٍ يَنْصُرُ مُسْلماً فى موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نَصَرَهُ اللهُ).

وقال: (من رأى عورةً فَسَتَرَهَا كان كمن أحيا موءودةً) وقال: (مَن حَمى مؤمناً مِنْ منافقٍ بَعَثَ اللهُ مَلَكاً يحمى لحمَه يوم القيامةِ من نار جهنَّمَ، ومن رمى مسلماً بشئٍ يريد شَيْنَهُ به حَبَسهُ اللهُ على جِسْرِ جهنَّمَ حَتَّى يخرجَ مِمّا قَالَ).

عن عائشة أن النبى ﷺ قال: (أنزلُوا الناسَ منازَلهم)، وقال: (المجالسُ بالأمانةِ إلا ثلاثةُ مجالسٍ: سفكُ دمٍ حرامٍ أو فرجٌ حرامٌ أو اقتطاعُ مالٍ بغير حقٍ).

وقال: (مِنْ أعظمِ الأمانةِ عند اللهِ يومَ القيامةِ الرجلُ يُفضِى إلَى امرأته وَتُفْضِى إليه ثُمَّ ينشرُ سرَّها).

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (إنَّ أحَدَكُمْ مِرْآةُ أخيه، فإن رأى فيه أذىً فَلْيُمِطْهُ عنه).

ضعيف

وفى رواية: (المؤمنُ مِرْآةُ المؤمنُ، والمؤمنُ أخُو المؤمنِ، يَكُفُّ عنه ضَيْعَتَهُ، ويحوطُه من ورائه).

عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: (خيرُ الأصحابِ عند اللهِ خيرُهم لصاحِبِهِ، وخيرُ الجيرانِ عند اللهِ خيرُهم لجارِهِ).

عن ابن مسعود قال: (قال رجل للنبى ﷺ: كيف لى أن أعلم إذا أحسنتُ أو إذا أسأتُ؟ فقال النبى ﷺ: (إذا سمعتَ جيرانَكَ يقولون: قدْ أحسنتَ فقد أحسنتَ، وإذا سمعتَهم يقولون: قد أسأتَ فقد أسأتَ).

❊ ❊ ❊

الفصل الثانى

الحب فى الله ومن الله

أحاديث من الصحاح فى هذا الباب

قال رسول الله ﷺ: (الأرواح جنود مجندة فما تعارفَ منها ائتلفَ، وما تناكر منها اختلف).

وقال: (إن اللهَ إذا أحبَّ عبداً دعَا جبريلَ فقال: إنى أحِبُّ فلاناً فَأحِبَّهُ، قال فيُحِبُّهُ جبريلُ، ثم ينادى فى السماء فيقول: إنَّ اللهَ يحبُّ فلاناً فأحِبُّوه، فيُحبُّهُ أهْلُ السماءِ ثم يُوضَعُ له القَبُولُ فى الأرضِ، وإذا أبغض عبداً دعا جبريلَ فيقول: إنى أبغَضُ فلاناً فأبغِضْه، قال: فيَبْغَضُه جبريلُ، ثم ينادى فى أهل السماءِ: إن اللهَ يبغضُ فلاناً فابغضوه، قال: فيبغضونه ثم يُوضع له البغضاءُ فى الأرْضِ).

وقال: (إن الله يقولُ يومَ القيامةِ: أين المتحابُّون بجلالى؟ اليوم أظِلُّهُمْ فى ظِلِّى يوم لاَ ظِلَّ إلا ظِلِّى).

عن أبى هريرة عن النبى ﷺ: (أن رجلاً زارَ أخاً له فى قريةٍ أخرى فأرصَدَ الله له على مدرجته مَلَكاً قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لى فى هذه القرية قال: (هَلْ لَكَ عليه من نعمة تُرْبِها؟ قال: لاَ، غير أنى أحببتُهُ فى الله، قال: فإنى رسولُ اللهِ إليك بأن اللهَ قد أحبَّك كما أحْبَبْتَهُ فيه).

عن ابن مسعود أنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ كيف تقولُ فى رجلٍ أحَبَّ قوماً ولم يَلْحَقْ بهم؟ فقال: (المرءُ مَعَ مَنْ أحَبّ).

عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: وَيْلَكَ وما أعددتَ لها؟ قال: ما أعددتُ لها إلا أنى أحِبُّ الله ورسولَه قال: (أنتَ مع من أحْبَبْتَ).

وقال رسول الله ﷺ: (مَثَلُ الجليسِ الصالحِ والسوءِ كحاملِ المسكِ ونافخِ الكيرِ، فحاملُ

المسكِ إما أن يُحذيكَ، وإما أن تبتاعَ منه، وإما أن تجدَ منه ريحاً طيبةً، ونافِخُ الكيرِ إما أن يحرقَ ثيابَك، وإما أن تجدَ منه ريحاً خبيثةً).

* * *

من الأحاديث الحسان

عن معاذ بن جبل ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (قال الله تعالى: وَجَبَتْ مَحَبَّتِى للمتحابِّين فِىَّ والمتجالسين فِىَّ والمتزاورين فِىَّ والمتباذلين فِىَّ).

وفى رواية قال: (يقولُ الله تعالى: المتحابُّون فى جَلاَلِى لهم منابرُ من نورٍ يغبطهم النبيون والشهداءُ).

عن أبى مالك الأشعرى أنه قال: كنت عند النبى ﷺ إذ قال: (إنَ للهِ عباداً ليسوا بأنبياءَ ولا شهداءَ يغبطهم النبيون والشهداءُ لِقُرْبِهِمْ ومقعدِهم من اللهِ يومَ القيامةِ، فقال أعرابىٌ، حَدِّثنا يا رسولَ اللهِ مَنْ هُمْ؟ فقال: هم عبادٌ من عبادِ اللهِ من بلدانٍ شتَّى وقبائل شتَّى، لم يكن بينهم أرحامٌ يتواصلون بها، ولا دنيا يتباذلون بها، يتحابون بروحِ الله يجعلُ الله وجوهَهم نوراً، وتُجعل لهم منابرُ من نورٍ قُدَّامَ عَرْشِ الرحمنِ، يفزعُ الناسُ ولا يفزعون، ويخافُ الناسُ ولا يخافون).

عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله ﷺ لأبى ذر: (يا أبا ذَرٍّ، أىُّ عُرَا الإيمانِ أوثقُ؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: الموالاةُ فى اللهِ والحبُّ فى اللهِ والبغضُ فى اللهِ).

عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: (إذا عادَ المسلمُ أخاه أو زارهُ قال اللهُ عز وجل: طبتَ وطابَ ممشاكَ وتبوأتَ من الجنةِ منزِلاً)

* * *

من الأحاديث الغريبة

عن المقدام بن معد يكرب عن النبى ﷺ أنه قال: (إذا أحبَّ الرجلُ أخاه فلْيُخبِرْهُ أَنَّهُ يُحبُّهُ).

عن أنس أنه قال: (مرَّ رجُل بالنبى ﷺ وعنده ناس فقال رجلٌ ممن عنده: إنى لأحِبُّ هذا لله، فقال النبى ﷺ: أعلمته؟ قال: لا، قال: قم إليه فأعلمه، فقام إليه فأعْلَمَه، فقال: أحبك الذى أحببتنى له، قال: ثم رجع فسأله النبى ﷺ فأخبره بما قال، فقال النبى ﷺ: أنت مع من أحببتَ ولك ما احتَسَبْتَ) وفى رواية (المرءُ مع من أحبَّ وله ما اكْتَسَب).

عن أبى سعيد أنه سمع النبى ﷺ يقول: (لا تُصاحِبْ إلاَ مؤمناً ولا يأكُل طعامك إلا تَقىٌّ)

وعن أبى هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (المرءُ على دِينِ خليلِهِ فَلِيَنْظُرْ أحَدُكُمْ مَن يُخَالِل).

عن يزيد بن نعامة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا آخى الرجلُ فليَسأَلْه عن اسمِهِ واسمِ أبيه وممن هو فإنه أوصلُ للمودةِ).

بسم الله الرحمن الرحيم

أسأل الله حسن الخاتمة

الحمد لله المنعم الوهاب المتفضل التواب الفتاح العليم، الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم. والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والرسل، إمام الرسل المكرمين، والشفيع يوم الهول الأكبر فى المذنبين، والوسيلة العظمى للمتوسلين، رحمة الله العامة، المبعوث من الله تعالى بشيراً ونذيراً وسراجاً منيراً، وآله صحبه وورثته.

وبعد، فيقول الخويدم المسكين محمد ماضى أبو العزائم: إنى والحمد لله قد وفقنى الله تعالى وأعاننى ومنَّ علىَّ بما هو أهله من المواهب الربانية، والمنن الإلهية بما فتح به على المسكين من كتاب "مذكرة المرشدين والمسترشدين" الذى جمع ما لابد منه من حقيقة الطريق المستقيم، والأخلاق التى يجب أن يتصف بها أهل الطريق، وآداب الطريق، وما يتعلق بذلك من تزكية النفس، وحسن المعاملة مما به يصل السالك إلى حضرة القرب، ويفوز بخالص الحب.

وإنى وإن كنت كتبته فى شهر رمضان المكرم سنة الف وثلاثمائة وثلاثين، مع شغلى بالصيام، واشتغال قلبى بإنكار أهل الغرة بالله علىَّ، وحصول الافتتاح فيه اليوم الثانى عشر من رمضان، وختامه وتنقيحه فى اليوم الثانى والعشرين منه، ولكنى أشكر الله تعالى وأحمده على معونته وعنايته، وأعتقد أن ما وضعته فيه من الحق والحكمة هو من توفيق الله تعالى وإمداده الروحانى، ومن سر توجهات حضرة رسول الله ﷺ، وما وضعته فيه مما ليس كذلك فمن عجلتى وسهوى ونسيانى حسب فطرتى الإنسانية.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يغفر لى، ولا يؤاخذنى بنسيانى أو خطئى، وأن يجعله نافعاً لوجهه الكريم، مفيداً لمن طالعه، وأن يكرم من ساعد فى نشره أو شرحه أو أعان على تنبيه المسلمين إلى العمل بما فيه، وأن يحفظنى بحفظه من المعاصى، ويعيذنى من سوء النية وقبح السريرة، وأن ييسر مطالبى وإخوانى ويتوفانى مسلماً و يلحقنى بالصالحين، ويجعل قبرى

روضة من رياض الجنة، ويمن عليَّ وعلى إخوانى المسلمين باتباع سُنة رسول الله ﷺ، والعمل بكتاب الله تعالى آمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

الخويدم المسكين

محمد ماض أبو العزائم

الفهرس

مقدمة ٥

حكمة ٦

الباب الأول

مقامات الدين الإسلامى ٧

أولاً: الإسلام ٧

المسلم ٧

١ العقيدة ٧

٢ العبادة ٧

٣ المعاملة ٨

نموذج من حسن المعاملة ٩

٤ أخلاق المسلم ١٠

الإيمان ١٣

المؤمن ١٣

١ الإيمان الظاهر ١٣

٢ الإيمان الباطن ١٤

المؤمن ظاهراً ١٤

المؤمن ظاهراً وباطناً ١٤

الإحسان ١٥

المحسن ١٥

ما ينبغى أن يكون عليه السالك من مشاهد الإحسان ١٦

الإيقان ١٧

الموقن ١٧

أمثلة من أعمال اليقين ١٧

الزاهد والعابد والعارف ١٩

الـورع ٢٠
تعـريف الـورع ٢٠
درجـات الورع ٢٠
أنواع الورع ٢١
الباب الثانى
فى الـذكر وأهل الطريق وآدابهـم واصطلاحاتهم ومعارفهم ٢٢
الفصل الأول
الذكر ٢٢
من خصـائص الـذكر ٢٢
الفكــر ٢٣
أنواع الـفكر ٢٣
أقسام الفكر ٢٤
آداب الذكر فى الخلوة والمجتمعات ٢٤
١ ذكـر القلب والـلسـان ٢٤
٢ ذكــر القلب ٢٥
امتحانـات السـالكين ٢٦
٣ ذكـر اللسـان فقط ٢٧
آداب الذكـر باللسان ٢٧
١ إذا كـان فى خلوة منفـرداً ٢٧
٢ الـذكر بـاللسـان فى المجتمع ٢٧
من آداب الـذكر مـراعاة المعـانى القلبية ٢٨
الغرض من الـذكر فى الأماكـن العامة ٢٩
الحـاضرون مجالس الـذكر العـامة ٣٠
الفصل الثانى
أهل الـطـريق ٣١
الـواجب على أهل الـطريق ٣١

صفات أهل الطريق ٣٢
كيفية التقرب إلى الله ٣٢
طريقنا هو طريق السلف الصالح ٣٣
ترك الكشف عند مخالفته للسُنة ٣٣
خصوصيات المرشد التى لا يقلده فيها المريد ٣٣
هيئة الذكر والأسماء التى تذكر فى المجتمعات والخلوات ٣٤
العمل فى الذكر ٣٥
النجيب ٣٥
أعمال النجيب فى الذكر ٣٥
١ المحافظة على رواتب الطريق ٣٥
٢ أن يرفع صوته بالتهليل ٣٦
٣ أن يروح الذاكرين باسم من أسماء التفصيل ٣٦
٤ أن ينقل الذاكرين إلى اسم آخر ٣٦
آداب ختم الذكر ٣٧
الرجال خمسة ٣٨
الإمام ٣٨
البدل ٣٨
النجيب ٣٩
أعمال النقيب ٣٩
الوتد ٤٠

الفصل الثالث

آداب أهل الطريق ٤١
١ فى حضور البدل ٤١
٢ الأخ فى الله يخدم لينتفع إخوانه ٤١
٣ كيف تكون النصيحة وأين؟ ٤١
٤ إصلاح ذات البين ٤٢

٥ النصيحة بالحكمة ٤٢
٦ النصيحة لمن يخالف الشرع أو المرشد ٤٣
٧ الإيثـار ٤٣
٨ الشفقة والرحمة والعطف بـالفقير ٤٣
٩ البذل والبشاشة وإدخال السرور على الإخوان ٤٤
١٠ غض البصر ٤٥
١١ القيام بالواجب ٤٥
١٢ المذاكرة والتأليف بين المسلمين ٤٦
١٣ البعد عن الجدل وأبوابه ٤٧
١٤ المحبة لأهل لا إله إلا الله ٤٧
١٥ الغضب لما يغضب الله ٤٨

الفصل الرابع

اصطلاحات أهل الطريق ٥٠
١ الـوقت ٥٠
٢ الـسفـر ٥٠
٣ المـريـد ٥٠
٤ المقـام ٥١
أهل المقامات ثلاثة ٥١
المقامـات على جهات ثلاث ٥١
٥ الحال ٥١
الفرق بين المقام والحال ٥١
٦ الكشف ٥٢
٧ الذهاب ٥٢
٨ الشطح ٥٢
٩ الصولة ٥٢
١٠ الالتجـاء ٥٢

١١ التجلى ٥٢
١٢ الاصطلام ٥٢
١٣ الجلال ٥٢
١٤ الطوالع ٥٢
١٥ المشاهدة ٥٣
١٦ الحرية ٥٣
الفصل الخامس
من معارف أهل الطريق ٥٤
١ العقل ٥٤
منازعة الهوى للعقل ٥٤
٢ النفس ٥٥
أ النفس الأمارة ٥١
ب النفس المطمئنة ٥٥
ج النفس اللوامة ٥٥
٣ الروح ٥٦
٤ الخواطر ٥٦
الباب الثالث
فى الطريقة المستقيمة وحصون الأمن والمرشد والمسترشد ٥٨
الفصل الأول
الطريقة المستقيمة ٥٨
من هم أهل الطريق؟ ٥٨
لزوم البحث عن الرجل الحى ٥٩
الطريق المستقيم واحد وإن تعددت أنواع السير عليه ٥٩
علامات أهل الطريق ٦٠
الشفقى بمرضى النفوس ٦١
وجوب السعى لتحصيل ما به القيام بالواجبات الشرعية ٦٢

تلقى الأسرار والأنوار عن الحى الممنوح ٦٣
البحث عن الرفيق العالم بالطريق ٦٤
السنة العملية أن يكون لكل سالك رفيق ٦٤
حال من منحوا التسليم والانقياد ٦٥
وجوب الاقتداء بإمام المتقين ٦٦
فيم ينافس أهل الطريق؟ ٦٧
ما كان عليه أهل الطريق ٦٩
الطريق وأهله الآن ٦٩
مآل من نسى يوم الحساب ٧٠
الطريق المستقيم ٧١
تزكية النفس ٧٢
سالك لهذا الطريق ٧٢

الفصل الثانى

حصون الأمن ٧٣
١ معرفة ما لابد منه للمؤمن ٧٣
٢ أن يراقب خواطره وهمه ٧٤
٣ أن يحاسب نفسه بعد كل يوم وليلة ٧٤
٤ أن يجعل له فى كل يوم جديد درساً ٧٤
٥ أن يتحصن من الوقوع فى الشبهات ٧٥
٦ أن يقوم بعمارة كل وقت بواجبه ٧٥
٧ أن يتجنب فى كل وقت شياطين الجن والإنس ٧٥
٨ أن يتمثل صورة الموت وما بعده ٧٦
جمال المقربين ٧٦
١ الجمال الباطن للمقربين ٧٦
٢ الجمال الظاهر للمقربين ٧٧
جمال السالكين ٧٨

١ الجمال الباطن ٧٨
٢ الجمال الظاهر ٧٨
الفصل الثالث
المرشد والمسترشد ٨٠
أحوال المرشد واقتداء المسترشد ٨٠
المسارعة إلى تنجيز أوامر المرشد ٨١
بيان فى تقليد المرشد ٨٢
عدم الإنكار على أهل أسرار الله تعالى ٨٣
الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ٨٤
كيف الإباحة بالأسرار؟ ٨٥
أهل الطريق هم المتقون ٨٦
حقيقة الإخوان ٨٦
يقظة القلوب ٨٦
لا يكن حظك الإنكار وهمك الجدل ٨٧
الباب الرابع
الآداب ٨٩
الفصل الأول
آداب الإخوان وتأديبهم ٨٩
من هم الإخوان الذين أعنيهم؟ ٨٩
الآداب ٩٠
الآداب الواجبة عل كل مسلم لأخيه ٩١
الخصال العشرة التى كثرت الأخبار بها ٩٢
الفصل الثانى
آداب العلماء ٩٣
صفات العلماء ٩٣
١ التواضع لله تعالى ٩٣

٢ الحلم والأناة ٩٤
٣ إخفاء الحكمة إلا عن أهلها ٩٤
٤ السكينة والرحمة ٩٤
٥ العمل بالعلم ٩٥
٦ الحكم بالعلم لا بالهوى ٩٦
٧ سد باب الذرائع والفتن ٩٦
ما أنتجه الاشتغال بالتفاضل ٩٧
١ التشنيع على الذكر والذاكرين ٩٨
٢ الإنكار على قراءة القرآن فى بيوت الله ٩٩
٣ ترك الحكمة فى الدعوة والموعظة الحسنة فى الإرشاد ٩٩
٤ الوقوع فى أكبر الكبائر حال الدعوة إلى ترك مكروه أو عمل مندوب ١٠٠
٥ مخالفة رسول الله ﷺ فى أخلاقه وسنته فى الدعوة ١٠٠
من مضار الجهل فى اتباع الطريق ١٠١
١ أن من دعته نفسه ليقوم داعياً إلى الله أن يدعوها أولاً ١٠٢
٢ ألا يعمل الداعى إلى الله لعرض يفنى أو غرض يزول ١٠٢
٣ أن يسعى لتلقى العلم دون التعصب لشيخه ١٠٣

الفصل الثالث

آداب الدعوة إلى الله ١٠٦
١ أن يكون الداعى إلى الله حكيماً رحيماً ١٠٦
٢ أن يألف الناس ١٠٦
٣ أن يجاهد نفسه ١٠٧
٤ أن يجعل أهل صفوته الفقراء ١٠٧
٥ ألا ينشر ما لا يليق بين الناس ١٠٧
٦ ألا يكون حسوداً لنظرائه ١٠٨
٧ ألا يحرص على المال ١٠٨
٨ أن يتأدب إذا جمله الله بلسان الحكمة ١٠٩

٩ ألا يترك الأسباب تواكلاً ١١٠
١٠ أن يكون عالماً بأحكام الشريعة وعلوم النفس ١١٠
١١ أن يبادر إلى العالم فيما يجهل ١١١
دعوة إلى الاقتداء بالسلف الصالح ١١٢
يا خلفاء الطريق إلى من تسيرون؟ ولمن تعملون؟ ١١٣
تنبيه للمريدين ١١٤
إرشاد لأبناء الأمراء والأغنياء ١١٥
الفصل الرابع
آداب المتعلمين والمريدين ١١٧
صحبة العلماء ١١٧
آداب للطالبين للعلماء ١١٨
الأدب مع العالم الربانى ١١٩
زلل العلماء ١٢٠
تعظيم المرشد ١٢٠
أسرار الرجال مناكير عند غيرهم ١٢١
حسن اتباع العالم ١٢٢
وراثة أحوال العالم ١٢٣
إنما تعطى الحكمة لأهلها ١٢٤
لا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ١٢٥
الباب الخامس
فى تزكية النفس ووصايا للدعاة إلى الله تعالى ١٢٧
الفصل الأول
علاج أمراض النفوس ١٢٧
علامات أمراض النفس ١٢٨
أمراض النفس ١٢٨
أنواع تلك الأمراض ١٢٨

علاج تلك الأمراض ١٣٠
أولاً: علاج الأمراض الناتجة عن اختلاف التركيب أو انحراف المزاج ١٣٠
١ أهم علاج لاختلاف التركيب ١٣٠
٢ علاج أمراض النفس الناتجة عن انحراف المزاج ١٣٠
ثانياً: علاج أمراض النفس الناتجة عن فساد الاعتقاد ١٣٠
العناية بحفظ الصحة على النفس ١٣٢
العلاج عند حصول المرض ١٣٢
أسباب مفسدات النفس ١٣٤
ليس المراد ترك الأسباب فى الدنيا ١٣٤
قد أفلح من تزكى ١٣٦
دواعى الذنوب والكبائر ١٣٧
بيان الكبائر ١٣٧
الفصل الثانى
وصية لمن أهلهم الله للدعوة ١٣٩
علامات الدعاة إلى الله ١٣٩
دوام الفضل بمراعة تلك المعانى ١٤٠
كيف تعامل أخاك؟ ١٤٢
تأديب المريدين ١٤٣
عاقبة كفران النعمة ١٤٤
تلقين الطريق والإذن باللطائف والأذكار ١٤٤
تلقين الطريق ١٤٤
الإذن باللطائف والأذكار ١٤٦
الباب السادس
الشفقة والرحمة على الخلق والحب فى الله ومن الله ١٤٧
الفصل الأول
الشفقة والرحمة على الخلق ١٤٧

أحاديث من الصحاح فى هذا الباب ١٤٧
من الأحاديث الحسان ١٤٩
من الأحاديث الغريبة ١٤٩
من الأحاديث المرسلة ١٥٠
ضعيف ١٥١
الفصل الثانى
الحب فى الله ومن الله ١٥٢
أحاديث من الصحاح فى هذا الباب ١٥٢
من الأحاديث الحسان ١٥٣
من الأحاديث الغريبة ١٥٣
أسأل الله حسن الخاتمة ١٥٥
الفهرس ١٥٧

almashahed
www.almashahed.com